#ریکورد

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

دعبس؛ هاني
ريكورد/ هاني دعبس. - القاهرة: فرست بوك للنشر والتوزيع/ ط٢/ القاهرة: ٢٠١٧م.
٢٦١ص؛ ١٤×٢٠سم
تدمـــــك: ١-٣٤-٦٥١٨-٩٧٧-٩٧٨
رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٩٦٨

دار النشـــــر:	فرست بوك للنشر والتوزيع
عنـــوان الكتـاب:	ريكورد
الـــكـــاتـــب:	هاني دعبس
غـــــــلاف:	شريف عبد الله
تـدقـيـق لـغـوي:	محمد يحيى
مـــراجـــعـــة:	محسن عبد الستار
رقـــم الطبعـــة:	الخامسة
تـاريـــخ الطـبـــع:	٢٠١٧

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر

فرست بوك

ويحظر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملًا أو جزئيًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

فرست بوك
٣٤ شارع زكي حواس - حلوان - القاهرة
ت: ٠١٠٠٨٩٥٤٣٢١ - ٠١٠٠١٨٠٧٢٣٥
Firstbook_mz@hotmail.com

#ريكورد

(رواية)

هاني دعبس

فرست بوك

2017

إليها

(1)

«حبيبتي لا تقلقي. غدًا سنلتقي»

#ريكورد

□□□

منـذ أن رآهـا - للمرة الأولى - الأسـبوع الماضي، لم يفارقـه لمعان عينيها، لكن كان للقائهما الثاني واقع السـحر على قلبه، أنهى اللقاء على مضض، قاتلًا أمنية تملأ نفسه، بأن تبقى تلك الحسناء بجانبه إلى آخر العمر.

عـاد إلى منزلـه سريعًـا، قادمًا من محطة مصر، أمسـك هاتفـه المحمول، وبضغطـة واحـدة على شاشـته؛ فتـح صفحته الشـخصية بموقـع «فيس بوك»، وحلق بعينيه في سـماء غرفته نحو نصف ساعة، باحثًا عن وصف للقاء الثاني الذي جمعه بها، حتى شعر بأن كلمات العالم لن تفيها حقها.. ليجد نفسه يكتب جملة مقتضبة, حملت كل ما بداخله من أشواق وحنين إليها.. هي:

«خُلقت لأعشقك».

كان هذا حال «زياد» بعدما التقى «سارة» للمرة الثانية، وبصدفة بحتة، في يوم غير مألوف، واسـتثنائي للغاية، حيث جرت أحداثه، وكأنها تؤكد أن القـدر أصدر حكـمًا باتًا ونهائيًا، بأن يجمعه بنصفـه الثاني، الذي ظل يبحث عنه طويلًا، رغم أنه عاش قصة حب ملتهبة، بدأت قبل خروجه مـن المنصـورة إلى قاهرة المعـز، ودامت أكثر من 12 عامًـا، إلا أن القدر شـاء أيضًا أن تنتهي تلك القصة في ذات اليوم، الذي بدأ فيه حصار حب

«سـارة» لقلبه، وهذا ما جعله يصـل إلى قناعة مبدئية، بأن كل الظروف قد تآمرت يومها، كي يكون هذا اللقاء الثاني، تاريخيًا.

اسـتلقى الشاب على سريره، ضاربًا كفًا على كف، غير مصدق لما حدث، فقبل أسـبوع واحد من هذا اليوم، ركب القطار قادمًا من مسـقط رأسـه إلى القاهرة، كعادته أسـبوعيًا، بعد مشادة ساخنة مع حبه الأول «أميرة»، اشتعلت بعدما أصر على عدم ذهابها إلى خطوبة ابنة عمتها، حتى لا تلتقي شـقيق الأخيرة، الـذي كان يحاول التقـرب منها بكل الطـرق، خاصة أن الحبيب الغيور رأى رسـالة منه على هاتفها، قبل شـهر واحد، كان نصها:

«كنتِ أجمل واحدة في الفرح».

جُـن جنون «زيـاد» برؤيتـه الرسـالة، التي تلـت حفل زفـاف إحدى قريبات «أميرة»، وبعد الكثير من الشـد والجـذب، أصدر فرمانًا بحكم إمبراطوريتـه الذكورية المتسـلطة، حـرم بمقتضاه حبيبتـه من الذهاب لأي مناسبات عائلية يتواجد فيها ابن العمة، وهو ما ثارت عليه الأخيرة، خاصـة أن التوقيـت كان صعبًـا للغاية، إذ جاء في بداية أشـهر الصيف، الـذي يعـج بالأفراح، باعتباره موسـم تـزاوج المصريين، إلا أن الشـاب العنيد أصر عـلى موقفه، محذرًا فتاته من مخالفة فرمانه، وسرعان ما تجدد الخـلاف مع اقتراب موعد زفاف ابنة العمة، الذي يسـتحيل أن يأتي دون وجود الفتاة مع العروس خطوة بخطوة، فهي تعد أقرب شخصية إلى قلب «أميرة».

وقبـل دقائـق من ركوبه القطـار، أجرى مكالمة معها، اتسـمت بالعنف الشديد، وخرج فيها عن شعوره، مهددًا حبيبته بإنهاء علاقتهما إذا ذهبت إلى الفرح، الذي تبقى على بدايته ساعات معدودة، خاصة بعدما علم بأنها ترافق العروس عند الكوافير، ليرفع صوته باندفاع تام، شعر بوهجه كل الواقفين بجواره على رصيف محطة المنصورة، قائلًا:

- «انـتِ بتتحديـني يا أمـيرة.. قلت مفيش حضـور أفراح.. لـو دخلتي القاعة.. اعتبري قصتنا انتهت».

ردت بهدوئها المعتاد:

- «إزاي تحـط أي حاجة قصـاد حبنا.. اعقل يا زياد.. مسـتحيل مبقاش جنبها يوم فرحها.. إنت عارف هي بالنسبالي إيه.. وبعدين أهلي هيقولوا إيه لو رجعت البيت؟».

واصل اندفاعه، ليزيد من حدة حوارهما الغاضب:

• «أنا قلت اللي عندي.. ومعنديش غيره.. اسمعي الكلام».

- «أنا كمان قلت اللي عندي.. إللي يريحك اعمله».

• «شـكلك حابة ابن عمتك يقولك إنك أجمل واحدة في الفرح.. لكن في وشك المرة دي».

- «إيـه إللي بتقولـه ده؟! قولتلك اعقـل.. لو فيه حاجـة في دماغي كنت مسحت رسالته أصلًا.. ولا كنت هتشوفها ولا هيحصل مشكلة».

• «مفيـش راجـل بيقول حاجـة أو بياخد خطوة من نفسـه كده.. لازم إللي قدامه تديله فرصة.. أكيد شافك بتفرحي بكلامه قبل كده.. وأكيد قالك إللي أكتر من كده.. وأنتِ عديتي إللي قاله عادي».

- «واضح إنك خلاص اتجننت.. لآخر مرة بقولك حافظ عليّ.. أنا مبقتش مستحملة طريقتك معايا.. كلامك كله شك».

هنا، تدافعت كلمات «زيـاد» دون تفكير ولا رحمة، قبل أن يغلق الخط في وجهها:

• «خلاص يا أميرة.. من النهارده كل واحد مننا في طريق».

أنهى الغيور المكالمة، التفت يمينًا ويسـارًا، مسـلطًا عينه التي ينطلق منها الـشرر، في عين كل مَن ينظـر إليه من الفضوليين، ثـم وضع راحتيه على وجهه، وكأنه يفيق مـن كابوس مزعج، وترجل بهدوء نحو باب القطار، وشـق طريقه إلى كرسـيه وسـط زحام مـا قبل الانطـلاق، جلس يفكر ويفكر، ويشكك ويبرهن، ويتهم ويبرئ، إلى أن أمسك هاتفه، وكالعادة دخـل إلى «فيس بـوك»، محاولًا الخروج مـن حالة الغضـب المصحوبة بالريبة، التي تجتاح نفسه كعاصفة محملة بالرمال الثقيلة.

أخذ يقلب في منشورات أصدقائه، هذا يُحب، وتلك تشكو الخيانة، وذاك يفتخر بصورته السيلفي مع نجمة شابة، أما هذه؛ جارته التي رآها قبل دخوله المحطة تمشي كالرهوان بابتسامة صافية واسعة، ففضلت ادعاء المرض حتى تحصل على عشرات الإعجابات، والتعليقات التي يدعو فيها الأصدقاء بشفائها!

وأمـام كل هـذا، فضّل «زيـاد» العـودة إلى صفحته الشـخصية، وكتابة جملـة، يعلم جيـدًا أن «أميرة» سـتقرؤها في التو واللحظـة، فهي متصلة الآن بالإنترنت؛ هكذا تؤكد الدائرة الخضراء المجاورة لاسـمها في لائحة الأصدقـاء المتصلين، لذلك تيقن أنها تشـاهد صفحتـه، وتبحث فيها عن كلمة أو خاطرة، تداوي خاطرها المنكسر، وتُسكن قلبها الجريح، ورغم علمه بكمية الأذى الذي صبه عليها شكًا وشكمًا، تمادى في المزايدة، عله يردعها عن التمادي في عنادها.. وكتب:

«لا تلم شخصًا مرتين.. مواجهة واحدة تكفي.. ثم معرفة بحذر أو وداع بإحسان!».

وبسرعـة البرق، جـاء الإعجاب الأول على المنشـور من «أمـيرة»، التي كانـت قد انتهت توًا من أولى مهامهـا في حفل الزفاف، وهي معاونة ابنة عمتها في دخول السـيارة بفسـتان زفافهـا ذي الطبقات المتعـددة، وما إن اسـتقلت العربة، حتى قررت معاملة «زياد» بالمثل، وكتابة عدة كلمات تهدئ النار التي تُحرق قلبها، ربما يعود حبيبها الغيور عن طيشه وجنونه، وقبـل أن تضغط على زر النـشر، كتبت جملة حملـت في طياتها الكثير.. هي:

«سأبقى كما أنا.. وليرحل مَن يرحل.. ويبقى مَن يبقى!».

ومع ضغطها على الزر، كان «زياد» يدخل إلى صفحتها، باحثًا هو الآخر عـن كلمة تريح باله، يفهم منهـا أن حبيبته قد عادت لعقلها، وتراجعت

عن حضـور الزفاف، خوفًا مـن تهديده الأخير بإنهاء قصة العشـق التي جمعتهـما لأكثر من عقد كامل، فهو يعلم أنـه نقطة ضعفها الوحيدة على هـذا الكوكب، حيث كتب يومًـا، معلقًا على هذا الوصـف، الذي قالته عندما تراجعت عن فكرة خوضعها العمل، استجابة له:

«إذا كنتُ نقطة ضعفكِ.. فأنتِ سر قوتي!».

هي أيضًا تمثل له الكثير والكثير، خاصة أنها حبه الأول الذي ملأ حياته شوقًا وحنينًا وأنينًا، وجارته منذ أيام الطفولة البريئة، التي فعل المستحيل ليقترب منها، حيث كلفه هذا القرب علامة أبدية، مازالت تقبع في فروة رأسه، رغم أنها تضاءلت كثيرًا مع مرور الأيام.

■ ■ ■

تلك العلامة، كانت نتاجًا لمشـاجرة لن ينسـاها شارع جيهان الشهير في المنصـورة، جمعت «زياد» ذا السـبعة عشر عامًا وقتها، بشـقيق «أميرة» الكبـير، الذي تجـاوز عمره الثلاثـين آنذاك، بعدما طلـب من الأخير يد أخته وسـط الشـارع، دون أي مقدمـات، بينما كانت الفتـاة لم تحصل على شـهادتها الإعدادية بعد، وهو الطلب الذي قابله الأخ بصفعة قوية، نزلت كالسوط على وجه المراهق العاشق، ليردها بالمثل، غير عابئ بفارق السـن، وبعد صفعة مقابلها لكمة، ولكمة تليها صفعة، وتبادل للسـباب بـين الطرفـين، خرج الأخ عن سـيطرة عقلـه، مصرًا عـلى تلقين خصمه الصغير درسًا لا ينساه، وانحنى مادًا يده على زجاجة دواء فارغة، وجدها

ملقاه أمامه على الأرض، وسرعان ما حطمها، ليرشق ما تبقى منها في رأس المراهق.

المشاجرة الدامية، اشتعلت بعد عامين قضاهما «زياد» واقفًا بشرفة منزله، في انتظار الطلة الساحرة لأميرته الصغيرة، التي كانت ترمقه بنظرة حانية، كلما خرجت إلى شرفتها، ووجدته واضعًا يده على خده، مسلطًا عينيه على منزلها، فهي تعلم منذ اليوم الأول لتلاقي أعينهما، أن هناك إحساسًا غير مألوف يدق أبواب قلبها البكر، الذي كان يتصارع على امتلاكه، مراهقو العائلة، ومنهم ابن عمتها، بأفعال صبيانية بحتة، يكشفها الجميع، وعلى رأسهم والدها وشقيقها، اللذان وقفا لهؤلاء المراهقين بالمرصاد، موصدين كل الأبواب على الصغيرة الفاتنة.

وبينما كانت «أميرة» تراقب أفعال الصبية حولها؛ بشيء من الاستهجان المصحوب بالاستخفاف، كان عقلها قد حسم السباق مع عمرها مبكرًا، ليسبقه كثيرًا، وتصبح قادرة على تمييز أفعال المتحرشين بقلبها، قبل دخولها مرحلة المراهقة، التي قضت أغلبها واقفة خلف الشباك ذي النافذة الصغيرة، الذي يفصل بين غرفتها والشرفة، تراقب حبيبها اليائس بعدما أصبح سجين شرفته، في إشارة تحدٍ صارخة لشقيقها، الذي منعها من الخروج إلى الشرفة، عبر بابها الكائن في صالة المنزل، عقب المشاجرة الشهيرة بشارع جيهان.

وقبل شهر واحد من هذه المشاجرة، كان الحديث الأول الذي جمع

«زياد» و«أميرة» خارج نطاق الشرفات، عندما قرر العاشق الصغير أن يكسر حاجز الصمت الذي امتد طوال 23 شهرًا، وقف أغلب نهارها وليلها في شرفته، صابًا عرقه صيفًا، مرتعشًا شتاءً، أملًا في أن تصله نظرة واحدة من جارته، التي خطفت قلبه من النظرة الأولى، لتنصب نفسها حبًا أول في حياته، وأخيرًا حتى مماته، مثلما كان يظن وقتها!

كان هذا الحديث، صباح يوم جمعة، بعدما حدد «زياد»؛ من خلال مراقبته المتواصلة طوال أشهر طويلة مضت، الساعة التي تنزل فيها «أميرة» مع والدتها إلى السوق نهاية كل أسبوع، في العاشرة صباحًا عادة، ليقف أمام منزله، في انتظار نزولهما من العقار المقابل، وبالفعل لم تمر دقائق، حتى رأى الابنة ترافق والدتها، إلى الوجهة المعلومة، التي تبعد عن الشارع الذي يقطنون به مسافة قصيرة, لا تتجاوز المائتي متر.

ورغم التوتر الذي ساد ملامح الصبية بمجرد رؤيتها له، زاد العاشق المراهق إصرارًا على أن يكون هذا اليوم هو الأول؛ بصورة واقعية، في قصة حبه التي امتدت طويلًا خلف أسوار الشرفات، مسلحًا بخطاب ظل يكتب كلماته ويمحوها على مدى ثلاث ليالٍ، ليخرج في النهاية بجملة واحدة، كتبها وسط الورقة، وذيلها برقم هاتفه المحمول، الذي اقتناه بصعوبة بالغة، بعد حرب من والده، عندما كانت الهواتف نادرة كالذهب.

وحول الرقم والكلمات، رسم الفتى نحو عشر قلوب وأزهار، كعادة عشاق جيله من أبناء الثمانينيات، الذين كانوا يضطرون للوقوف

ساعات طويلة في الشوارع، التي تقطن فيها سارقات قلوبهم، أملًا في الفوز بنظرة أو ابتسامة منهن، مع عدم تمكنهم من التواصل معهن عبر أية وسيلة اتصال، سوى الهاتف الأرضي؛ المراقب بصرامة من الأهل، قبل أن تصبح الهواتف المحمولة متاحة أمام الجميع، ومعها الإنترنت، فقط مع بداية الألفية الجديدة، للدرجة التي كان فيها «زياد» حامل المحمول الوحيد بين أصدقائه، أما الجملة التي كتبها في خطابه لأميرته.. فكانت:

«بحبك أوي يا أميرة»!

لم يكن سهلًا على الإطلاق، أن يرمي «زياد» بالخطاب في طريق حبيبته، حيث ضاعت فرصة وراء أخرى، إلى أن لجأ لاستراتيجية جديدة؛ اعتمدت على اقتناص ابتعاد الأم، والاقتراب من الابنة، ثم التمهيد للحدث الوشيك؛ وصول الخطاب إلى يد الأخيرة، وهو ما نفذه المراهق بجدارة، عندما طاف حول هدفه عدة مرات، راسمًا ابتسامة عريضة، وملوحًا بالورقة التي يحملها في يده.

وفي تحدٍ لتوترها، قررت الصبية أيضًا كسر حاجز الصمت، ومنح جارها الفرصة، لتستغل اضطرار والدتها للانتظار في محل الدجاج، وتستأذنها في شراء الحلوى من محلها المفضل؛ نهاية السوق، وبإشارة واحدة بالعين، فهم «زياد» أن عليه اتباعها، وخطوة وراء أخرى، أيقن الأخير أنه خرج عن مدى رؤية الأم، لتتسارع خطاه ويلحق بحبيبته، مطالبًا إياها بأن

تنعطف يمينًا في الشارع الصغير، المتفرع من السوق المزدحمة، وهو ما حدث!

وقبل أن ينطق اسمها لأول مرة؛ والذي عرفه مصادفة من خلال حوار لها مع شقيقها عبر شرفتها؛ وقف الجار المشتاق أمام عيني «أميرة» للمرة الأولى عن قرب، ليجد عرقه يتصبب كالشلال، ويشعر بأنه يدخل دوامة عاصفة، لا حيلة للخروج منها إلا أن ينطق، وبسرعة، قال لها:

- «أخيرًا بقيتي قدامي.. مش هستنى لما تقري جوابي.. أنا بحبك أوي يا أميرة».

وبخجل صاحبة الرابعة عشرة ربيعًا، التي تسمع كلمة بحبك لأول مرة، حاولت الهروب من أمام عين جارها اللامعة، متخذة خطوة إلى اليمين، ليلحقها سريعًا مادًا يده بخطابه الأول، ومضيفًا:

- «هستنى أسمع صوتك».

وبسرعة البرق، التقطت الصبية الخطاب، مستأنفة سيرها بخطوات واسعة، أما حبيبها فوقف محله، متأملًا خطواتها عن كثب، غير قادر على السير خطوة واحدة، واقعًا تحت تأثير سعادة لم تمس قلبه من قبل، إلى أن انعطفت منهية خطاها بالشارع الصغير، لتفقدها عيناه بين زحام السوق، ويسود زحام من نوع آخر قلبه، الذي دخل توًا مدينة الحب، وعالم العشاق.

مر اللقاء بيسر لم يتخيله «زياد» قط، إلا أن الساعات التي تلته مرت

أبطأ من سلحفاة مسنة؛ تحمل بيتها فوق ظهرها، خاصة أن الجارة اختفت لمدة يومين، قضى ثلثهما في مكانه المعتاد، الشرفة، ولم يرها خلالهما تخرج إلى شرفتها، أو حتى من باب منزلها، مما أثار مخاوف عدة بداخله، أكبرها ظنه أن أميرته رفضت حبه، وقررت تجاهله، حتى جاء رنين هاتفه ليحيي الآمـال بداخله، إنه رقم هاتف أرضي، بالتأكيـد هي «أميرة»، رد متلهفًا، وكانت الطامة الكبرى!

بعد فاصل طويل من تلك الفواصل التي تلازمها صافرات تشفير الشتائم، خرج عبر حنجرة ذكورية دون أدنى اكتراث من صاحبها بما يلقي به من سـباب فج، أيقن «زياد» سريعًا أنه الصوت ذاته الذي يسمعه ينادي بين حين وآخر على العقار المقابل له، خاصة أن مسـتوى الضجيج لم يختلف كثـيرًا، وبالفعل كان شـقيق «أميرة» هو المتصل، الـذي لم يمنح الطرف الثـاني في المكالمـة، حق النطق بكلمة واحـدة، وواصل قذف الكلمات، مهددًا ومتوعدًا، ثم أنهى اتصاله بكلمتين:

- «هعرفك وهجيبك»!

الذعـر الذي أصاب متلقي المكالمة، لم يمثل شـيئًا أمام قلق مميت حاصره على أميرته، فبغض النظر عن المواجهة المنتظرة التي أصبح طرفًا فيها منذ الاتصـال الأخير، مازال مصـير حبيبته مجهولًا، ولا يعلـم ما حالها الآن، بـين تلك الجـدران التي تقابل منزله، بعد أن وقـع الخطاب بالتأكيد في يد شـقيقها، حتـى طرأ على ذهنه تسـاؤل، بـني على الكلمتـين الأخيرتين في

المكالمة.. كيف صمدت «أميرة» أمام وقاحة شقيقها، ولم تكشف عن هوية صاحب الخطاب.. ومن أين لها بهذا التحمل الذي يجعلها لا تنطق باسمه طوال يومين، اختفت فيهما عن الشرفة، وجلست خلالهما، بلا شك، على كرسي الاعتراف؟!

ورغم هول الموقف، أصر «زياد» على أن يطمئن على حبيبته، التي ارتفعت في نظره كثيرًا، بعد صمودها وكتمانها، لاسيما أنه اعتبر موقفها هذا تضحية من أجله، قد تتكبد أمامها الكثير من الإهانة، بل الضرب، فالصوت الأجش الذي حدثه قبل قليل، يمكن أن يفعل أي شيء.

وبالمقابل أخذ يفكر في حيلة يمكنه من خلالها الاطمئنان على أميرته، وبعد تفكير طويل، اتخذ قرارًا جنونيًا، قد يكلفه الكثير، إلا أنه ليس كثيرًا أمام شغفه على رؤيتها، والحرمان الذي يحاصره كلما نظر إلى الشرفة الخالية لمدة يومين، وكعادته، فتح مذكرته الصغيرة، متأملًا الحيلة التي سيقدم عليها مع بزوغ شمس اليوم التالي، ومحاصرًا بعذاب الفراق ونار الأشواق، ثم أمسك قلمه بتحدٍ، وكتب بإصرار العاشق:

«حبيبتي لا تقلقي.. غدًا سنلتقي».

■ ■ ■

في السابعة والنصف صباحًا، كان «زياد» يقف في شرفته، منتظرًا خروج والد «أميرة»، ومن ثم شقيقها، للعمل، عازمًا على تنفيذ الفكرة الجهنمية التي تدور برأسه منذ الأمس، ومع دقات الساعة الثامنة خرج

الهدفان إلى وجهتيهما، وتفرغ صاحب الحيلة لإتمامها بمهارة، ارتدى ثيابًا متواضعة، جلبها من كوم ملابسه القديمة، ثم أخرج مائة جنيه ادخرها من مصروفه الضئيل، أملًا في أن يشتري بها هدية لأميرته، في عيد ميلادها الذي لا يعلمه حتى الآن، ثم وضع النقود في جيبه، وانطلق نحو التحدي الأول في قصة حبه الأولى.

وصل العاشق المراهق إلى السوق، وسرعان ما وجد ضالته، اشترى سلة كبيرة تصلح لعرض السلع، قبل أن يقف أمام محل للمنظفات، ويطلب من البائع أن يملأها بكميات من الصابون ومساحيق الغسيل والمطهرات، ثم حفظ سعر كل منها عن ظهر قلب، وحمل السلة بيديه غير عابئ بأنه على بُعد خطوات من منزله، وسريعًا ما وصل إلى المنزل المنشود، المكون من طابقين، والذي تسكنه أسرتان، منهما أسرة «أميرة»، وبحكم انطوائه، والشارع المتسع، لم يتصادف أنه تعامل مع أي من سكان هذا العقار قبل هذا اليوم، رغم أنه يحفظ ملامحهم جميعًا عن ظهر قلب، بفضل إقامته شبه الدائمة في شرفته.

أمام الشقة المستهدفة، بالطابق الثاني، وقف «زياد» يمسك بالسلة، وأعصابه تحاول التماسك قدر المستطاع، ثم ضغط على الجرس بثبات، مرت ثوانٍ قليلة، ودون مقدمات فُتح الباب على مصراعيه، ليجد أمامه والدة حبيبته، حماة المستقبل، للمرة الأولى عن قرب، وقبل أن تنطق بكلمة واحدة، باغتها مندوب المبيعات المزيف بعروضه التي ضربت أسعار البضائع في مقتل، ومع تحمس الأم، تزايدت العروض، للدرجة

التي دفعتها إلى شراء كل ما يحمله المندوب، الذي فوجئ برد الفعل غير المتوقع، ليتقلص توتره رويدًا رويدًا، ويمزح مع الأم مقدمًا آخر عروضه، قبل أن يسلمها المنظفات، ومعها السلة مجانًا!

إلى هنا، جرت الأمور على ما يرام، حيث كان «زياد» يقتنص بين الحين والآخر نظرة للداخل، أملًا في أن تقع عيناه على حبيبة القلب، لكن بلا جدوى، إلا أن الأم أبت إنهاء هذا الموقف الجنوني عند ذلك الحد، ورفعت صوتها فجأة منادية ابنتها، مطالبة إياها بأن تجلب إليها النقود من حقيبتها، ومع اقتراب لحظة اللقاء المنتظر، عاد التوتر للمندوب المزيف، الذي شعر برعشة تجتاح جسده، وعرق يتصبب بغزارة من جبينه، وبالفعل حدث ما لا تحمد عقباه!

خطوة واحدة من «أميرة» في اتجاه والدتها، كانت كفيلة بانهيار تام، حيث نظرت خلال خروجها من غرفتها، نحو الصالة، لتجد «زياد» أمامها، بابتسامة عريضة على وجهه، بينما تقف الأم تمد يدها بانتظار ما طلبته من نقود، لتطير الحقيبة التي مسكتها الصبية للتو في الهواء، وتسقط على رأس الأم، لحظة سقوط ابنتها على الأرض؛ مغشى عليها، دون أن تقول كلمة واحدة، لتتعالى صرخات والدتها التي اتجهت إليها سريعًا، ويركض وراءها «زياد» مقتحمًا الشقة بلا اكتراث، أو وعي، ليجد نفسه يحاول حمل حبيبته، ويقترب من ملامحها الساحرة، للحظات كاد يفقد فيها هو أيضًا الوعي، من هول مشاعر تتضارب داخله، بين الشوق والقلق، بينما تصب الأم الماء على وجهها أملًا في إفاقتها.

وما إن فتحت «أميرة» عينيها، حتى وجدت عيني الحبيب الجريء أمامها، لتفقد الوعي مرة أخرى، وتواصل الأم صراخها بعد أن تملكها الوهم، خوفًا على حياة صغيرتها، التي لم تفقد الوعي مرة واحدة طيلة عمرها، وبذكاء، حاول «زياد» إنهاء الموقف سريعًا، وطلب من الأم الاستمرار في محاولات إفاقة ابنتها، حتى يستدعي صيدليًا من الصيدلية الكائنة بناصية الشارع.

كان المندوب المزيف يعلم جيدًا أن الأزمة ستنتهي بمجرد نزوله من بيت حبيبته، و إفاقتها في غير وجوده، وهو ما حدث، بعدما عاد بصحبة الصيدلي، ليدق جرس المنزل مرة أخرى، وتفتح الأم وهي تطمئنهما على استرداد «أميرة» وعيها، ليستأذنها العاشق الجريء في الانصراف، وقد نال مراده، واستراح فؤاده!

لم يتوقف «زياد» عند هذا الحد، كرر فعلته أربع مرات في شهر واحد، بمعدل مرة أسبوعيًا، حتى كسب ود الأم، التي كانت تشتري كل مرة ذات البضاعة بخمسين جنيهًا فقط، رغم أن سعرها الأصلي يتجاوز ضعف هذا المبلغ، وهو الأمر الذي دفع الحبيب إلى إنفاق أموال الدروس الخصوصية على المنظفات، بعيدًا عن جيوب المدرسين، ومع مرور أسبوع تلو آخر، تعودت «أميرة» على المشهد، وأصبح مألوفًا أن تجد حبيبها على باب منزلها، وأن ترسل له نظرات خاطفة، وابتسامات حانية، تحمل الكثير من المعاني، خاصة أن جراءة حبيبها، جعلتها تتيقن أنه يختلف، جملة وتفصيلًا، عن الصبية التافهين الذين يتهافتون على وصالها.

مر الشـهر بهدوء، واسـتمرت «أمـيرة» قيد المنع من الخـروج؛ حتى إلى الشرفـة، وهو مـا دفع الحبيـب إلى التـمادي في طريق الجنون، وكشـف شخصيته المجهولة لدى شقيقها، بطلب يدها منه في الشارع، ذلك الطلب الذي انتهى بالمشـاجرة الشـهيرة، بشـارع جيهان، إلا أن تلـك المواجهة كانت سـببًا في أول اتصال يتلقاه «زياد» مـن أميرته، التي حفظت رقمه المكتـوب بالخطاب عن ظهر قلب، قبل أن يقع في يد الشـقيق، وأقدمت عـلى الاتصـال به، مختلسـة هاتـف والدتها لدقائـق؛ حتى تطمـئن عليه بعدما وصلها نبأ المشـاجرة، ورأته من خلف نافذة غرفتها الصغيرة، يضع لاصقات طبية حول رأسه الجريح، ومنذ هذا الحدث استمرت الاتصالات بين الحبيبين، وتضاعفت مشـاعرهما، حتى بدأت الفتاة الدراسة بالمرحلة الثانوية، والتحق الشاب بكلية الشرطة.

وبعيدًا عن المشـاجرة، والمنظفات، قاد العشـق «زيـاد» إلى الكثير من التضحيـات، منها الرفت من الكلية، بسـبب تغيبه عنهـا لأيام عديدة، حيـث كان يفضـل البقـاء في المنصـورة على الالتـزام بمواعيـد العودة للكليـة، خاصـة أن فرص رؤية حبيبتـه كانت تتعـارض دائمًا مع تلك المواعيد، لاسيما بعد علم الأخ بما يدور، و إحكام قبضته الحديدية على شقيقته، التي أصبحت لا تخرج إلا بإذنه، حتى إلى شرفتها، وهو ما دفع الحبيب المشـتاق لرؤية عاشـقته؛ ذات العينين الخضراوين الواسعتين، إلى انتظارها على ناصية شـارع جدتها، عندما كانت تذهب إليها برفقة والدتهـا بين الحين والآخـر، بعد أن أصبحت الفرصـة الوحيدة المتاحة

أمام الحبيبين للقاء، ولدقائق معدودة، تختلسها «أميرة» بحجة شراء أي شيء، من أي مكان قريب!

■ ■ ■

تلك الذكريات وأكثر، مرت كشريط أمام عيني «زياد» داخل القطار، بعدما رأى المنشور الأخير على صفحة حبيبته العنيدة، الذي بدأته بجملة «سأبقى كما أنا»، إلا أن ذكرياتهما لم تسهم في خفض معدل غضبه المتصاعد، وغيرته القاتلة، وما زاد الأمور تعقيدًا صورة نشرها ابن العمة على صفحته؛ من حفل الزفاف، وشاركها مع «أميرة» لتظهر على صفحتها، ويراها المسافر ليهب من مقعده، ويخرج إلى نهاية العربة.

أشعل سيجارة، بلهيب قداحته، بينما يشتعل قلبه إثر حريق يتصاعد داخله، كلما قام بتكبير الصورة، ليفاجأ بعدم وجود أي مسافة بين يد حبيبته، ومعصم ابن عمتها، الذي ظهر وكأنه منافس كل همه أن يقتل غريمه من الاغتياظ، خاصة أنه يعلم جيدًا أن «زياد» يسكن قلب ابنة خاله، التي يحبها منذ نعومة أظافره، ولا تعير لعلامات حبه بالًا، رغم مساندة والدها، أو الخال له، حيث كان يرى أن ابن شقيقته هو الأولى بابنته، خاصة أنه كان ناجحًا في عمله، ميسور الحال عن باقي شباب جيله.

وبمرور دقائق، كان «زياد» قد أجهز على سيجارتين وأشعل الثالثة، بينما دمه يحترق بسرعة تتجاوز التهام النار للتبغ؛ وهو الاحتراق الذي

وصلت أدخنته إلى «أميرة» الجالسة بقاعة الأفراح، على بعد عشرات الكيلومترات، حيث أصر الغيور على قلب المائدة فوق رأس الحبيبة؛ التي لم تراع المسافات، ولم تعبأ بأي شيء، ليعلق على الصورة بكلمات مقتضبة، كانت كافية لإيصال رسالة سخطه ووداعه، كتب:

- «منورين.. ربنا يسعدكم».

وفور رؤية «أميرة» التعليق، شعرت بأن حبيبها وضع النهاية، فلم تكن المرة الأولى التي يتشاجران معًا بسبب ابن العمة السخيف، حيث كان سببًا في الكثير من الخلافات، لاسيما مع إصرارها على بقائه بصفحتها في «فيس بوك»، لأنها لا تجد مانعًا في تواجده؛ كواحد من أفراد العائلة، فضلًا عن تيقنها من استطاعتها إيقافه عند الحدود التي تضعها له، وظنها أيضًا أن إقدامها على إزالته من قائمة أصدقائها، سيفتح الباب أمام «زياد» لزيادة تسلطه.. وهو الأمر الذي دفع الأخير للصمت أيامًا وأيامًا، على فترات متباعدة، بعد كل نقاش يحتدم بينهما حول وجود ابن العمة، حتى تحول الأمر مع مرور الأيام إلى مسألة تحدٍ بالنسبة للحبيب الغيور، وصلت ذروتها مع إصرار أميرته على الذهاب للزفاف.

وبحكم العشرة الطويلة، ومعرفتها جيدًا أن ذهن حبيبها لا يقبل التراجع أو الاستسلام، أيقنت «أميرة» أن كلمتي «ربنا يسعدكم» الواردتين في تعليق حبيبها على الصورة المنشورة للتو، هما بمثابة الرسالة الأخيرة، وأنه لا عودة بعد الآن، فالخطأ مضاعف ومركب، فها هي قد ضربت بفرمان

«زياد» عرض الحائط، بحضورها الزفاف، بل وظهرت في الصورة مع ابن عمتها، المحظور الاقتراب منه، جنبًا إلى جنب، إنه خطأ فادح في نظر حبيبها، ولن يُغتفر!

تركت «أميرة» كل شيء حولها، وجلست إلى آخر طاولة بالقاعة، مستغلة انشغال الجميع بتأمل الرقصة الأولى للعروسين، وتفرغهم للهمز واللمز، واستحضرت كل قدراتها الأدبية، التي حرصت على تنميتها لمواكبة ثقافة «زياد» مدمن القراءة؛ الذي كان يهديها في كل مناسبة كتابًا لأشهر أدباء العرب والعالم، بخلاف كلماته التي تعوّد أن يرسلها لها كل مساء عبر الهاتف، فيما مضى، عبر صفحته منذ أن دخلا عالم «فيس بوك»، ليصف فيها مقدار عشقه لها، وهي الكلمات التي أصبحت قادرة؛ مع مرور السنوات، على ملء كتاب من القطع الكبير، وكان آخرها قبل الليلة المشؤومة، التي تعيشها الآن، داخل قاعة الزفاف، عندما كتب على صفحته ليلة أمس، في محاولة منه لإثنائها عن الذهاب للفرح، مهما كانت العواقب:

«مَن يحبك بصدق.. سيفعل المستحيل من أجلك!».

أخذت الحبيبة تفكر في كلمات تكتبها؛ كي تنهي معركة العناد المحتدمة مع نصفها الآخر، والطرف الثاني في عشرة طويلة، بدأت عندما كانت تتمايل بضفائرها الصغيرة، ولم تنته حتى هذه اللحظة التي تجلس فيها بحجابها داخل القاعة، رغم مضي نحو عامين على تخرجها، تحملت فيهما الكثير

من سخط العائلة، بسبب انتظارها غير المبرر لـ«زياد»، الذي أصبح اسمًا مألوفًا يتردد في أرجاء منزلها، منذ مشاجرته المشهورة مع شقيقها.

بل تزايد نطاق هذا الإعلان ليشمل الكثير من الأهل والجيران والأصدقاء، خاصة مع التحاقها بكلية الآداب، ورؤية البعض لهما في مجمع كليات المنصورة، خلال المرات العديدة التي التقيا فيها حتى تخرجها، إلا أن إصرار والد «زياد» على أن يتخذ نجله خطوة الخطوبة بعد التعيين في وظيفة دائمة، جعلت الحبيبين يتحملان أشواق خمس سنوات مرت دون تعيين، بعد تخرجه بكلية التجارة، في نفس العام الذي التحقت فيه أميرته بالجامعة، حيث تزايد الفارق الدراسي بينهما إلى أربعة أعوام، بعد السنة التي أضاعها في كلية الشرطة.

■ ■ ■

ظلت «أميرة» تفكر، وهي تمسك بهاتفها داخل قاعة الزفاف، وأخيرًا وجدت ضالتها، التي يمكن أن تدفع حبيبها للعودة عن عناده، كتبت على صفحتها:

«هو يعاند وهي تعاند.. والزمان بينهما يباعد..

هو يكابر وهي تكابر.. والأيام منهما تغادر!».

وجد «زياد» المنشور أمامه، بعد لحظات من عودته إلى مقعده، ليقرر دخول معركة من نوع آخر، ويبدأ في الرد بمنشور مواجه، وتشتعل حرب منشورات عاصفة بين الطرفين، شاهدها أصدقاؤهما المشتركون

بالموقـع، وهم يعملون؛ بحكم معرفتهم بقصة الحب المشـتعلة بينهما؛ أن كل طـرف منهما يبعث رسـالة للآخر، فهو أمر واضـح لا محالة، خاصة بعدما كتب الغيور:

«ليتك سـقطت من عيني فقط.. سـقوطك الكبير كان من قلبي.. سقوط ليس بعده نهوض ولا عودة!».

تضاعـف احمرار وجه «أمـيرة» من هول كلمات «زيـاد»، لتكتب بعد مـرور دقيقـة واحدة عـلى رؤيتها المنشـور القاسي، جملة أكثر قسـوة، وكأنها تحاول إنهاء حرب المنشورات، كانت:

«اللي يبعد عنك بالساهل.. مش مستاهل».

وقع المنشـور على عين «زياد» كالبرق الخاطف، لتتصاعد نيران الغضب بداخله، فهو لم يتعود على تلك اللهجة من أميرته، ولا يتصور أيضا أنه لا يسـتحق، مثلما كتبت الأخيرة، بعد كل الحروب التي خاضها من أجلها، ليجد نفسه يكتب:

«عندما تمنحهم أكثر من قيمتهم.. توقع أن تفقد قيمتك على يديهم!».

لم تستطع «أميرة» الثبات أكثر من ذلك، أمام قصة حبها التي تنتهي أمام عينيها، وأمام السـخط الذي تحمله كلمات «زياد»، وقررت الانسحاب من حرب المنشـورات، حتى لا يسـقط حبها قتيلًا وسـط العبارات التي تنطلـق كالرصاص، وسرعان ما مسـحت دمعة سـقطت مـن عينها على شاشة الهاتف، محاولة الصمود أمام بعض العيون التي سُلطت عليها، عقب

انتهاء رقصة العروسين، وعودة الإضاءة إلى القاعة، لترسم ابتسامة كاذبة على وجهها، وتنهض تاركة الطاولة الأخيرة، مغلقة هاتفها في طريقها إلى الطاولة التي تجلس إليها أسرتها الصغيرة، محاولة بكل ما أوتيت من قوة الإمساك بابتسامتها، وإيقاف جريان الدموع المتجمدة بين جفنيها.

في القطار، كان «زياد» يجلس على كرسي يجاور باب العربة، ناقمًا على كل مَن يفتحه، خاصة مع سيطرة صداع مزمن على رأسه، جعل تأثير أقل الأصوات على أذنه، كالرعد، ومع صمت «أميرة» بعد منشوره الأخير، وخروجها من خانة المتصلين بالموقع، أدرك أن هدنة قصيرة قد بدأت بينهما، ليمدد قدميه أسفل الكرسي المقابل له، متأملًا كلمتي «مش مستاهل» اللتين انتهى بهما منشور حبيبته، ليسترجع مشاهد من حروبه لأجلها، التي كان أكبرها مع والده، خاصة مع إصرار الأخير على تأجيل ارتباطه بحبيبته لحين حصوله على الوظيفة.

تلك الحرب كلفت الابن كثيرًا بعد تخرجه في الكلية، ودفعته إلى اتخاذ قرارات عدة، منها الرحيل إلى القاهرة، وعدم العودة إلى المنزل طوال عام كامل، كان يعود فيه الخميس من كل أسبوع، ذاهبًا إلى مجمع كليات المنصورة، ليرى حبيبته، ثم يقضي باقي يومه في منزل جدته، ليلتقي والدته هناك، ويسافر ليلًا عائدًا إلى شقة للعزاب في بولاق الدكرور، قضى فيها نحو ستة أشهر بلا عمل، حتى وفر له أحد أصدقائه بالسكن الجديد، وظيفة «محاسب» في شركة كمبيوتر متواضعة، وبالطبع كانت وظيفة مؤقتة.

وكواحد من الشباب المصري، عرف «زياد» مبكرًا أن العمل بشهادته الجامعية، درب من الخيال، ورغم ذلك لم يترك إعلانًا أو مسابقة لوظيفة، إلا كان أول المتقدمين، ولم يقصر يومًا في ملء سيرته الذاتية بدورات الحاسب الآلي واللغة الإنجليزية، وبمرور 6 أشهر على عمله بالشركة، جاء قراره الجريء بتركها، وافتتاح مشروعه الأول مستغلًا الخبرة التي اكتسبها في تلك الشهور القصيرة، ليستأجر شقة صغيرة، ويخصصها لصيانة أجهزة الكمبيوتر وبيع إكسسواراته، قاصرًا عمله على دائرة معارفه الصغيرة؛ التي تكونت عبر رفقائه في شقة العزاب، وأصدقائهم، واستمر في الاجتهاد بها طوال أربعة أعوام، حتى اليوم الذي التحق فيه بالعمل في شركة الاتصالات، منذ عام ونصف، منهيًا مشروعه الصغير، بأرباح مقبولة، مكنته من دفع مقدم شقته الجديدة.

■ ■ ■

سرعان مع نفد صبر «زياد» من ضجيج باب القطار، وصدْم كل مَن يفتحه لكتفه، ليقرر ترك كرسيه، والترجل إلى العربة المخصص نصفها لكافتيريا صغيرة، تستغل الشركة - المديرة لها - ظمأ الركاب، لتبيع الشيء بعشرة أضعافه، وصل إليها سريعًا، ليجلس أعلى كرسي صغير مستدير، بينما تتمايل العربة يمينًا ويسارًا، ويطلب زجاجة مياه غازية، علها تطفئ النار المتصاعدة داخله، وبمرور دقائق، كان قد أجهز على الزجاجة وسيجارتين، مقررًا عدم العودة إلى كرسيه.

لمحت عيناه كرسيًا بلا راكب في النصف الآخر من العربة، أسرع نحوه، ليرى جمالًا لم يصادفه من قبل، إنها فتاة تجلس في الكرسي المجاور للمقعد الشاغر، ذات عينين زرقاوين، وبياض مشع، ينافس نقاء الشمعة، وشفتين صغيرتين يحاصرهما خدان تزايد احمرارهما مع وصوله للكرسي، واستفساره عن المقعد، قبل أن تهز الحسناء رأسها كعلامة على إمكانية جلوسه، وعلى وجهها ابتسامة صافية، بينما خرجت من عينيها نظرة، رشقت كالسهم في قلب الشاب، الجريح.

جلس إلى جوار الحسناء، يتأمل بطرف عينه ما بين يديها، وبالكاد استطاع أن يميز الورقة الصغيرة التي تتراقص بين أناملها، إنها تذكرة القطار، طويت برفق من المنتصف، وأخذت الأنامل التي تشع نورًا تتلاعب بها يمينًا ويسارًا، بينما يرفع الشاب عينيه بهدوء ليلتقط ملامح الجالسة إلى جواره، حتى باغتته بنظرة عميقة، كأنها تعاتبه على تطفله، لينظر أمامه دون تردد، إلا أن الشغف الذي سيطر على عينيه، أجبرهما على الالتفات مرة أخرى إلى التذكرة، ليجدها قد تحولت إلى عدة مثلثات متساوية، وفجأة، ضمت الفتاة أناملها، ليخرج من بينها، مركب ورقي صغير، يحمل بين طياته، رقة أنثى وبراءة طفلة.

نظر الشاب بثبات إلى المركب الصغير، غير عابئ بعيون الحسناء التي تلاحق نظرته الثاقبة، لتنهي الأخيرة الموقف سريعًا، ضامة المركب في قبضة يدها برفق، بينما رفع «زياد» عينه في اتجاه عينها، التي صوبت نظرة أخرى جامدة تجاهه، تنهيه عن الاستمرار في التطفل، لكن تلك

النظـرة كان لها واقع السـحر على قلبه، لترأب الصدع في رأسـه، و يعود للنظر أمامه، وهو لا يعلم؛ كيف تحولت نظرتها إلى مُسـكن للألم، الذي استوطن جمجمته منذ استقلاله القطار؟!

هز «زياد» رأسه يمينًا و يسارًا، كأنه يفيق من صدمة، محاولًا استيعاب ما يحدث له، ومستعدًا لفعل أي شيء؛ كي يفوز بنظرة ثالثة من تلك العينين، وهو الأمر الذي حسـمه سريعًا، بالإمسـاك بعلبة السـجائر، والنظر إلى الجالسة بجواره، واسـتئذانها في الحفاظ على كرسيه، لحين عودته، و بهذا اقتنـص النظرة، واتخذ خطواته نحو عـدة نظرات متلاحقة، بعدما أغلق باب العربة وراءه، وأشعل سيجارته، متأملًا ملامح الحسناء، عبر النافذة الصغيرة، التي يفصلها عن العيون الزرقاء أربعة كراسي فقط.

و بعـد نظـرة تلت أخرى، سـلط الشـاب عينيه على الهدف بـلا هوادة، ليفاجـأ بعينـين الحسـناء ترمقـه بغضـب، ومـع إصراره عـلى مواصلـة تسـليط قرنيتيه، بدلـت الأخيرة جلسـتها في اتجاه النافـذة المجاورة لها، غـير عابئـة بنظرات المتطفل، الذي أشـعل سـيجارة أخـرى، ووقف إلى جـوار الباب، مبعـدًا عينيه عـن صاحبة العينـين السـاحرتين، ومتجنبًا التفكـير في «أمـيرة»، حتـى لا يصبـح بـين حرج هنـا، وجـرح هناك. وما إن رمى «زياد» سـيجارته الثانية في نهاية العربة، حتى وصل القطار إلى مشـارف القاهـرة، ليبقى مكانه منتظرًا دخـول المحطة، بينما كانت الحسـناء تسـتعد لنهاية الرحلـة، ليعـود للنظر إليهـا عبر نافـذة الباب، و يراقب تحركاتها الهادئة في محيط كرسـيها، متأملًا هذا الجمال الذي لم

يـره قبل هذا اليوم، ومحـاولًا وصف مفاتنها في جملة واحدة، مسـتحضرًا كل ما قرأه عن الجمال وسـط مئات الكتب، فشـل وفشـل، فهذا الحُسن لا تصفه الكلمات، استسـلم ليأسه، ثم ابتسم ولسان حاله يقول: لو رآها «نزار» لاعتزل الشعر!

وقـف القطـار، ليبدأ الـركاب النزول، ويقـف «زيـاد» في مكانه نهاية العربة، منتظرًا خروج الحسـناء، لا يعير بالًا للصدامات التي يتعرض لها جسـده مع خروج كل راكب، ولا لحذائه الـذي لونته الأتربة من كثرة المرور عليه، حتى مرت العيون الزرقاء أمام عينيه، في نظرة أبدية، كانت بداية لقصة حب استثنائية!

تتبع خطى الحسـناء عـلى رصيف المحطة، حتى خـرج وراءها، ليجدها تسـير نحـو ميدان رمسـيس، بعيـدًا عن وجهتـه الطبيعيـة، محطة مترو الأنفاق، وبخطوات مسرعة استطاع أن يسبقها، ليقف أمام مدخل المترو ببداية شارع الجلاء، بينما سارت الفتاة في طريقها، ورشقته بنظرة غضب أخرى، ليجد نفسـه يخطو خلفها دون تفكـير، حتى توقفت عند ناصية الشـارع، وبإشـارة منها توقف تاكسي، لتسـتقله غير عابئـة بمَن يتبعها، ويضرب مطاردها كفًا على كف، صابًا لعناته على سيارات الأجرة، عائدًا نحو وجهته، بلا أمل.

❐❐❐

(2)

«قبل أن تتنازل مرة.. استعد للتنازل كل مرة!».

#ريكورد

□□□

فعـل «زياد» كل ذلـك، ولم يفكر لحظـة واحدة في حبـه الأول، وكأن نظرات الحسـناء كانت قادرة على حذف صور أميرته من عقله، أو كأنه قـرر تحاشي التفكير فيهـا بعد كلمتي «مش مسـتاهل»، اللتين قلبتا قلبه رأسًـا على عقب، فلـم يتصور طوال السـنين الماضية، أن شـيئًا يمكن أن يفـرق بينه وبين حبيبة عمره، أو يجعلها تقـول مثل هذه الكلمات، فقط لأنـه يتيقن أنهـا تعرف قدره جيدًا، وتعلم أيضا أنه يسـتحق الكثير، فهو المخلـص الحنون، الـذي لم يفكر بأخرى خلال مسـيرة حبهما، ولم تملأ إحداهن عينيه، سـواء في كليته أو عمله، ولم يقسُ عليها قبل هذا اليوم، الـذي صب فيه غضبه عليها، وهددها بالرحيـل عنها، في تطبيق لمقولة.. اتق شر الحنون إذا قسا!

سريعًـا، نزل «زياد» إلى محطـة المترو، وفي عينيـه ذات البريق الذي لم ينطفئ منذ النظرة الأبدية، التي جمعته بالحسـناء على باب عربة القطار، وأخذ يفكر في ملامحها الهادئة، وجمالها الفاتن، وعيونها الواسـعة، حتى وصل إلى محطة السـيدة زينب، التي شهدت لقاء اسـتثنائيًا جمعه بأميرته قبل عام ونصف، حيث كانت سـاحة لأول عناق بين الحبيبين طوال عقد كامل من الحب، وعمر مليء بالأشـواق والحرمان قضاه بجانبها، لم يسع

فيه للمس أكثر من يديها، بينما كان يراها تكبر بين يديه، وتتفجر أنوثتها يومًا بعد يوم، إلا أنه قرر مبكرًا حمل مسؤولية الحفاظ على حبيبته، من نفسه أولًا، قبل الآخرين.

كان هذا اللقاء، في يوم تسلم «زياد» العمل بشركة الاتصالات، حيث لعبت الصدفة دورًا كبيرًا في وجود «أميرة» ذات اليوم بالقاهرة، بل في مستشفى قصر العيني، على بُعد خطوات من محطة المترو، لمرافقة والدتها التي كانت تجري عدة فحوصات طبية، إلا أنها استطاعت اقتناص نصف ساعة، بحجة لقاء صديقة لها، خلال انتظار والدتها دورها في الطابور المزدحم أمام مركز الأشعة، وبخطى مسرعة وصلت إلى المحطة، لتنتظر حبيبها الذي كان عائدًا من أول يوم عمل بالشركة، وهو الحدث الذي انتظراه طوال خمس سنوات بعد تخرجه، حتى يتقدم لخطبتها، وحدث أخيرًا.

يومها، وصل إلى محطة السيدة متلهفًا للقاء أميرته، التي انتظرت في نهاية الرصيف، لأكثر من عشر دقائق، تحدثا فيها عبر الهاتف، متحملين سخافة الشبكات أسفل الأرض، حتى خرج المترو إلى السطح، ووقف بالمحطة المكشوفة، وبمجرد فتح باب العربة، نزل الأول مسرعًا، راكضًا نحو حبيبته، التي ركضت هي الأخرى في اتجاهه، وعلى وجهها ضحكة تتسع رويدًا رويدًا، إلا أنها لم تعتقد أن العائد من عمله الجديد، سيواصل اندفاعه نحوها، فاردًا ذراعيه، حتى وجدت نفسها داخل حضنه، لتتساقط دموع الفرح من عيونها، بعدما قال «زياد»:

«أخيرًا هتبقي مراتي»!

هـذا المشـهد، وقـع دون أدنى اكـتراث من بطليـه بالـركاب المنتشرين كالجـراد على رصيف المحطة، ورغـم أن العناق لم يدم إلا لحظات، كان له واقع السـحر على قلب «أميرة»، حيث اطمأنت مؤخرًا أن قصة حبها ستحسم قريبًا، لتكون في بيت الزوجية، الذي حلمت كثيرًا بأنها تتقاسم نبضات العشق مع حبيبها، بين جدرانه، إلا أن الحبيبين كانا على موعد مع قرار مفاجئ، أصدرته الشركة بمرور أسبوع على شغل «زياد» للوظيفة، يقـضي بتعيـين الموظفين الجدد بعقـود مؤقتة لمدة عامين، ثـم تحرير عقد العمل الدائم.

ورغم حصوله على الوظيفة؛ المرموقة إلى حد ما، وعلمه بأن تعيينه النهائي صار مسـألة وقت، فإن والده أصر على تعنتـه، رافضًا كل محاولات نجله للخـروج من تحـت وطأته، وإتمام خطوبته قبـل حصوله على عقد عمل دائـم، وهو الأمر الذي ثار عليه الابن بشـدة، ليقـرر الابتعاد عن المنزل عامًـا ونصـف العـام، ويسـتمر في تنفيذ القـرار حتى وصولـه إلى محطة السيدة؛ الليلة بعد لقائه الأول بالحسناء، صاحبة العينين الزرقاوين.

■ ■ ■

ترك «زياد» ذكرياته داخل المحطة، متوجهًا إلى منزله، ليجد هاتفه يعلو بالنغمـة المخصصـة لـ«أميرة»، تجاهـل الاتصال، مرة بعـد أخرى، حتى وصل، ليشـعر بإحساس جديد لم يقتحمه من قبل؛ فهي المرة الأولى التي يدخل فيها بيته، ولا يتخيلها تسـتقبله في أحضانهـا؛ مثلما حلما معًا طيلة

السـنوات الماضيـة، ليعلم أن كرامته قد فازت عـلى إرادته؛ بأن يبقى مع حب عمره مدى الحياة، وأنه لا مفر من الرحيل، وبلا رجعة!

سريعًا، فتح حاسـبه الصغير، ليكتب منشـورًا جديـدًا، ولأول مرة أيضًا لم يخطر بباله الكتابة لأميرته، سـلبًا أو إيجابًا، خاصة مع سيطرة صاحبة العينـين الزرقاوين عـلى ذهنه، ليجد نفسـه يفكر في تلـك الجاذبية غير العادية، التـي كادت تقتلع قلبه من جذوره، وتقدمه على طبق من ذهب للحسناء، في أول لقاء يجمعهما، ليكتب:

«لو رأى نيوتن عينيها.. لأعاد النظر في أسرار الجاذبية!».

في ذات الوقـت، كانـت «أميرة» تجلـس إلى ذات الطاولة، التي شـهدت حرب المنشورات منذ ساعات قليلة، بعدما خرجت من القاعة للاتصال بحبيبهـا، لتعـود بخفي حنـين، وتدخـل إلى صفحته على «فيـس بوك»، وتتفاجأ بالكلمات الرومانسية الخالصة، التي تعلم جيدًا أنها لم تخرج من «زياد» لأجلها، بعد شـجارهما العنيف، وقراره بالرحيل، ليذهب عقلها، وتقتلها غيرتها، وتكرر اتصالها مرة ثالثة، ورابعة، بلا جدوى، بينما يصر الأخير على قراره، والمحصلة.. لا يوجد رد!

اسـتمر «زيـاد» في تجاهل اتصـالات حبه الأول، ومع تكرارها، أمسـك الهاتف بحدة، وقال:

- «مش قلت لك خلاص.. انتِ في طريق وأنا في طريق».

• «اعقل يا زياد.. وبلاش نجرح بعض أكتر من كده».

- «انت خليتي فيها عقل.. بقى أنا مستاهلش.. أمال مين يستاهل.. ابن عمتك إللي بقاله سنين بيتنطط حواليكي.. ومفكرتيش حتى تشيليه من على الفيس».

• «يا زياد..»

- «بلا زياد بلا زفت.. سيبيني أخلص كلامي.. أنا خلاص قرفت.. فرحان قوي بالتصوير جنبك.. وانتِ بتضحكي ومدياله الفرصة.. خليه يشبع بيكي.. من النهارده مشوفش منك تليفون ولا رسالة».

قال كلماته، وأغلق الخط بسرعة، وبعده الهاتف، ثم فتح مذكرته العتيقة، التي كان يدون فيها خواطره، منذ الصغر، قبل أن يحل محلها «فيس بوك» منذ سنوات، بعدما نجح «مارك» في أن يبعدنا عن أقلامنا، وأوراقنا، ومفكراتنا، لنسجل ذكرياتنا يومًا بعد يوم في ساحة زرقاء، يمكن محوها في أي لحظة، بضغطة واحدة من قرصان إلكتروني على زر، لذلك أصبحت صفحات ذكرياتنا مهددة بين اللحظة والأخرى؛ بأن تعود ناصعة البياض!

تأمل «زياد» ما كتبه في المذكرة منذ سنوات، كل خاطرة تحمل ذكرى لا ينساها، ها هي فقرة كتبها في عامه الجامعي الأخير، بعد نهاية مكالمة جمعته بأميرته، تحدثا فيها على أنغام أغنية «الأطلال» لسيدة الغناء العربي، أم كلثوم، ليغنيا معًا «ومن الشوق رسول بيننا.. ونديم قدم الكأس لنا»، ويتلامس صوتهما حد العناق، وسط تنهيدات تملؤها الأشواق، لتفاجأ

«أمـيرة» بعد انتهاء المكالمة، برسـالة من حبيبها، كتـب فيها ذات الفقرة التي سجلها بمذكرته الصغيرة، كانت:

«لم يعد الشوق رسولًا بيننا.. أصبح وحيًا يهبط كل ليلة ليداعبني.. يُجسد ملامحك.. ويشـدو بصوتك.. يقربني لأنفاسك حتى يحاصرني دفئك.. ثم يرحـل مسرعًا بمجرد تلاقي أجفـاني.. فقط لأنه يعلم جيـدًا أن أحلامي ستجمعني بك».

أخذ يقلب في المذكرة، وجد كلمات أخرى كتبها بعد قراره بعدم العودة إلى المنزل، عقب تخرجه، وعقب فقدانه الأمل في الارتباط رسميًا بأميرته، بسـبب تعنت والده، الذي لم يكن يرى الرجل قادرًا على تحمل مسؤولية الـزواج، إلا بعد حصوله على وظيفة دائمـة، وكأن الوالد الحكيم لا يعلم أن الأيام تمضي بلا رجعة، وأن العمر يُسـلب بلا رحمة، ليخاطر بسنوات شـباب نجلـه، في انتظـار حصوله على الوظيفـة، رغم أنه يعلـم جيدًا أن نصف شـباب مصر، تزوجوا دون عمل دائـم، لتتأجل الخطوبة إلى أجل غير مسمى، وتظل أشواقه في مهب الريح، إلا أن الأمل لم يفارق «زياد»، خاصة أنه يؤمن بأن المعنى الحقيقي للتفاؤل، هو التعلق بفرج الله، حتى لو كانت كل المعطيات ضد الإنسان، ليكتب يومها:

« أخبر قلبك أنه يومًا سيفرح.. أخبر حزنك أنه يومًا سيرحل!».

▪ ▪ ▪

أمسـك «زيـاد» قلمـه، بأنامل مشـتاقة للكتابة عـلى الـورق، بعيدًا عن

الشاشـات الإلكترونيـة، خاصة أنه يعلـم جيـدًا أن الأوراق هي الشيء الوحيـد الـذي يتحمـل كل شيء، وأخذ يقبـض على القلم، يسـتدعي ما بداخله من آلام وآمال، كتب:

«لم أعد أنا.. ولم تعد هي.. الأيام غيّرت كل شيء.. إلا أسماءنا!».

أخذ يفكر في حبه الأول، يسأل نفسه، هل بهذه البساطة تقتل حبًا عاش داخلك سـنوات؟ هل تعي جيدًا ماذا تفعل في تلك الإنسـانة التي تحملت غيرتك وسـخافتك عقدًا كاملًا من الزمن؟ هل ستضيع نصف عمر عشته معهـا، نبـض قلبك فيه بعشـقها؟ كيف تجلس الآن وأنـت تعلم جيدًا أن دموعهـا تنهمر دون توقف؟ كيف تريـد أن ترمي كل شيء هكذا دون رحمة؟ كيف يطاوعك قلبك، الذي لم يدق إلا لها؛ على هجرها؟

أجاب عن كل سـؤال بتبريرات واهية، متمسكًا بغيرته العمياء، ورافضًا الرجوع عن تحدي الفراق، وكأن بريق العينين الزرقاوين أعماه، وأفقده النظر إلى من تتربع على عرش قلبه، ليفقد معه صوابه، ويرى الدنيا دون أميرته، بعد أن كان يرى الكون في ملامحها وابتسامتها الصافية.. الآن هو مسحور بجمال الحسـناء، ومركبها الورقي الرقيق، وابتسامتها الساحرة، وجلسـتها الهادئة، التي لم تعر فيها بالًا لهاتفهـا، ولم تكتب عليه كلمة واحـدة طوال الطريق، تلـك المؤشرات جعلته يجزم بأنهـا غير مرتبطة، وبعيـدة عن لهفة الحب، التي تلصق الهواتف في الأيادي، بحثًا عن كلمة من حبيب، أو انتظارًا لمكالمة من عاشق!

اسـتمر في تحـدي الفراق، تـرك مذكرتـه في درج مكتبه، وفتح حاسـبه

الشخصي الصغير، ليجد رسالة على البريد الوارد لصفحته بـ«فيس بوك»، إنها «أميرة» تعاتبه على تجاهله، وتعترف بخطئها، كتبت:

«هتفضل تتجاهل تليفوناتي لحد إمتى.. خلينا نهدا ونتكلم.. عارفة إني غلطانة.. لو سمحت رد.. أنا آسفة».

لم يكتب «زياد» كلمة في المحادثة، وبضغطة واحدة وصل إلى صفحته، كتب بعناد الراحل، وإصرار المفارق:

«حاجات كتير بنخرجها من حياتنا.. وإحنا بنقول يا خسارة.. بعدها بنكتشف إن الخسارة الحقيقية كانت في وجودها.. وده بيبقى تجسيد حقيقي لكلمتين: لعله خير»!

وفي ذات اللحظة، رأت «أميرة» المنشور، لتندم على اعتذارها، الذي لم يقدره «زياد»، مواصلًا عناده كالعادة، ثم عادت إلى صفحتها، وكتبت:

«أول سبب لتدمير أي علاقة.. إحساس طرف أنه سواء عمل حاجة أو معملش.. مش فارقة!»

ومع انتهاء الهدنة في حرب المنشورات، اتخذ «زياد» استراتيجية الهجوم خير وسيلة للدفاع، محاولًا تصوير ما فعلته «أميرة» على أنه نوع من الخيانة، مبررًا تصوره بأنها خانت عهدهما؛ بعدم مخالفة فرماناته، ناهيك عن صورتها بجوار ابن عمتها، التي يجن جنونه كلما نظر إليها، ثم الطامة الكبرى، كلمتا «مش مستاهل»، ليلوح بلفظ خيانة للمرة الأولى في قصة عشقه، ويكتب بغضب:

«لا يستحقون مكانًا في ذاكرتك.. لا يستحقون حيزًا في حاضرك.. لا يستحقون حلمًا في مستقبلك.. الخائنون لا يستحقون أي شيء!»

ذهب عقل «أميرة» بعد أن رأت كلمات «زياد»، ودخلت إلى المحادثة من جديد، وسألته:

«أنا خاينة يا زياد.. قدرت تقولها؟!»

تجاهل سؤالها؛ وجد أنه وصل للمنتهى، وأن أي كلمة أخرى منه ستدمي قلبه هو، قبل قلب حبيبته، اكتفى بما كتبه، وأغلق الجهاز، وجد الساعة تعلن تمام الثانية من صباح يوم جديد، ترك مكتبه، وعبر طرقة صغيرة، راكضًا إلى سريره، استلقى لدقائق محدقًا في سماء غرفته، متذكرًا ابتسامة العيون الزرقاء، أما دموع العينين الخضراوين لأميرته، التي تنهمر بالتأكيد الآن، بعد ما وصلا له، فلم يعر لها بالًا قط، رغم أنه كان أحرص البشر على تجفيفها، فهو الذي كتب يومًا:

«دموع الأنثى.. هي خلاصة إحساسها وأحلامها وآلامها وأشواقها.. فاحرص دائمًا على تجفيف منابعها.. ولا تترك كل هذا يسقط على الأرض»!

لكن يبدو أن «زياد» تناسى ما كتبه، وما فعله خلال الساعات الماضية، واكتفى بنقش ملامح الحسناء في ذاكرته، والتفكير في ردود فعلها على تطفله في القطار، وهدوئها الذي جعله يشعر مع كل نظرة يصوبها إليها، بأنه يدخل واحة هادئة؛ كل ذلك جعله يحاول إقناع نفسه، أن الدنيا لا تقف على أحد، وأنه سيجد الأجمل من «أميرة»، خلقًا وخُلقًا!

صباح اليوم التالي، استيقظ مبكرًا كالعادة، حتى يكون على مكتبه بالشركة، التاسعة صباحًا، فتح هاتفه المحمول، ليجد رسالة صباحية تعوّد أن يقرأها يوميًا، إنها رسالة «أميرة»، التي ترسلها السابعة صباح كل يوم، قرأها لأول مرة دون أن يبتسم، أو يرد، كان محتواها:

«صباح الهنا على عمري أنا.. فاضل 6 شهور بس من النهارده على تعيينك.. مبروك مقدمًا يا حبيبي».

ورغم ظنه أن صباحه الجديد سيخلو من رسالة أميرته، بعد الليلة القاسية، التي اتهمها فيها للمرة الأولى بالخيانة، فإن تلك الكلمات التي ذكرته بقرب موعد استقرارهما المنتظر، ودخولهما عش الزوجية كما تمنيا طوال عقد كامل، لم تحرك ساكنًا، بما فيها من حب وسماحة وطيب خاطر، وتجاوز للجراح!

رمى الهاتف سريعًا، ونظر إلى ملابسه الملقاة هنا وهناك، اختار رابطة العنق التي سيرتديها، وأنهى حمامه الصباحي، راكضًا نحو غرفته، ارتدى ملابسه سريعًا، ثم نظر إلى المرآة، ليجد في الخلفية، صورته المعلقة على الجدار المواجه للمرآة، وهي الصورة التي أصرت «أميرة» على تكبيرها، حتى يضعها في صالة شقته، بمرور أيام قليلة على شرائها؛ كي تضع بصمتها بين جدرانها، لحين زواجهما، الذي أصبح أمرًا غير وارد لـ«زياد»، في تلك اللحظة، التي يتأمل فيها ملامحه أمام مرآة أميرته، قبل أن يخطو نحو الباب، ومنه لمترو الأنفاق، ليصل عمله سريعًا في المعادي.

على هذا الحال، مر أسبوع كامل، من الشد والجذب بين الحبيبين، استمرت فيه حرب المنشورات، والاتصالات، والرسائل، لكن بلا جدوى، مع إصرار الحبيب العنيد على قراره بعدم العودة، رافضًا كل المحاولات البائسة لـ«أميرة»، رافعًا شعارًا كتبه على صفحته في اليوم الثاني للشجار العنيف، يؤكد استحالة رجوعه بعد مخالفتها فرمانه، كان:

«قبل أن تتنازل مرة.. استعد للتنازل كل مرة!».

وهو الشعار الذي ردت عليه «أميرة» في حينه، وبمنشور أيضًا، كتبت:

«لا حرب في حب حقيقي.. ولا خير في حبيب قاتل!».

ومع استمرار تبادل المنشورات بين الطرفين، وصلت قناعة إلى أصدقائهما المقربين، أن شيئًا غير طبيعي يحدث بينهما، ومن هنا بدأت محاولات رأب الصدع، حيث تحدث بعض الأصدقاء إلى «زياد»، الذي رفض إثارة الموضوع معهم بصورة باتة، حتى جاء موعد سفره الأسبوعي إلى بلدته، ليصل المنصورة متيقنًا أن عينيه لن ترى حبيبته، وأنها الرحلة الأولى التي سيعود منها دون لقائها، طوال سنوات من الذهاب والإياب.

وما زاد الأمر سوءًا، أن والدة «أميرة» قررت التدخل، بعدما رأت ملامح الانهيار على وجه ابنتها، الذي لم تفارقه الابتسامة أبدًا، لتتصل به من رقمها، الذي يحفظه عن ظهر قلب؛ خاصة أنه كان أول رقم تتحدث منه حبيبته منذ 10 سنوات، قبل أن يصبح لها هاتفها الخاص، ورغم أن فكرة عدم الرد قد وردت على ذهن «زياد»، ظنًا أن «أميرة» لجأت إلى

الاتصال عبر رقم والدتها، لتجبره على الرد، لاسيما مع علمها بكم الود الذي يجمعهما؛ منذ زمن سلة المنظفات الشهيرة، إلا أنه قرر الرد، ليفاجأ بالنبرة الحزينة للسيدة، التي لم يتعود على سماعها قط، قالت:

- «واحشنا يا زياد.. بقالنا كتير مش بنشوفك.. طمني عليك».

رد بصوت أجش، حمل بين طياته الكثير من الإصرار:

• «وإنتِ أكتر يا ماما، سامحيني مشغول شوية.. اطمني أنا كويس الحمد لله».

- «باين على أميرة إنها زعلانة قوي، وأنا حبيت اتطمن عليكم».

• «مفيش حاجة، كانت خلافات بسيطة.. وإنتِ عارفة إن أميرة غالية عندي».

- «طيب عاوزين نشوفك الإجازة دي، ولا إحنا بنشوفك وأنت مندوب مبيعات بس؟».

• «ياه يا ماما لسه فاكرة.. كانت أيام حلوة قوي.. سامحيني أنا مسافر كمان شوية.. فرصة تانية إن شاء الله».

- «توصل بالسلامة يا زياد.. أشوفك على خير».

• «إن شاء الله.. مع السلامة».

انتهت المكالمة بشكل غير متوقع، فهي المرة الأولى التي يرفض فيها الشاب طلبًا لحماة المستقبل، أو يرد على كلماتها الضاحكة بهذا البرود، خاصة أنها

قدمت الكثير من التضحيات من أجل سعادة ابنتها، واستمرار علاقتها به طوال تلك السنوات، رافضة بحزم كل محاولات زوجها لإخراج «أميرة» من تلك العلاقة المرتبكة، التي استمرت طويلًا دون أي رسميات، لاسيما مع وجود ابن العمة، وترحيب الأب به، لتصبح للسيدة مكانة خاصة في قلب الشاب العنيد، وللأسف لم تشفع تلك المكانة في حل الأزمة الأخيرة، لتنتهي المكالمة، وتنتهي معها آمال «أميرة» في رؤية حبيبها، و إنهاء الخلاف المتصاعد، فلا أمل بعد كسر خاطر والدتها على يده.

لم تمر دقيقتان، حتى أصيب «زياد» بنوبة غضب عارمة، ملقيًا اللوم على «أميرة» بسبب وضعه في هذا الحرج، فهو يعلم جيدًا أنها كانت تجلس بجانب والدتها، خلال المكالمة، ليتضاعف إصراره على العناد، خاصة أنه نبهها أكثر من مرة، بألا تخرج خلافاتهما إلى أي إنسان كان، وهو الأمر الذي دفعه إلى كتابة منشور تحذيري، قبل نزوله من المنزل، عله يردع حبيبته عن التحدث حولهما مع أسرتها وصديقاتها، التي تحدثت إحداهن معه، قبل وصوله للمنصورة، تلومه فيه على دموع «أميرة»، كان المنشور:

«يدخل الحب غرفة الإنعاش عندما يصمت طرفاه.. ويموت عندما يبدأ مَن حولهما الحديث فيه!».

كتب تلك الكلمات، واستعد للسفر، وضع قبلة على جبين جدته، التي تحملته كثيرًا، وصبرت على جنونه منذ طفولته، وغفرت له الكثير من

الكوارث، حيث كان عشـقه لها بلا مدى، وحرصـه على التبرك بدعائها لا ينتهـي، خاصـة مع تيقنه أن ذلك الدعاء هو الذي يفسـح له طريقًا في هـذا العـالم، لذلك أوصاها بأن تدعو له في كل صـلاة، حتى يلطف الله فيما قدره.

في طريقه للمحطة، أخذ «زياد» ينظر يمينًا ويسـارًا، شعر بحكم الحب الذي يشـعل قلبه، أن هناك لقاء وشـيكًا سيجمعه بأميرته المجروحة، مر بشـارع جيهان، ليذكر المشـاجرة الدامية، التي اشـتعلت قبل أعوام مع شـقيقها، دمعت عيناه حزنًا على تلك الذكريـات، المهددة بالموت داخل ذاكرته، بعدما أصبح على شـفا رحيـل لا رجعة منه، وفراق لا راحة فيه، فمهـما حاول إنكار حزنه الدفين، والادعاء بأن الحياة ستسـير دون حبه الأول، وأن الكـون فيه من الجميلات الحانيـات الكثير، فإن قلبه القتيل، مازال ينزف دمًا، وأفكاره المتصارعة في عقله لم تتوصل لاتفاق حاسـم، رغم قراره الجازم!

وبالفعل، وعلى بُعد خطوات من محطة القطار، كانت «أميرة» تقف بعينين شاحبتين أضاعت الدموع بريقهما، وملابس غير متناسقة، وحجاب غير مُحكم يكشـف بداية خصلات شعرها، في مشهد لم يره «زياد» من قبل، فهـي الجميلة الأنيقة دومًا، التي تواجه الأحـزان بثبات، وتقهر الأوجاع بالابتسـامات، هكـذا رآها طوال 12 عامًا، لم يهمهـا فيها عقاب أب، أو تسلط أخ، أو كلام الناس.

تقدم «زياد» بخطى مسرعة نحو حبيبته، ناظرًا إلى عينيها الذابلتين، مادًا يده إلى حجابها، غطى شعرها بإحكام، وقال بصوت مرتعش، لم تعتده «أميرة» أيضًا من قبل:

- «إيه إللي عاملاه في نفسك ده؟!»

رفعت عينيها المملوءتين بالدموع المتجمدة، وردت:

• «أنت اللي عملت كده فيّ».

وسرعان ما احتدم الحوار:

- «مش هعاتب.. ولا هتكلم في تفاصيل.. خلاص خلصت».

• «لازم تتكلم.. مش هتضيع 12 سنة من عمري عشان جنانك».

- «مش أحسن ما تعيشي حياتك مع واحد مش مستاهل».

• «أنت عارف إني مقصدش.. وبعدين أنا برضه طلعت خاينة في الآخر».

- «طبعًا خاينة.. لما نكون متعاهدين على حاجة.. ويحصل غيرها.. تبقى دي خيانة».

رفعت حاجبيها معلنة رفض ما يقوله، ثم سألته بحدة:

• «يعني كل اللي بتروح فرح تبقى خاينة؟!»

- «والله.. هو أنتِ يعني مش عارفة مين كان في الفرح؟».

• «طبعا عارفة.. عيلتي وقرايبي.. واللي مضايقك ده واحد منهم».

- «آه.. واحد بيطاردك من صغره.. وأبوكِ عاوز يجوزهولك.. و إنتِ عارفة ده كويس.. وبرضه مش همك».

• «أنت هتفضل مُصر.. اعقل بقى وبطل الكلام ده».

- «اديني عقلت.. وبقولك تاني أنتِ في طريق وأنا في طريق».

• «هتقول كده تاني.. يا زياد متضيعناش من بعض.. فاضل 6 شهور وحلمنا يتحقق».

- «ولو فاضل يوم حتى.. بقالي سنين بقولك بلاش البني آدم ده.. وانتِ مصرة تخليه قدامي.. مرة فيس ومرة فرح.. كفاية بقى».

• «لآخر مرة بقولك.. متضيعناش يا زياد».

- «إحنا ضعنا خلاص يا أميرة».

قال جملته الأخيرة بسخط شديد، نهر يدها التي كانت تقترب ليده، أخذ خطوة إلى اليسار، وسار مسرعًا في اتجاه المحطة، دون أن يلتفت خلفه، أو يعبأ بندائها الأخير له، مسيطرًا على دموعه التي كادت تنهمر لولا إجباره لعينيه على التماسك، حتى وصل الرصيف ليجد القطار قد قطع نصفه، ركض وراءه، وبالكاد استطاع التشبث بباب عربة، والقفز داخلها، ليبدأ طريق عودته إلى القاهرة، ويخطو أول خطوة في درب الفراق الطويل.

■ ■ ■

للمرة الأولى، لم يحرص «زياد» على شراء تذكرته المعتادة بالدرجة الثانية، خاصة أنه لم يحدد موعد عودته من تلك الزيارة الخاطفة، والثقيلة جدًا بالنسبة له، بدأ خطواته داخل العربات المكتظة بالركاب، متجهًا إلى كافيتريا القطار، فهناك فقط سيجد كرسيًا يجلس عليه، بين ثلاثة كراسي يتبادل عليها الزبائن؛ إذا كان هدفهم من الذهاب للكافيتريا، يتشابه مع هدف «زياد»، إلى أن تتوالى المحطات، ليفرغ القطار بعض حمولته من البشر في كل منها، وقد كان، حيث اقتنص الأخير مقعدًا، وأشعل سيجارته المعهودة، وأمسك هاتفه، وبدأ التصفح في «فيس بوك»، وبالطبع دخل صفحة «أميرة»، ليجد منشورًا ناريًا، كتبته منذ دقائق معدودة، معلنه فيه قبولها التحدي، وموافقتها على الفراق، كان:

- «هو لا يستحق أحزانك وأوجاعك.. اتركِ الذكريات وراء ظهركِ.. وقولي بثباتٍ: الآن.. أنا حرة!»

اكتفى «زياد» بضغط إعجاب على المنشور، معتمدًا قرار الفراق، بعد قبول طرفيه، شعر بغصة في قلبه، وترك هاتفه جانبًا على طاولة الكافيتريا، وضع خديه على يديه، وأغمض عينيه غير عابئ بأحد، ليعود شريط الذكريات في الدوران، ارتفعت أصابعه لتغطي جفنيه، كانت دموعه على شفا السقوط، أدرك أنه ارتكب حماقة كبيرة، ثم أقنع نفسه بأنه على صواب، وأنه لو تنازل هذه المرة، وعاد عن قراره، سيتنازل كل مرة، ملقيًا المسؤولية على «أميرة»، فلو لم تذهب للفرح، لما حدث كل هذا.

أخذ يمرر أنامله بقوة بين جفنيه، كأنه يفيق من كابوس، ثم أخرج كتابًا من حقيبته الصغيرة، وبدأ يقرأ بتركيز، مرت محطة وراء أخرى، وفي كل منهـا يزداد الزحام، إلى أن دخـل القطار محطة بنها، ليبـدأ بعض الركاب في النـزول، ويتصـارع الباقون على الكراسي الشـاغرة للتـو، وكان هو أحدهم.

ببضع خطوات واسـعة، وصل الشاب الحزين إلى منتصف العربة التالية للكافيتريا، سـلط نظره من أعلى ليجد كرسـيًا شـاغرًا، خـشي أن تخبره الجالسة بجوار المقعد، أن أحدًا يجلس عليه، وقد ذهب هنا أو هناك، وصل سريعًا حتى يسـألها، تسمر في مكانه، بينما شفتاه لا تريد الانطباق، إنها ذات الحسـناء، صاحبة العينين الزرقاوين، التي جلس بجوارها الأسبوع الماضي، في ذات القطار، ليجد نفسه يرسم ابتسامة تحدت أحزانه الدفينة، ويشـير بيده إلى الكرسي المجاور لها، محركًا رأسه أعلى وأسفل، دون أن ينطق كلمة واحدة، لترد الفتاة بثبات:

- «في حد قاعد هنا».

وبخطوات يائسـة أكمل سـيره حتى نهاية العربة، وهو يظن أن الحسناء قـد رفضت مرافقته في هذه الرحلة، وأن أحدًا لا يجلس على الكرسي إلى جانبها، لكنه وسـط كل هذا، شعر بسـعادة بالغة، حيث أيقن أن القدر قـد منحه فرصة ذهبية، فالحسـناء أمامـه للمرة الثانيـة، ولذلك لم تتبدد ابتسـامته، حتـى وقف في نهاية العربة، ينظر عـبر ذات النافذة الصغيرة،

التي سـلط عينيـه عليها من خلالها، قبل أسـبوع، ولم تمـر دقائق، حتى اسـتعاد كامـل بهجته، عندما وجد شـخصًا يسـير نحـو المقعد، ويجلس عليه بالفعل، ليعلم أنها لم تكذب، أو ترفض جلوسه بجوارها، ومرافقته الرحلة.

ظل ينظر عبر النافذة، مسـلطًا عينيه على الحسناء، غير مصدق ما حدث، شـاكرًا القدر على هديتـه الثمينة، ومفكرًا في حيلـة تمكنه من الحديث معها، داعيًا الله بأن تكون المحطة القادمة، هي مقصد الجالس بجوارها، إلا أن الحـظ أبى مسـاعدته أكثر من ذلك، لتمر المحطـة دون أن يتحرك سـاكن، ويبقى الراكب في مكانه، ليشعل سـيجارة وراء أخرى، رافضًا التزحـزح من مكانه بآخـر العربة، رغم نزول راكبين كانا يجلسـان في الكرسـيين الواقعين خلف صاحبة العينين الزرقاوين، حيث فضل البقاء أمـام جفنيهـا، حتـى يختلس أكبر قـدر من النظـرات، واختلـس كثيرًا وكثيرًا.

وفي محاولة منها للهروب من نظراته الثاقبة، التي تعلم جيدًا أنها تستهدفها منذ رؤيته لها بالقطار، أمسكت الحسناء بحقيبتها، مستخرجة كتابًا، لم يستطع صاحب النظرات تمييزه عن بُعد، أخذت تقرأ، وتقلب الصفحات برقـة فاتنة، ليعلم الأخير الشيء الأول الذي يجمعهما، الشـغف بالقراءة، ويجد من الكتاب فرصة لجـذب أطراف الحديث معها، لكن أين ومتى؟ وكل الطرق مغلقة أمامه، على كل حال فضّل البقاء في موقعه، منتظرًا أن يمنحه القدر هدية أخرى، من عطاياه الثمينة، وهو ما حدث!

بعـد دقائـق، وصـل القطـار إلى القاهرة، ظـل «زياد» على البـاب، رغم التزاحـم الذي كاد يخلعـه من مكانه، حيث امتلأت المسـافة الواقعة في نهايـة العربـة، التـي لا يتجاوز محيطها المـتر بكومة من البـشر، ليدخل الشـاب في صراع على البقاء؛ محله، وسـط قدم تصدم هنـا، وكتف تنغز هنـاك، وبالكاد تحمـل المأزق، بينما تبقت الحسـناء في مقعدهـا، متابعة ما يحدث نهاية العربة، ومنها معركة صمود الشـاب أمام التدافع بسـباق النـزول، وكأنها تعلـم وحدها، دون باقي الركاب، أنهـا المحطة الأخيرة، ولن يتحرك القطار شبرًا واحدًا بعدها.

وقف «زياد» متأملًا موقفها، بابتسـامته التـي لم تتبدل ثانية واحدة منذ استفسـاره عن المقعد الشـاغر بجوارها، ثم نهضت من كرسـيها بهدوء، بعدما أمسـكت حقيبتها، وخطت بتأنٍ وسـط العربـة الفارغة، التي لم يبق فيها سـواهما، ورسمت ابتسامة خطفت قلبه، حتى أصبحت أمامه، لم يسـتطع لملمة شـتات نفسـه، وخانته جرأته المعهـودة ليتصبب عرقًا، ورغم ذلك التخبط، حافظ على ابتسـامته، التي شـعر بها تعانق نظراتها عنـد تمايلها للنزول مـن العربة، ليراها من أقرب مسـافة، وتتزايد دقات قلبه، التي كادت تقف احترامًا لجمالها.

لحقها الشـاب سريعًـا، وخطى وراءها صامتًـا، متأملًا خطاهـا المتأنية، وتمايلها برفق؛ كزهرة وسـط نسـمات الربيع، وكأنـه لا يريد انتهاء هذا الحلـم الجميـل، الذي يـراه يتحقـق عـلى أرض المحطة، حتـى وصلا إلى مخرجهـا، ليضع يده على قلبه، فها هو الواقـع يتحول إلى كابوس مزعج،

#ريكورد

بعبورها إلى بداية شارع الجلاء، واستقلالها تاكسي كالعادة، عندها أيقن أنه لا وقت أمامه، فإما أن يقتنص الفرصة، أو يفقد الحسناء مرة أخرى، وربما أخيرة.

هنا، كانت هدية القدر الثانية، والثمينة، عندما خالفت الحسناء الظن، ونزلت إلى مدخل مترو الأنفاق، بالجلاء، كاد «زياد» أن يطير في السماء من الفرحة، واستغل الفرصة بذكاء، سابق خطاها مهرولًا على الدرج، حتى وصل شباك التذاكر بسرعة فائقة، واشترى تذكرتين، وقبل حصوله على باقي ما دفعه، كانت صاحبة العيون الزرقاء تقف جانبه أمام الشباك، ليباغتها بابتسامته المرحة، قائلًا:

- «فرصة سعيدة جدًا».

وبابتسامة أكثر مباغتة، ردت الحسناء:

• «شكرًا».

حصل على أمواله الباقية من الصراف، مشيا جنبًا إلى جنب، حتى وصلا إلى بوابات العبور، أكمل خطته، التي دبرها في القطار، فور رؤيته الكتاب بين يديها، وسألها:

- «إللي كنتِ بتقريه.. رواية؟».

عبرا معًا بوابتين متجاورتين، أكملا السير في اتجاه السلم الكهربائي، وبنفس الابتسامة الرقيقة ردت:

• «أيوه.. أولاد حارتنا».

- «نجيب محفوظ.. وكمان أولاد حارتنا».

• «وليه الاستغراب ده؟.

- «حسستيني إن لسه في أمل».

• «في إيه؟».

- «في البلد دي.. أنا كنت خلاص حسيت إن الكلام التافه هو بس اللي بيتقرا».

• «طيب الحمد لله.. أستأذنك بقى».

- «قبل ما أعرف اسمك؟».

• «معلش».

وأمام الخجل الذي لون وجه الحسناء بالأحمر، رفع «زياد» صوته بمرح، قائلًا:

- «قدري حتى تضحيتي وأنا باتبهدل في آخر عربية القطر، ومستنيكي!».

هزت رأسها بابتسامة، جمعت بين الرقة والمرح، وردت بحماسة:

• «ماشي.. اسمي سارة.. حاجه تانية؟».

- «انتِ بتسافري كل جمعة؟».

وبضحكة خطفت قلبه، اعتبرها عهدًا بلقاء ثالث، يجمعهما الجمعة المقبلة، كانا قد وصلا إلى رصيف حلوان، وانطلقت صافرات الإنذار، تعلن قرب مجيء قطار الأنفاق، استدارت سريعًا، في طريقها نحو عربة السيدات، بينما عيناه تتسعان مقتفية آثارها، ويداه تحتضن حقيبته الصغيرة، التي تحوي حاسبه الشخصي، ومع الزحام، تاهت «سارة» وسط الحشد، ليضم الحقيبة إلى صدره بقوة، ويلف في دائرة كاملة تحت تأثير سعادة غامرة، رافعًا يده كالمنتصر، قبل أن يصعد لعربة المترو، ويقف بجوار الباب، أملًا في أن يحدد المحطة التي ستنزل بها، وقد كان.

أخذ يفكر في كل ما جرى، ويزداد انبهاره بالحسناء، جمالها، صوتها، رقتها، والميزة الأجمل وسط كل هذا في نظره، ثقافتها، التي كشفتها «أولاد حارتنا»، تلك الرواية البديعة، المثيرة للجدل، التي حاول المصريون اقتناءها بكل الطرق، لعقود طويلة، قبل أن تُنشر في مصر مع بداية الألفية الجديدة، وتتسبب قبلها في محاولة اغتيال الأديب العالمي، رحمه الله، وأطال في عمر أعماله.

وفي المحطة الرابعة، وبعد غلق القطار أبوابه، رأى «زياد» خاطفة قلبه تسير على رصيف محطة سعد زغلول، التي تفصل بينها وبين السيدة زينب، مقصده ووجهته، محطة واحدة، كاد غضبه أن يحطم زجاج باب العربة دون لمسه، إلا أن موعد الجمعة المقبلة هوّن عليه همّ فقدانها تحت الأرض، وسرعان ما وصل محطته، ليخرج من القطار متوجهًا للدرج سريعًا، غير مهتم؛ للمرة الأولى؛ بالنظر إلى مكان عناقه

الأول لـ«أمـيرة»، وكأن حبها قد تبدد بداخله، في المسـافة الواقعة بين المنصورة والقاهرة!

وصـل «زيـاد» إلى منزلـه، متأمـلًا في كل خطوة بطريقـه، أحداث هذا اليوم الاسـتثنائي، الذي بدأ بـوداع وانتهى بلقاء فتح أمامـه أبواب الدنيا على مصاريعها، وقبل أن ينام، خطا إلى مكتبه بشغفٍ، وأخرج مذكرته، ليكتب نفـس الجملة التي نشرها على صفحته، بعد أن ظل نصف سـاعة محدقًا في سماء غرفته، باحثًا عن وصف لـ«سارة»: خلقت لأعشقك!

❏❏❏

(3)

«أصعب ما في الحب..
أنه بداية واضحة لنهاية غامضة!»

#ريكورد

□□□

صباح اليوم التالي، استيقظ «زياد» بأعجوبة، في التاسعة والنصف، بعد موعد جلوسه إلى مكتبه بنصف ساعة، كان منبه هاتفه يرن من السابعة كالعادة، ليفتح عينيه ثواني معدودة، ثم يختار الدخول في غفوة تمتد عشر دقائق، ليعيد المنبه محاولات إيقاظه، لكن دون جدوى، وبعد غفوتين وثالثة، أنهى الراكض بين الحلم والواقع تفعيل التنبيه، ليدخل في نوبة نوم ثقيلة، غير عابئ بأي شيء.

كان الشاب واقعًا تحت تأثير الطلة الأولى لـ«سارة» في أحلامه، ليرى نفسه بجانبها في مكان فسيح، تمد إليه يدها الرقيقة، ويلتقطها بشوق ويقربها إلى شفتيه، واضعًا أول قبلة عليها في أحلامه، قبل أن يسمع صوتها يعلو بكلمة بحبك، ليقرر بعد سماعه تنبيه هاتفه للمرة الأولى، أن يكمل الحلم، مهما كانت العواقب.

إلا أن القدر لم يكتب لحلمه البقاء طويلًا، حيث اختفت الحسناء من مشاهد عقله الباطن، بعدما رفعت صوتها بأول كلمة حب، سمعها الغافي السارح في خيالها الحاني، ليحاول بكل ما أوتي من خيال؛ أن يعيدها إلى أحلامه، متقلبًا بسريره يمينًا ويسارًا، واضعًا رأسه تحت مخدته تارة، وأعلاها تارة أخرى، لكن دون جدوى، وكأنه لا يعلم أن الأحلام

لا يستحضرها البشر، حتى انتهت محاولاته اليائسة، ليفتح عينيه، ويمسك هاتفه، ويفاجأ بتأخره عن عمله، بوقت غير قليل، ويقرر البقاء مكانه، وعدم التحرك خطوة نحو أي مكان، لتكون المرة الأولى التي يتغيب فيها عن عمله، دون عذر أو اعتذار.

بقي في سريره، وأمسك هاتفه، وكما توقع، لم يجد الرسالة التي تعوّد أن يفتح عليها عينيه كل يوم، كلمات «أميرة» الصباحية، مر الأمر عليه بعدم اكتراث، فهو يعلم أن النهاية قد حُسمت، وأنه من الخطأ أن ينتظر أي شيء اعتاد عليه، طوال 12 عامًا مضت، صابًا كل تفكيره في هذا الحب الجديد، الذي يقتحم قلبه بلا هوادة، ليغير مسار إحساسه نحو العيون الزرقاء، راميًا كل شيء وراءه.

لم يهتم المستيقظ بفتح صفحته على موقع التواصل الاجتماعي، أو صفحة «أميرة»، أو حتى مشاهدة آخر ظهور لها على «واتس آب»، كما تعود كل صباح، حتى يرسل لها باقة ورد تتوسط قُبلتين؛ كانت من الثوابت المقدسة في قائمة أعماله الصباحية، وقبل فعل أي شيء، ورغم هذا لم يعر اهتمامًا لهاتفه من الأصل، وامتدت يده إلى مذكرته العتيقة، التي نامت بين أحضانه، ثم أمسك قلمه وكتب:

«أول مرة أشوفها في الحلم.. أول مرة أسمع منها كلمة بحبك.. امتى الزمان يسمح.. وأسمعها في الواقع.. وقتها هتبقى بين إيديا.. ومفيش حاجة في الكون هتبعدها عن عينيا».

أغلق مذكرته، ضرب كفًا على كف، غير مصدق لكل ما يحدث، فكيف يفعل أسبوع من الزمن كل هذا في حياته، ليتبدل حال قلبه دون أي مقدمات، ويجد حبًا ينمو بداخله، قاتلًا كل مشاعره تجاه من ملأت حياته سنوات طويلة، ليتعجب مما فعله القدر، الذي جعله يلتقي «سارة» للمرة الثانية، في نفس اليوم الذي ترك فيه «أميرة» بدموعها أمام محطة المنصورة، ويندهش أيضًا من تلك الزيارة غير المتوقعة، التي جابت فيها الحسناء أحلامه، بمرور ساعات فقط على لقائهما الثاني، سائلًا نفسه: هل استطاعت أن تصل إلى عقله وقلبه في آن واحد؟ وبهذه السرعة؟!

كان «زياد» يؤمن بأنه في زمن أصبح فيه صدق المشاعر، شيئًا نادرًا، ودربًا واعرًا، وأن القدر هو الذي يحسم كل شيء، فقد قدر الله نصفه الثاني الذي سيكمل معه حياته، قبل ولادته بأزمان وأزمان، ليتلاقيا في الموعد المحدد لاكتمالها، بينما يبقى الحب أداة فقط لتنفيذ تلك الإرادة القدرية البحتة، يزرعه الخالق في قلب كل إنسان تجاه نصفه الآخر، ليلتقيا دون أدنى ترتيب، وينبض قلب كل منهما للآخر، ويقرران أن يكملا معًا حياتهما، متحديين العالم بأسره، يتقاسمان العشق والأحلام، ويخففان عن بعضهما مرارة الأيام.

وبمنطق «من الحب ما قتل، ومن الحب ما أحيا»، وجد «زياد» نفسه أمام حب يحيي كل ما بداخله من مشاعر، بعدما كادت تذبل بفعل غيرته وجنونه، والأزمات المتصاعدة في قصة حبه الأولى، والمتأججة منذ سنوات طويلة، بين تعنت والده، وإصرار والد «أميرة» أيضًا على عدم

إتمـام أي خطوة رسـمية، إلا بمباركة أبيه، وحضوره بنفسـه لطلب يدها، وهو ما كان يرفضه الأخير، لحين تعيين نجله في الوظيفة الدائمة.

■ ■ ■

بعيـدًا عن تلك الذكريات، كان «زياد» يشـعر بأنـه يدخل إلى الواحة الهادئـة، التـي امتدت حوله منذ رؤيته «سـارة»، ليلة أمـس، ومن دون سـابق إنذار، مفكرًا فيما سـيقوله لها خلال اللقاء المقبل، الجمعة المقبلة، متمنيًـا أن يتحكـم بسرعـة الزمن، حتـى يراها الآن، ويُنقـذ من عذاب الانتظار، الـذي يمر فيه اليوم بعام كامل، وتطعن فيه السـاعات القلوب المشتاقة، بخنجر بارد.

وبعد سـاعة، قـرر صاحب القلـب الهائم في ملكوت العشـق، النهوض أخـيرًا، ليخطو نحـو الصالة، وفي عينيه صورة ضحكة الحسـناء التي لم تفارقه أبدًا، واقعًا تحت تأثير حب جديد يجتاح قلبه، ويؤرق ذهنه، قبل أن يقف فجأة أمام صورته المعلقة في الجدار المقابل للمرآة، ويتذكر أمام ضحكته التي تحاصرها أضلاع الصـورة، الدموع التي تركها متجمدة في عين «أميرة» قبل سـاعات، حين أعطاها ظهره متجاهلًا حالتها التي يرثى لها، على باب محطة المنصورة.

دفعه فضوله للتحرك نحو مكتبه، وفتح حاسـبه الشخصي، والدخول إلى صفحتها، ليرى ما سجلته في يومياتها، ويجدها قد كتبت:

«إذا تـركك وحدك.. لا تربط اسـمه يومًا بالحـب.. مَن يحبك بصدق لن يتخلى عنك».

واستمرارًا لحالة اللامبالاة، التي انتابته تجاه حبه الأول، منذ رؤيته صاحبة الضحكة الفاتنة، في عربة القطار، وجد نفسه غارقًا في حالة عشق، لا يريد النجاة منها، أو التفكير في سواها، أو الكتابة عن غيرها، بعد أن بدأ يحلم بحياة أفضل، تنسيه آلام أعوام من العشق اليائس، ليلملم أركانه المتناثرة، بين حب يرحل عنه، وآخر يقترب منه، ويكتب اعترافًا في منشور غير تقليدي، إن لم يكن كارثيًا، كان:

«الحب الحقيقي يأتي مرة واحدة في العمر.. ينسينا آلام الأيام.. نعيش معه الواقع والأحلام.. هذا الحب وجدته معكِ فقط، يا صاحبة العين الزرقاء!».

كانت «أميرة» في توقيت المنشور، تقلب في صفحة حبيبها المفارق، ترى ما كتبه لها طوال خمسة أعوام، قضاها على هذا الموقع، رغم أنها تعاهدت أمام نفسها، بعدم فتح صفحته مرة أخرى، بعد ما فعله بالأمس، إلا أنها تراجعت عن عهدها بمجرد استيقاظها، مفزوعة من كابوس مؤذٍ، رأت فيه ثعبانًا يلتف حول «زياد»، لتخرج منها صرخة سمعتها والدتها، التي كانت تقف في المطبخ؛ الواقع أقصى المنزل، لتركض إلى غرفتها، وترى فزعها، وتضمها في حضنها الحاني، حتى هدأت قليلًا، لتسرد لها ما حلمت به، وتفسره الأم بدقة، حيث قالت إن ما حدث بالحلم، يشير إلى أن إحداهن تنسج شباكها حول الشاب.

ومع عدم اقتناع الابنة بتفسير الأحلام من الأصل، اكتفت بالاطمئنان

على «زياد» من القلق الذي انتابها منذ استيقاظها، فتحت موقع التواصل، الذي بات حاليًا الوسيلة الوحيدة للاطمئنان عليه، لتجده متصلًا، ويهدأ قلبها الخائف من الكابوس الخاطف، وتبدأ في التجول داخل صفحته، ومع كل منشور، كانت تستعيد ذكريات حبها الضائع، ومنها كلمات كتبها حبيبها منذ أسابيع قليلة، حتى يشعرها بلهيب أشواقه المحترقة، كانت:

«يا أميرة الكون.. أنا فارس أرهقتني الأشواق.. متى نلتقي لأعمِّر مملكتك عشقًا؟!

قرأت أيضًا ما كتبه حبيبها، بعد معركة طاحنة، شهدها منزلها فور تخرجها، عندما هددها والدها بإتمام خطبتها إلى ابن عمتها، الذي طلب يدها مرارًا وتكرارًا، إذا تباطأ «زياد» عن التقدم إليها لأكثر من أسبوع واحد، وهو الأمر الذي قابله الأخير بتحدٍ صارخ، بعدما نقلت إليه حبيبته ما حدث، ليكتب على صفحته قبل أن ينزل من منزله، في ذات الليلة:

«سيظل الحب الدافع الأقوى.. لأجله فقط نقهر المستحيل».

بمرور دقائق على كتابته تلك الكلمات، كان «زياد» يقف أمام منزل حبيبته، ضاغطًا على الجرس بعزم، وكأنه يريد الانتقام منه، ليضربه بشكل مبرح، حتى فتح شقيقها الباب بضجر، ولم يعطه الأول أي فرصة لقول كلمة واحدة، طالبًا إياه بإبلاغ والده، أن هناك من ينتظره

لمسألة حياة أو موت، وبعد أقل من دقيقة، كان الشاب الجريء داخل منزل أميرته، يتحدث إلى والدها المتعنت، عن أسباب تأخره في خطبتها، وإصرار والده على تعيينه أولًا، مبديًا استعداده لأن يتخذ خطوة الزواج وحده، دون تدخل أحد، ليقول حما المستقبل كلماته الحاسمة، رافعًا صوته بحزم:

- «متخبطش على البيت ده تاني.. إلا ومعاك أبوك.. إحنا ناس بتعرف في الأصول».

ومنذ ذلك الوقت، أصبح الانتظار أمرًا محتومًا على الحبيبين، ولا مناص منه، رغم المحاولات المستميتة من جانب والدة «أميرة»، لإقناع زوجها بالموافقة على مجيء «زياد» بمفرده، وإتمام الخطوبة كأمر مؤقت، حتى يحصل على الوظيفة، ومن ثم يعقدان القران، بلا أدنى مشكلة، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل الذريع، ليستمر الوضع على ما هو عليه، بل يبدأ والد الفتاة في تنفيذ استراتيجية جديدة، محاولًا إقناع ابنته بمنح ابن عمتها فرصة الحديث إليها، وبعدها تختار الموافقة عليه أو العكس، وهو ما رفضته الابنة جملة وتفصيلًا، ولم تتحدث أيضًا حوله إلى حبيبها، حتى لا يشعر من جانبها بأي ضغوط.

■ ■ ■

كل هذا وأكثر، تذكرته «أميرة» الراقدة في سريرها، إثر أزمة عاطفية حادة، تضاعفت أوجاعها منذ ليلة أمس، عندما تجاهل رفيق عمرها

نداءهـا أمام محطـة المنصورة، ومع انهـمار الدموع بـين أجفانها، قررت الحبيبـة الموجوعة الخـروج من صفحة «زيـاد»، لتلقي نظـرة على آخر منشـورات أصدقائهـا، إلا أن «فيـس بوك» الـذي يعلم جيـدًا مَن يهتم بمنشـورات مَن، أبى أن يمر هذا الصبـاح قبل أن تتلقى الفتاة طعنة أخرى تدمي قلبها، لتفاجأ أمامها بمنشور حبيبها العنيد، الذي يعترف فيه بعشقه المفاجئ للعيون الزرقاء، وتتأكد أن تفسـير والدتهـا للحلم، أصاب عين الحقيقة، وبقوة.

فقدت «أميرة» عقلها بعد أن رأت المنشـور، ومع اسـتمرارها في التحفظ عـلى الحديـث معه عن طريق الدردشـة، لجأت إلى نشر كلمات قاسـية، وكأنهـا تحرر محضر خيانـة لـ«زياد»، بعـد أن ضبطته متلبسًـا بكلمات عشق لغيرها، كتبت:

« أنت تخونهـا.. ربما هي تخونك أيضًا الآن.. وبنفس المهارة.. سـيحدث ولو بعد حين.. الخيانة دائن ومدين!».

وهو المنشـور الذي لم يقرأه حبيبها من الأصل، ولم تقع عليه عيناه لفترة طويلـة، حيث قرر بعـد كتابته كلماته الأخيرة عـن الحب الحقيقي، أن يرحـل عن عالم «فيس بوك»، حتى يمنح لنفسـه فرصـة التفكير بهدوء، فيما سـيفعله بعد «أميرة»، ويسـتطيع التفرغ أيضـا للحب الجديد الذي حـاصر قلبه، خاصـة أنه وصل لقناعـة مهمة، مفادها أن اسـتمراره على الموقع سـيضعه تحت حصار الذكريات، ويجعله مشتتًا بين كلمات لحبه

الأول هناك، وكلماته عن حبه الجديد هنا، ناهيك عن استحالة تسجيله الدخول، دون أن يدفعه الفضول للوصول إلى صفحتها، وهو القرار الذي التزم به طوال شهر، لم يدخل فيه للموقع مرة واحدة!

بعد دقائق من قراره، أغلق «زياد» حاسبه بهدوء، مقررًا العودة إلى سريره، والخلود للنوم، عله يرى «سارة» في أحلامه مرة أخرى، ليقضي 6 ساعات بين أرق وقلق وتقلب، بعدما استفاق ضمير حُبه، ليلومه على كل ما فعل، ويتهمه هو بالخيانة، خاصة أنه الذي أقدم على الفعل، بصورة واقعية، منذ اللحظة الأولى التي مال فيها قلبه نحو أنثى غير أميرته، بل واندفع وراء إحساس وليد لحظات، تاركًا وراءه حب عمره سنوات.

استفاق من غيبوبة أفكاره على صوت جرس شقته، وبخطى مسرعة فتح الباب، مصافحًا صديقه المقرب «فارس»، الذي بدأ معه صداقة نادرة منذ عام ونصف، خاضا خلالها حروبًا ضروسًا خلال عملهما بشركة الاتصالات العملاقة، التي بدآ العمل بها في يوم واحد، بعدما التقيا لأول مرة في مقابلة لإدارة الموارد البشرية، بدأت بكمٍ كبيرٍ من الأسئلة السخيفة، وجهها لهما أحد الموظفين، قبل أن ينهي سخافته بشيء من البلاهة، عندما رسم دراجة بقلمه الفلوماستر على السبورة الصغيرة المثبتة بالحائط، وطلب من الشابين المقبلين على العمل ركوبها، بنظرة تحدٍ صارخة، قابلها «فارس» بالمثل، وسط نظرات قلق من «زياد»، الذي فوجئ بزميله المنتظر، يرد على الموظف بكل هدوء، قائلًا:

- «طيب، محتاج منك تشبك إيدك الاتنين، عشان أعرف أطلع على العجلة، هتساعدني؟!»

وبمجرد توجيه «فارس» سؤاله للموظف، لم يستطع «زياد» التحكم في سيل من الضحكات كان يضرب أركانه، ليخرج بصورة هستيرية، خاصة بعدما رأى علامات الهزيمة على وجه خبير الموارد البشرية المزعوم، الذي أمسك المحاة الكبيرة، مزيلًا العجلة الوهمية من السبورة، ومعلنًا انتهاء المقابلة، لتبدأ صداقة حقيقية جمعت الشابين، قبل إبلاغهما بقبولهما في العمل.

■ ■ ■

تصافح الصديقان، ثم استفسر «فارس» عن سبب تغيب صديقه عن العمل، على غير العادة، ليرد «زياد» ببهجة سادت وجهه:

- «أنا من امبارح مش عاوز أعمل أي حاجة، ولا أروح أي مكان».

● «إيه؟ خلاص خطبت أميرة من ورايا؟».

- «أميرة إيه بس يا عم.. الموضوع ده خلص».

تغيرت ملامح الصديق، قبل أن يرفع صوته:

● «هتهزر؟».

رد «زياد» متحمسًا:

- «لا.. بتكلم جد.. موضوعنا خلص امبارح برضه».

● «ومالك بتقولها وأنت فرحان كده».

- «أنا مش فرحان وبس.. أنا طاير».

• «ده عشان خلصت الموضوع؟».

- «لا.. عشان موضوع تاني خالص».

• «خير؟».

- «سـارة يا فارس.. عرفت اسمها امبارح بس.. حسيت إن حياتي بتبتدي من جديد».

رفع الصديق يديه في علامة شجب وتعجب، ثم سأله بسخرية:

• «يعني مش زعلان عشـان سـيبت واحدة بقالك معاها سنين.. وفرحان قوي عشان إللي عرفتها امبارح بس؟!».

هنا صمت «زياد»، لم يسـتطع الرد على سـؤال صديقه، الذي ألقاه بنبرة لـوم شـديدة، أيقظت ضميره من جديـد، إلا أنه تـدارك الموقف سريعًا، قائلًا:

- «ما أنت لو عرفت إللي حصل.. هتقول إني صح».

واستمرارًا لنبرة السخرية، قال «فارس»:

• «اشجيني يا سيدي!».

- «أولا أميرة أصرت متسمعش كلامي.. وتروح فرح بنت عمتها».

• «طيب وفيها إيه؟».

- «فيها إن أخو العروسة.. إللي هو ابن عمتها.. بيحبها واتقدم لخطوبتها أكتر من مرة».

• «وفيها إيه برضه.. ولو شباب البلد كلها حضرت الفرح.. المهم إنها بتحبك أنت».

- «فيها إني قلت لها متروحش أصلًا.. وهي أصرت».

• «آه.. قفلت دماغك وحكمت رأيك يعني؟!».

- «أيوه.. كان لازم أعمل كده.. دي مش أول مرة.. قبل كده أنا قلت لها...».

لم يتركه «فارس» يكمل حديثه، وقاطعه بحدة:

• «المهم.. قولي قفلت الموضوع إزاي؟!».

- «عادي جدًا.. قلت لها كل واحد منا في طريق».

• «وهي سكتت كده عادي؟!».

- «لا طبعا قلبت الدنيا.. والموضوع وصل البيت عندها.. ولقيتها قدام المحطة مستنياني.. وبرضه قفلت الموضوع».

• «لا فرحتني.. أنت متأكد إنك لسه بعقلك؟».

- «عقل إيه بس.. أنا من امبارح طاير في السما.. ما أنت متعرفش حصل إيه بعدها».

وأمام حماسة «زياد»، ظل صديقه صامتًا، مسلطًا عينيه الغاضبتين عليه، متجنبًا الاستفسار عما حدث، وكأنه ينهره عن الاستمرار في الحديث، وهو الأمر الذي قابله الأول بالمثل، ليستمر الصمت لثوانٍ، قبل أن يكسره صاحب الشقة، قائلًا لضيفه:

- «تيجي نسمع عمر خيرت؟».

• «تعال.. أهو أرتاح من الكلام العبيط إللي بتقوله ده».

- «طيب استنى أشغل الموسيقى وأكملك.. عشان تعرف إني صح».

استمر «فارس» في تجاهل حديث رفيق كفاحه في شركة الاتصالات، الذي خطى مسرعًا نحو مكتبه، ليمسك حاسبه الشخصي، ويعود إلى الصالة، ويبدأ في تشغيله، ومن ثم الدخول لملف الموسيقى، لتحاصرهما الأنغام الهادئة، قبل أن يكمل «زياد»:

- «بص يا سيدي.. من أسبوع شوفتها أول مرة في القطر.. وأنا راجع من المنصورة.. قعدت جنبها بالصدفة.. حسيت إن عينيها سحرتني.. وشوية لقيتها عملت التذكرة مركب ورق.. قلبي انخطف، لحد ما قابلتها تاني امبارح.. وصدفة برضه، جوه نفس القطر، واتكلمنا لما نزلنا المترو.. معرفتش غير اسمها.. لكن بينا ميعاد الجمعة الجاية.. ومن ساعة ما كلمتها وأنا مش على بعضي».

• «تصدق انبهرت فعلًا.. لأ واتأثرت جدًا.. أنا شوية وهعيط».

قابل «زياد» كلمات صديقه الساخرة، بسخط شديد، قال باندفاع:

- «تصدق إني غلطان عشان بحكيلك».

• «لا من الناحية دي اطمن.. أنا إللي غلطان عشان بسمعك».

- «طيب نسكت بقى عشان متضايقش بجد».

• «هنسكت.. بس عجباني قوي فكرة إنك تبيع الإنسانة إللي استحملتك طول السنين إللي فاتت.. عشان واحدة شوفتها مرتين في المواصلات.. حقيقي عجباني».

لم ينطق «زياد» بكلمة واحدة، دخل الصديقان في صمت قاتل، مكتفين بسماع موسيقى خيرت، حتى استطاع «فارس» أن ينهي السكوت، مواصلًا سخريته من صديقه، عندما استطاع تمييز الأنغام التي تخرج من حاسبه، ليرفع صوته بضحكة واسعة، قائلًا:

- «وكمان بتسمعنا اللقاء الثاني.. آه عشان قابلتها مرتين يعني.. إنت شكلك وقعت خلاص.. إيه الحب ده كله يا سيدي؟».

تجاهل صاحب الشقة كلمات صديقه، وبدأ في ضم شفتيه، محاولًا لحاق ركب الموسيقى، بصافرة متقطعة تصاحب الهواء المندفع من صدره، قبل أن يقوم رافعًا يديه، وكأنه سيبدأ العزف على كمان ساحر، ويتوقف فجأة، موجهًا كلماته المباغتة لـ«فارس»:

- «بس تعرف.. أنا كنت متوقع إنك الوحيد إللي هتقول إني صح في موضوع أميرة».

لم يفكر الصديق كثيرًا، أجاب بحزم، رغم عودة «زياد» لمواكبة الموسيقى بصافرته:

• «المطلوب مني أقولك إنك صح وأنا شايفك بتضيع حب عمرك؟!».

توقف صاحبه عما يفعله، قال بانفعال:

- «حب عمري إيه بس.. لا أنا ولا أنت نعرف مين حب عمر مين.. ما جايز سارة هي الحب الحقيقي إللي في حياتي.. وربنا كتبلنا نتقابل في الوقت ده».

• «آه صحيح.. ده أنا نسيت اسألك عن موضوع العيون الزرقا.. إللي كتبته امبارح.. بقى هي دي الحب الحقيقي اللي بتقول عنه.. والله شكلك اتجننت».

- «آه هي.. وعينيها مش زرقا وبس.. دي تجنن.. سيبني أنت بس في حالي.. وانسَ الموضوع.. والدنيا هتمشي».

• «وأنا مالي.. أنت اللي هتحط نفسك قدام حيطة سد.. وهتندم على كل اللي بتقوله ده في يوم.. وهفكرك».

- «وده من إيه يعني.. خلاص حكمت بسرعة كده؟!».

• «ما دام قدرت تبيع عشرة عمرك.. إللي كانت معاك على الحلوة والمرة.. يبقى ربنا مش هيكرمك في أي حاجة.. افتكر بس إني قلتلك كده».

- «وافتكر إنت كمان إني قلتلك سيبني في حالي.. وانسَ الموضوع».

• «هسـيبك وهنسـاه.. لكـن افتكر إللي قلنـاه زمان.. إنـك في اليوم إللي بتسيب فيه حبيبتك.. هتبقى مع حبيبة غيرك».

- «يا عم ده كلام أفلام.. سيبك منه.. كله قسمة ونصيب».

أنهـى «زياد» الحوار بكلماته الأخيرة، ليعود مع ضيفه إلى حالة الصمت، وهو يفكر بعمق فيما قاله الصديق، الذي كان ينتظر منه رد فعل مغايرًا، عـلى ما سـمعه عن مخالفـة «أميرة» قراراتـه، خاصة أنه يعلـم جيدًا، أن «فارس» فقد الثقة بالجنس الآخر، بسـبب عدة مواقف مؤلمة، عاشها في حياته المليئة بالمعاناة، ويتيقن أيضًا أن صديقه يحتاج إلى معجزة حقيقية؛ كي يدق قلبه يومًا بالحب.

تلـك المواقف، حكى «فارس» الكثير منها خلال الجلسـات الهادئة، التي جمعته بصديقه داخل الشقة الصغيرة، حيث تعودا على اللقاء بها في بداية كل أسـبوع، ليتحدثـا على أنغام الموسـيقى، ويحـكي كل منهما للآخر ما مر به خلال الأسـبوع المنصرم، ويمسـكان بالورقة والقلم، لتدوين عدة عبارات، تعد خلاصة نقاشهما في كل أمر، سواء عمليًا أو عاطفيًا، قبل أن يكتباه في آخر جلستهما على موقع «فيس بوك»، بعد أن خصصا هاشتاج يحمل ذكرياتهما، تحت اسم #ريكورد، ولم يفكرا أبدًا في أن هذا الاسم، سيتعدى حدود الهاشتاج إلى ما هو أخطر بكثير.

■ ■ ■

الجلسات التي شهدتها شقة «زياد»، ورافقه فيها «فارس»، شهدت الكثير

من النقاش حول الحياة بشكل عام، الحب والكراهية، الصدق والكذب، الإخـلاص والخيانـة، العمل وأحقـاده، ومع احتدام تلك النقاشـات، لجأ الصديقان إلى فكرة تدوينها، على الورق أولًا، ثم ابتكرا فكرة الهاشتاج، التي جعلتهما قادرين على الوصول إلى كل ما كتباه، بضغطة واحدة على كلمـة #ريكـورد في أي منشـور لأي منهما، ومع الوقـت، كتبا عشرات العبارات، التي حملت بين كلماتها الكثير من خبراتهما الحياتية.

عن صراعات العمل، دوّن الصديقان العديد من الكلمات، التي أصبحت تمثل لهما مع مرور الوقت، قواعد وقوانين، خاصة مع ورود اسـميهما في كل قرار ترقية يصدره مجلس إدارة الشركة، حتى أصبحا ينافسان موظفين تجاوزت أعمارهم الأربعـين، وهما في عقدهما الثالث، ما جعلهما طرفًا في الكثير من الحروب، التي اشتعلت على عدة جبهات داخل أروقة الشركة، ناهيك عن أن ما يكتباه، كان أحيانًا رسائل يوجهانها إلى أصحاب النفوس المريضة في العمل، ومنها:

«عندما يسـعون لعرقلتك.. اعلم أنك في المقدمة.. فالعرقلة لا تأتي إلا من الخلف!».

كتبا أيضا في أول معركة خاضاها داخل أروقة العمل:

«خليك صاحب عزيمة.. اوعى تقبل الهزيمة».

وتحديا الجميع، بعبارة:

«شئت أم أبيت.. سأكون يوما ما أريد».

ومع أول ترقية، فازا بها، أعلنا انتصارهما بهذه الكلمات:

«نجاحك.. أقسى ما تعاقب به أعداءك».

وحول الأنثى، دوّن الصديقان عدة عبارات رائعة، بعد الكثير من الشد والجذب خلال جلساتهما، منها:

«أنوثة بلا جمال.. خير من جمال بلا أنوثة.. الأنثى ليست ملامح ولا جسدًا.. الأنثى روح!».

وعن الطريقة المثالية لتعامل الرجل مع المرأة، كتبا:

- «المرأة كالمرآة.. تعكس ما أمامها.. إذا أردت أن تكون ملكًا.. اجعلها صاحبة سمو!».

والحقيقة، أن كل العبارات التي حملت تقديرًا للمرأة، كان «زياد» يقف وراءها دائمًا، في ظل عدم رضا «فارس» غالبًا على وجهة نظر صديقه، البريئة نحو المرأة، باعتبارها كائنًا ضعيفًا يتولى كل مسؤوليات الحياة، دون رحمة من الرجل، أو مساندة من المجتمع، بينما تمسك الثاني بقناعته، التي كونها عبر سنوات من المعاناة مع الجنس الآخر، حتى تحول إلى إنسان معقد من تاء التأنيث، لا يرى في العالم من المثاليات، إلا أمه!

معاناة «فارس» من كيد المرأة، ظهرت في عدة عبارات، كتبها تحت نفس الهاشتاج، كان من بينها:

«احذر الأنثى المجنونة.. فعندما يذهب قلبها ليلحق بعقلها.. لن يبقى منها سوى كيد باطش».

كتب أيضا ملوحًا إلى الكيد، وضعفه أمام قهر الرجال:

- «إذا كان كيدهن عظيمًا.. فقهركم أعظم!».

أمـا الحب، فكان له نصيب الأسـد بين ما كتبـه الصديقان، فرغم معاناة «فارس» مع المرأة، ظل يقدس العشق، باعتباره عملة نادرة في كل الأزمنة، وأساسًا في تعمير الأرض، وسعادة البشر، ليحرص، بشكل غير عادي، على اقتناء الروايات الرومانسـية، التي لا تشوبها الخيانة، وكأنه يحاول علاج نفسه، من عقدة المرأة، بتأمل قصص العاشقات المخلصات.

في الحب، كتب الصديقان:

«أصعب ما في الحب.. أنه بداية واضحة لنهاية غامضة!».

جـاءت تلـك الكلمات، بعد نقاشـهما حول قصص الحـب الملتهبة، التي رأياهـا تتحطـم حولهما، داخل أروقة الشركة، لأسـباب تافهـة جدًا، أو لمجرد فهم طرف للآخر بطريقة خاطئة، ليصلا إلى قناعة، تؤكد أن مرآة الحب العمياء أحيانًا؛ تجعل الطرفـين يتغاضيان عن العيوب، والمعوقات، لـيرى كل منهما الآخر بعين العاشـق، ويزداد اقترابه منـه، واقتناعه به، تحت تأثير المشاعر، وتتضاعف الثقة، ومعها العشم، وفجأة يحدث موقف سـلبي، يقلب كل القناعات رأسًـا على عقب، حتى لـو كان تافهًا، ليعود كل طرف في مراجعة نفسه، والتفكير في الآخر بصورة معاكسة، ويرى ما أعماه عنه الحب، ويكون عليه إما البقاء مضطرًا، خاضعًا لقلبه، وإما الرحيل مجروحًا، مستجيبًا لعقله.

وكتبا أيضًا بعدما وصلا لتلك القناعة، عدة كلمات، تكاد تنطبق على ما حدث بين «زياد» و«أميرة» خلال الأيام الأخيرة، أو بعد حفل زفاف ابنة عمتها تحديدًا، هي:

«الحب مثل خيط العنكبوت.. كلما زاد تمسكه بجدران الحياة.. تأثر بأقل اهتزاز!».

❑❑❑

(4)

«بين كيد النساء وقهر الرجال..
روايات يعجز أمامها الخيال»!

#ريكورد

□□□

عقـدة «فـارس» من النسـاء، لم تتكـون داخله من قليـل، حيث كانت نتاجًـا لعدة مواقف مأسـاوية، تعـرض لها طوال سـنوات، قبل أن يصل إلى القاهـرة منـذ أعوام قليلـة، في بداية لحياة جديدة، بعيـدًا عن مدينته السـاحلية الساحرة، معشوقته الأولى الإسكندرية، التي بدأ كفاحه على شواطئها المعتقة برائحة اليود، منذ نعومة أظافره.

تحمل مسـؤولية نفسه قبل أن يكمل عامه السابع عشر، ليعمل كل شيء، أمينًا لمخزن مطعم، ثم مسؤولا عن خزينة أكبر كافيتريات الثغر، وتارة منقذًا على شاطئ سيدي بشر، حتى تسبب التنسيق في رحيله عن عروس البحر، بعدما التحق بكلية التجارة في السـويس، ليتجه إلى العمل بالمدن السـياحية القريبة، ويسـتهويه «المساج» ليصبح مسـؤولا عن أكبر نادٍ صحي في شرم الشيخ، قبل أن يسلك طريق الطبخ، ويتحول إلى «شيف» متميز بأكبر فنادق الغردقة، وعبر كل مهنة، كان الشاب الطموح يتعلم الكثير والكثير، عن خبرات الحياة، بجميع جوانبها.

كل ذلـك لم يكن سـهلًا على الإطـلاق، خاصة أن الفتى قابـل كثيرًا من المواقف التي لم ينسـها قط، ناهيك عن معركته الكبرى مع والده، الذي كان يعتـبر خروجـه إلى العمل في سـن مبكـرة، من رابع المسـتحيلات،

إلا أنه استطاع بإصراره وطموحه، أن ينهي كل هذا، ويحقق الكثير من المكاسب، سواء المادية أو المهنية، ما جعل الجميع يرفع له القبعة احترامًا، إذ كان يبرهن- بين الوقت والآخر- أن خبراته الحياتية قد ضاعفت عمره، ليفكر بذهن رجل أربعيني، وهو في بداية عقده الثالث!

امتلك أيضا خبرة نسائية خرجت عن المألوف، بسبب كيدهن الذي كان يطارده في كل مهنة، عندما يرفض تطور الحديث مع هذه، أو يهرب من ملاحقة تلك، أو عندما يزج أحد الكارهين بأنثى في طريقه، أملًا في أن تتعثر خطاه، خاصة أنه الشاب الجذاب الناجح دائمًا، ذو القوام الممشوق الذي تفرض عضلاته نفسها على أي ثوب يرتديه.

بدأ «فارس» يصطدم بصخرة الحياة مبكرًا، بعدما قرر في سن السادسة عشرة النزول إلى سوق العمل، بحثًا عن حياة حرة كان يحلم بأن يعيشها بعيدًا عن قلق والديه المستمر، الذي كان يحاصره مع كل خطوة يقدم عليها، ويسبب له الكثير من الحرج بين أقرانه، الذين كانوا يعايرونه بمطاردة والده له، ويشبهونه بطفلة في الخامسة من عمرها، يخشى والدها خروجها للشارع!

إلا أن رد فعل والده، عندما شاهد طفله ذا الـ13 عامًا يُمسك سيجارة بين أصابعه، كان لا يقارن بثورته العارمة بعد ثلاث سنوات، عندما سمع جملة «عاوز أشتغل» تخرج من بين شفتيه، خاصة مع حرصه الدائم على تلبية جميع احتياجاته، فهو لا يذكر مطلقًا أنه تأخر يومًا عن وضع شيء بين يديه، مهما كان مهمًا أو تافهًا.

يومهـا، جمع الوالد الغضب الذي اجتـاح أركانه، في صفعة واحدة نزلت عـلى خد نجله، ليصطدم رأسُـه بالحائط المجاور لسريـره الصغير، بينما كان الأول يجلس على السرير المقابل، يعطيه درسًا في الاجتهاد بالدراسة، حتـى يصبح طبيبًا مثلما تمنى طويـلًا، إلا أن عناد الفتى طغى على أمنيات والـده، ولم تردعـه أبدًا تلـك الصفعة الخاطفة التي جعلته أكثر تمسـكًا برغبتـه، ليهرول مسرعًـا تاركًا غرفتـه، ويفتح باب المنـزل في الواحدة صباحًـا، غير عابئ بنداءات الوالد، الذي جُـن جنونه عندما رأى الصبي يغلق الباب وراءه دون أي مقدمات، ذاهبًا إلى وجهة لا يعلمها إلا الله.

وبعد 3 سـاعات قضاها الفتى على كورنيش الشاطبي، القريب من منزله بالإبراهيمية، واسـتغرقها والـده في رحلة بحث بسـيارته المتواضعة من منطقـة بحري وحتى المنتـزه، قبل أن يعود بخُفَّي حنـين إلى منزله، وجد الرجـل هاتفًا غطـى رنينه على ضجيـج النقاش، الذي احتـدم بينه وبين زوجتـه حول عمل نجلهـما الوحيد، حتى جاءت المكالمـة لتضيف بُعدًا جديدًا على الأزمة، إنها جدة «فارس» لأمه، تخبرها بمجيئه إليها، وإصراره على عدم العودة للمنزل مرة أخرى، وهو ما حدث.

قضى الصبي نحو شـهر في عنـاد ذكوري بحت، رفـض فيه كل محاولات والده لردعه، مصرًا على أن يتركه الجميع في حال سـبيله، وسط استغراب أبداه كل المترددين على منزل الجدة، وعلامات استفهام عديدة حول سبب رغبته في تـرك منزله، والالتحاق بعمل في هذه السـن، خاصة أن جميعهم كانوا يعلمون جيدًا بذخ والده في تلبية طلباته، ويحفظون عن ظهر قلب

مواقـف عديدة، نجح فيها الابن- بعناده- في الوصـول إلى ما يريد، وهو مـا جعل بعض الأقارب يتوسـطون لإنهاء الأزمة، بـل إن أحدهم تطوع بتوفـير فرصة عمل له، كأمين مخزن في مطعم صغير بمنطقة «الأنفوشي»، القريبة من قلعة قايتباي.

وبالفعل، بدأ «فارس» العمل وسـط 4 رجـال كسرت أعمارهم حاجز الثلاثين، و3 سـيدات في ذات السـن، لتبـدأ الصراعـات والمؤامرات، ويجد نفسه مضطرًا للدفاع عن نفسه بكل السبل، خاصة عقب موقف لم ينسه طيلة حياته، كان بطله صنايعي «الفول» الذي ملأ الحقد قلبه تجاهـه، بعدما تقاضى الأخير راتب الأسـبوع الأول، ليسـأل صاحب المطعم:

- «إزاي عيل زي ده ياخد قدي؟!».

ليرد الرجل بعنف:

- «وأنت مال أهلك»

واصل الصنايعي عبثه، متسائلًا:

- «هو عشان قريبك يعني.. هتركبوا علينا؟!»

زاد غضب صاحـب المحل، إلا أنه بحث عن إجابة منطقية، تقي الصبي شر حقـد الكبـار، ويهدئ بها قنـط الصنايعـي المتمرس الـذي لا يريد خسارته، فقال:

• «الواد إللي مش عاجبك ده، بيشتغل ورديتين، الأولى من 5 الصبح لحد 3 الضهر، والتانية من 4 العصر لواحدة بعد نص الليل.. وشايل المخزن على كتفه، المفروض أديله كام؟».

شعر الصنايعي الحاقد بأن الرجل يريد تهدئة الأمور، فزاد من سخافته، ليقول مستهزئًا:

- «أي حاجة يجيب بيها كيسين شيبسي وباكو بسكوت، هو إحنا خلاص بقينا في زمن يتساوى فيه الكبير بالصغير، لو فضل الوضع كده أنا هشوفلي محل تاني، أنت كده بتصغرنا كلنا».

لم يستطع صاحب المحل التحكم في غضبه أكثر من ذلك، أنهى جلسته، ورفع يده في إشارة للطرد، قائلًا:

• «فارس هياخد نفس الفلوس، و إللي مش عاجبه الباب يفوت جمل، أنا محدش يلوي دراعي، وبكرة الواد الصغير ده هيبقى أحسن منك ومن 10 زيك».

ولم تمر دقيقة، حتى كان الصنايعي يلملم متعلقاته من أرجاء المطعم، و يذهب مبديًا استياءه بفظاظة، ومتمتمًا ببضع كلمات لم يفهما أحد، ليلحق به صديقه صنايعي الكشري، الذي أخفى طوال تلك المشادة، رغبته في قول ذات الكلمات التي نطق بها الأول، إلا أنه فشل في إقناع زميله بالعودة للمحل، وتهدئة الوضع المحتدم، ليعود واضعًا عينيه في الأرض، راضيًا بالعمل بذات الراتب الذي يتقاضاه الصبي، لكنه أصر على أن يلقن الأخير درسًا لن ينساه.

■ ■ ■

وفي صبيحـة اليوم التالي، فوجئ الصنايعي الباقي في المحل، برجل يدخل إلى السـاحة الصغيرة التي تضم 4 طاولات للطعام، ويسـأله عن صاحب المكان، ليشـير- الصنايعي- بيده إلى المقهى الكائن على ناصية الشـارع، مؤكـدًا تواجـده هناك، وبعد دقائـق، عاد صاحب المحـل برفقة ضيفه، مناديًا «فارس» من المنزل المقابل، الذي يوجد به المخزن، ليخرج الصبي سريعًا، ويكون على موعد مع مفاجأة، عندما قال الرجل المسؤول:

- «ده عمك محمد.. هيعلمك إزاي تعمل الفول والطعمية، قدامك 3 أيام، وبعدها هعتمد عليك في الصنعة.. هتبقى صنايعي يا واد يا فارس!».

ولم تمر الأيام الثلاثة، حتى ألم الصبي بكل فنون «قدرة الفول»، ليبدأ في إعداد اثنتـين منها يوميًا، بينما يعد صنايعي الكشري إسـفينًا لطرح الصغـير أرضًا، حيث اتفق مع إحدى السـيدات العاملات بالمحل، على رمي البلاء فوق رأس الصغير، لتسـتدرج السيدة «فارس» إلى المخزن، بدعوى مساعدتها في حمل شكائر الأرز الثقيلة، التي لا تستطيع حملها وحدها، وسرعان ما اسـتجاب، ليدخلا الحجـرة الكبيرة، وتغلق الباب وراءهـا بإصرار، قبل أن يفاجأ بها تشـق جلبابهـا، وتضمه بكل قوتها بين ذراعيها، ممسـكة بقميصه بين قبضتيها، وتصرخ بملء صوتها طالبة النجدة، لتتجاوز استغاثتها الباب الخشبي المتهالك، وتصل إلى الجالسين بالمحل!

وحتـى يضيف الصنايعي أبعادًا أخرى عـلى الواقعة الوهمية، ركض نحو

المخـزن، طارقًا على بابه بفزع مصطنع، لتفتحه السـيدة سريعًا، وتبدأ في دق الإسفين بامتياز، وهي تكرر جملة:

- «الحقوني.. الواد قطعلي العباية.. وعاوز يغتصبني!».

خـلال تلك الدقائق العصيبة، لم ينطق «فـارس» بكلمة واحدة، وعجز حتـى عـن ابتلاع ريقه، مستسـلمًا لرعشـة انتابت جسـده بشـدة، غير مسـتوعبٍ ما يجرى حولـه، بينما وقف مدبـر الواقعة أمام البـاب ملقيًا الكثـير من الكلمات، التي تجزم بأن الطفل قد هتك عرض السـيدة، ومع تجمع الناس من هنا وهناك، صاح الرجل المتآمر:

- «أنا شوفته وهو بيحضنها وبيحاول يبوسها!».

وسرعان ما وصل صاحب المحل لينضم إلى الحشـد الذي حاصر المخزن، مسـتفهمًا عما جـرى، بعدمـا رأى الملابـس الداخلية تظهر مـن العباءة الممزقة للسيدة، لترفع الأخيرة صوتها، صارخة:

- «الحقني يا سي محمود.. الواد فارس قطعلي هدومي، وكان عاوز يغتصبني، ينفع ده يحصل في محلك.. الناس تقول علينا إيه؟».

ثم واصل الصنايعي إحكام مكيدته، قائلًا:

- «أيوه يا حاج محمود.. أنا شـوفته بعيني وهو بيحضنها وبيحاول يبوسها في المخزن».

تمالك الرجل أعصابه وسط الحشد الكبير، وقال بهدوء:

- «خلاص يا اخوانًا خلصنا.. كل واحد يروح لحاله».

انـصرف المتابعون واحدًا تلـو الآخر، حتى خلا المكان عـلى الصنايعي والسيدة وصاحب المحل، ليسأل الأخير:

- «الواد فين»؟

وترد السيدة:

• «متنيل على عينه جوه المخزن.. مخرجش منه».

خطـا الرجـل المفـزوع؛ الذي لم يشـهد محلـه أي واقعة مشـابهة طوال عقديـن من الزمن، نحو المخـزن سريعًا ليرى الصبي جالسًـا القرفصاء، واضعًا رأسه بين قدميه، يخرج منه نحيب متصل، جلس إلى جانبه بهدوء، ووضع يده على كتفه، وسأله:

- «أنت عملت كده يا فارس؟».

رد الصبي بصوت خرج بالكاد من بين شفتيه المرتعشتين:

• «والله يا عم محمود ما جيت جنبها».

وبحكمة، واصل الرجل استفساره، وسأله:

- «إيه اللي حصل؟»

شعر «فارس» براحة كبيرة، خاصة مع مواصلة الرجل الربت على كتفه، رد بثقة زائدة:

• «قالتلي أساعدها في شيل شيكارة رز، وأول ما دخلنا المخزن، قفلت الباب ورانا، وقطعت هدومها، وقعدت تحضني قوي».

طلب منه صاحب المحل أن يهدأ ويمسح دموعه، وأن يكمل حديثه، فتابع الصبي:

• «ولقيتها مرة واحدة بتصوت.. والأسطى أحمد بتاع الكشري قعد يخبط على الباب لحد ما فتحته.. وكملت صوات بره المخزن وأنا خُفت أطلع».

وقف الرجل أمام الطفل، يعاين ملامحه وملابسه، ثم هز رأسه، كعلامة على اقتناعه بحديثه، خاصة أنه لم ير أي علامة مقاومة أو حتى احمرار على وجهه، كما أن قميصه لا توجد به أي آثار للمقاومة، اللهم بضع ثنايا متجمعة في الجانبين، رفع صوته:

- «روّح استريح.. وارجع المحل بعد يومين».

خرج «فارس» من المخزن بصحبة الرجل الحكيم، ليمضي في طريقه سامعًا صوت صاحب المحل، وهو ينهر السيدة، ويسب الصنايعي المدعي، ويبلغهما بإنهاء خدمتهما، حيث استوعب الحاج «محمود» خلفيات ما جرى جيدًا، بحكم عمله أكثر من 20 عامًا وسط المؤامرات والمكائد، ليتولى بنفسه إعداد الكشري طوال يومين، ويستعين بالمعلم الذي درب الصبي على إعداد الفول والفلافل، في إنجاز الأطعمة الباقية بقائمة مأكولات المحل، ولم يكن يعلم أن هاتك العرض المظلوم قد ذهب بلا رجعة!

كان «فـارس» قد قرر في الخطـوات التي قطعها حتى المقهى الكائن على ناصية الشـارع، أنه لن يعود إلى هذا المكان مرة أخرى، خاصة أنه سمع صوت الحشد الذي طوق المخزن بعد المكيدة، وأيقن من خلال النظرات الغاضبـة التي حاصرته حتى تلك الناصيـة، أن الجميع قد علم بما حدث، لذلـك خطا مسرعًا نحو شـاطئ البحر، وجلس سـاعتين أمـام المراكب الصغيرة الراسية، يفكر في كيفية الخروج من تلك الخيبة الثقيلة، التي لا مفر منها سوى عدم العودة إلى ذلك الشارع المكتظ بالناس مرة أخرى.

لكن هل يستسلم بهذه البساطة، و يقتل أمله في الاعتماد على نفسه مبكرًا، هذا ما رفضه جملة وتفصيلًا، إنه يريد أن يكون مثل عمه «فؤاد»، الذي أصبـح أكثر أبناء العائلة ثراءً، رغم عدم اسـتكماله تعليمه، وتوقفه عند حد الشهادة الإعدادية، إلا أنه امتهن كل المهن، حتى أصبح كبير العائلة بطموحـه و إصراره، ليلجـأ إليـه الجميع لحل أي مشـكلة تطـرأ، أسرية كانت أو مادية.

■ ■ ■

أنهـى «فارس» جلسـته على الشـاطئ، مقـررًا أن يبدأ طريقـه نحو مثله الأعلى، مارًا ببيت جدته ليستبدل ثيابه بأفضل ما يحويه دولابه، وسرعان ما وجد نفسه أمام كافيتريا «عروس البحر»، أكبر المقاهي على كورنيش الإسـكندرية، التـي يمتلكها العم الـثري، وتسـتقبل يوميًـا- في طابقيها- العـشرات مـن وجهـاء مجتمـع الثغـر، بجانب الكثـير مـن رواد المدينة

الســاحلية، ووسط خلية نحل لا يجلس فيها عامل واحد، استفسر الصبي مــن أحد العمال عن مكان تواجد عمه، ليشــير الأخير بيده إلى مكتب في الدور الثاني، ويصعد «فارس» تسابق أفكارُه قدميه، سائلًا نفسه:

- «ليه ما أطلبش شغل من عمي؟»

وما إن رأى «فؤاد» نجل شــقيقه يدخل عليه، حتى ترك مكتبه واحتضنه بشــدة، مســتفسرًا عن صحة والديه، ومباركًا إصراره على العمل في ســن مبكرة، ليجد «فارس» يسأله دون تردد:

- «ألاقي عندك شغل؟»

رد عليه العم مبتسمًا:

• «ده أنت تشرفنا.. بس أبوك قال لي إنك اشــتغلت بمطعم في الأنفوشي.. سيبته ولا إيه؟»

أجاب الصبي بثقة تجافي سنه الصغيرة:

- «لســه سايبه من شــوية.. بعد مشكلة كبيرة.. مش عاوز أتكلم عنها.. هستلم الشغل إمتى يا عمي؟»

لم يفكر العم كثيرًا، قال بترحاب:

• «من بكرة هتنزل كاشير.. عاوزك تركز.. الفلوس هتبقى مسؤوليتك.. وأنــا هبلــغ أبــوك عشــان يتطمــن عليــك.. أنت جننتــه.. بــس دماغك عجباني».

ومع بزوغ شمس اليوم التالي، استلم «فارس» العمل، ليبدأ في حمل مسؤولية كبيرة، ويبرع فيها يومًا تلو الآخر، ناسيًا واجباته المدرسية، رغم حرص «فؤاد» على سؤاله دائمًا عن دراسته، مشجعًا إياه على بذل المستحيل للجمع بين عمله ومذاكرته باتزان، حتى لا تلاحقه اتهامات شقيقه، بأنه كان وراء فشل نجله دراسيًا، ومع الأيام أصبح «فارس» مسؤولا عن الكثير من أعمال الكافيتريا، لا يعود لمنزل جدته إلا ساعات قليلة يوميًا، حيث دأب على العمل لأكثر من 20 ساعة يوميًا، رافضًا العودة للإقامة بين والديه، مستمتعًا بالحرية التي اكتسبها رويدًا رويدًا، فلا أحد يسأله أين تذهب، ولا متى تعود، حتى وقعت الطامة الكبرى!

دخل العم ذات صباح إلى الكافيتريا مستشيطًا، وقد تحول رأسه إلى صحراء جرداء، وبدا دون شعرة واحدة، ليشعر «فارس» بأن شيئًا غير عادي يجرى، وبإشارة واحدة، جمع «فؤاد» طاقم العمل، ليخبرهم بحدة أن يعودوا إلى منازلهم لحين إشعار آخر، وسط ذهول الجميع، فهي المرة الأولى التي تغلق فيها الكافيتريا أبوابها منذ افتتاحها قبل سنوات طويلة، ودون إبداء أي أسباب، وفجأة انصرف الجميع، إلا نجل شقيقه، الذي بقي بحكم إنهاء بعض الحسابات، ليفاجأ بعمه يناديه بعصبية مفرطة، ويسأله بهدوء:

- «بتحب عمك؟»

رد «فارس» دون تفكير:

- «مش بحبك وبس.. أنت مثلي الأعلى!».

واصل العم، متأنيًا:

- «وبتحب ريهام؟».

كانت «ريهام» هي أول فتاة لعوب، يتعامل معها «فارس» بصورة مستمرة، إن لم تكن يومية، بعدما بدأت العمل في الكافيتريا بمرور 3 أشهر فقط على حمل الشاب مسؤولية الخزانة، عقب حصولها على شهادة التعليم الفني، وسرعان ما نجحت في السيطرة على «فؤاد» الذي رأى أنوثة طاغية تتدلى من بين ثنايا جسدها اليافت، ليلبي كل طلباتها قبل أن تنطق بها، ويشتري لها الهدايا الثمينة، ويغدق عليها بالكثير من الأموال، وينصبها مشرفة على طاقم ندلاء الكافيتريا.

ويومًا بعد الآخر، وثقت الفتاة في قدرتها على الإيقاع بالعم، إلا أنها وجدت «فارس» حجر عثرة في تنفيذ مخططها بالسيطرة على مقاليد الحكم بالمقهى الكبير، لتبدأ في تصويب نظراتها المغرية تجاهه، وتواصل محاولاتها الفاشلة دون جدوى، حتى وجدها الشاب ذات مرة، تلقي بصدرها على مكتبه، وتحدثه بصوت ناعم كأنغام القيثارة:

- «تعرف إنك عاجبني قوي.. ومش شايفة غيرك في المكان»؟

استحضر «فارس» كل قواه التي بدأت تخور أمام تلك الأنوثة المتسلطة، خاصة أنه استوعب جيدًا- خلال الأيام الأولى لعمل «ريهام»- أنها تخفي وراء ابتسامتها البريئة، الكثير من الرغبات الجريئة، حيث كان يراها تصعد بين الحين والآخر لمكتب عمه، ثم تنزل محاولة ترتيب ملابسها

المبعـثرة جـراء شيء ما، قد حدث بالأعلى، إلا أنـه لم يعر بالًا، فهو يعلم جيدًا ميـول ورغبات عمه الغني المتصابي، التي تبـدو واضحة في نظرته، كلـما رأى امـرأة جميلة تخطو هنا أو هناك، لذلـك رد على كلمات الفتاة، بلغة استنكارية حادة؛ رغم أنها مالت في بدايتها إلى السخرية، وقال:

• «أنتِ تعجبي الباشا.. لكن مش سكِّتي.. سيبك مني وبلاش أنا».

وقتها، استقامت «ريهام» في وقفتها، لترد بغضب شديد:

- «وأنت تطول أصلًا.. وبعدين أنت فاهم غلط.. مش معنى إني بضحك وأهزر إني بعمل حاجة وحشة».

وبنفس الحدة، قال «فارس»:

• «غلط ولّا صح أنا مالي.. أنا جاي هنا آكل عيش مش ألعب.. وبعدين حتى لو فكرت ألعب.. مش هيبقى معاكِ أنتِ».

تضاعف غضب الفتاة الواثقة من تأثير أنوثتها، وسألت:

- «ليه.. ما أشبهش.. ولا أنت مالكش أصلا في الحب؟»

تعالت ضحكات الشاب، وقال:

• «أيووووه.. إيه جاب سـيرة الحب دلوقتي.. أنا بقول لو فكرت ألعب.. وبعدين أنت هتفضلي مصممة.. ابعدي عن سكتي».

اسـتقبلت «ريهـام» اسـتفزاز الجالس عـلى مكتبه بهدوء تـام، ثم قالت بصوت حانٍ:

- «طبعا لازم أجيب سيرته.. أنا بحبك يا فارس».

وجد الشاب أن ورطته تتضاعف، وأنه لا بد من إنهاء هذا الموقف بأي شكل، خاصة أن الساعة كانت تعلن الثانية ظهرًا، وهو موعد وصول «فؤاد» إلى الكافيتريا، الذي سيَجن جنونه لو رأى فاتنته الصغيرة تقف أمام ابن شقيقه هكذا، وقف سريعًا ضاربًا بيده على المكتب، وقال بانفعال:

• «قلت ابعدي عني.. ويالا روحي حضري نفسك.. عمي زمانه جاي.. عاوزين نشوف شغلنا».

عادت «ريهام» لغضبها.. سألته باستفزاز:

- «ومال عمك بموضوعنا.. أنت بتغِير منه ولا إيه؟!»

استشاط الشاب انفعالًا.. وقال بغضب بالغ:

• «أغير منه ليه.. خليه ينبسط.. كلمة تانية هبلغه بكل اللي قلتيه دلوقتي.. وساعتها هيرميكي في الشارع زي الكلاب».

وبنبرة التهديد نفسها.. ردت «ريهام» وهي تبدأ خطوات الرحيل من أمام مكتب الشاب:

- «وتقوله ليه.. أنا اللي هقول له».

■ ■ ■

جرى هذا الحوار الساخن، قبل يومين فقط من دخول «فؤاد» إلى الكافيتريا حليق الرأس، سائلًا نجل شقيقه عن حبه لـ«ريهام»، حيث

علم الشـاب للوهلة الأولى أن الفتاة قد دقت ثاني إسفين يتلقاه في حياته، وقالت ما لم يحدث، ليرد على عمه الغاضب بهدوء:

- «طبعـا هـي قالت لك كلام كتير.. وأنا متوقع ده من سـاعة اللي حصل أول امبارح».

ارتسـمت علامات اسـتفهام على وجه العم، وسـط احمرار يتزايد ليلون بشرته البيضاء.. وسأل:

• «إيه اللي حصل؟!»

رد الشـاب غـير متوقـع أن تنقلب ملامح «فؤاد» رأسًـا عـلى عقب بهذا الشكل، بسبب الفتاة اللعوب، قائلًا بثقة:

- «ولا حاجـة يـا عمـي.. لقيتها على مكتبـي بتقولي بحبـك.. وإني بغير منك.. قلت لها هقولك على إللي حصل.. بس الواضح إنها سبقت.. وقالت العكس».

وجد «فارس» عمه ينتفض من كرسي مكتبه، ويعنفه بأعلى صوت:

• «مش عاوز أسمع منك كلمة تانية عليها.. دي هتبقى مرات عمك!».

وبقدر الصدمة التي هزت أرجاء الشاب المذهول، إلا أن شعوره بالهزيمة عـلى يد أنثى لعـوب طغى على كل شيء، ليجد نفسـه يقـول بانفعال تام وبجراءة لم يعهدها في حديثه مع عمه:

- «دي آخرها تطلعلك المكتب يا عمي.. إزاي تفكر تتجوزها أصلا»؟!

هنـا، تلقى «فارس» ثاني صفعـة في حياته، والأولى مـن مثله الأعلى، إلا أنـه كان عـلى موعد مـع صفعات أخرى عقـب دقائق معـدودة، حيث اختلط نداء والده المميز، بصوت الصفعة المدوي، بعدما قادته قدماه إلى الكافيتريـا يحمل نبأ غير منتظـر، فهو نفس اليوم الذي ظهرت فيه نتيجة الثانوية العامة، لتمحو آماله في أن يرى نجله طبيبًا، فبالكاد نجح بنسـبة 75 %، ولم لا، وهـو لم يذهب إلى مدرسـته يومًا واحـدًا، أو حتى يلجأ إلى درس خصـوصي، طوال فترة عملـه، مكتفيًا بالمذاكـرة قبل الامتحان بأسبوع واحد.

صعد الأب إلى مكتب «فؤاد» بعدما رأى الكافيتريا خاوية على عروشها، ولم يشـعر بأي شيء غير طبيعي، خاصة أن نـداءه أنهى الموقف المحتدم بالأعلى، ليبدأ حديثه دون مصافحة، ملقيًا كل اللوم على شـقيقه، ومعنفًا إياه بكل ما أوتي من صخب ولعنات:

- «ارتحت دلوقتي يا فؤاد.. بتطلع علينا نقصك وعاوز الواد يطلع فاشـل زيك.. أهو آخره هيدخل تجارة.. منك لله ضيعت حلم عمري بتشجيعك على صياعته و إهماله دروسه».

تجاهـل العـم الكلمات اللاذعة لشـقيقه، بعـد أن وجد نفسـه في موقف لا يحسـد عليه، بين فشل «فارس» الدراسي، وفشله هو نفسه منذ قليل في ردعه، عقب الجملة الخطيرة التي ألقاها على مسـامعه قبل وصول الوالد، ليجد نفسه يدافع عن نجل شقيقه، و يتمسك أمام الأب الغاضب بالنجاح

العملي الذي أنجزه نجله، بعدما أصبح مسـؤولا عن كل كبيرة وصغيرة في الكافيتريا، وهو لم يبلغ الـ18 عامًا، قائلًا بهدوء غريب:

• «ومـين قـال إن ابنك فاشـل.. اللي مـش عاجبك ده بيقبـض دلوقتي في أسبوع.. قد مرتبك في شهر.. وماشوفتوش في يوم بيعمل حاجة غلط.. لا ضيع فلوسه على بنات.. ولا شرب أكتر من السيجارة».

احتد الأب كثيرًا.. وبدأ قذف كلماته:

- «هي المشـكلة كلها عندك في الكيف والنسـوان.. أنا عاوز الواد يبقى بـني آدم ليه قيمـة.. مش زيـك مليان فلوس وخـلاص.. طلَّـع الواد من دماغك يا فؤاد.. الفلوس مش هتنفعه».

واصل العم إحكام سيطرته على غضبه، ورد بتأنٍ:

• «الدمـاغ إللي بتعمل راجل مش الفلوس.. وابنك دماغه بمليون راجل.. وأنـا لو كان معايا مال قـارون ومعنديش دماغ توزن الأمور.. ماكانش حد منكم رجعلي في كل كبيرة وصغيرة.. يا متعلمين يا بتوع المدارس».

تصاعدت ثورة الأب لتحرق كلماته كل شيء.. قال بانفعال تام:

- «لو فارس اشـتغل معاك ساعة كمان.. لا أنت أخويا ولا أعرفك.. ابعد عن طريقه.. وخليه يشوف مستقبله».

كان الابن يراقب اللقاء المحتدم بحزن شديد على ما وصل إليه، حتى رأى مع نهايـة الكلمات الأخيرة لوالده، ضرورة حتميـة في المواجهة، خاصة

أن عمله بالكافيتريا بعد الآن، أصبح مستحيلًا بسبب مكيدة «ريهام»، لينظر إلى والده وعمه.. قائلًا:

- «أنا هحل المشكلة.. ما يرضينيش إنكم تخسروا بعض بسببي.. وعشان يبقى عندكم علم.. بكرة هبدأ شغل جديد».

جن جنون الأب، ليجد نفسه ينهال ضربًا على نجله دون هوادة، بينما يحاول العم إبعاد «فارس» من بين يدي شقيقه الغاضب، بلا جدوى، حتى استطاع الابن تحرير نفسه من حصار الصفعات واللكمات والركلات، التي استهدفت كل جسده، ليخرج مهرولًا من المكتب، يداري دموع فشله مرة أخرى، في مهنته الثانية، بينما احتضن «فؤاد» شقيقه بجَلَدٍ ليقيه من السقوط، إثر إغماءة كانت تشير إليها علامات عدة، خاصة أنه أصيب منذ سنوات طويلة بمرض السكر، ناهيك عن ضغط دمه الذي لم يستقر أبدًا خلال عقد كامل.

خرج «فارس» من الكافيتريا يشعر بأن الأرض قد انشقت وابتلعت أحلامه، وأن كل شيء في الدنيا يُمكن أن ينقلب رأسًا على عقب بين ليلة وضحاها، وبالكاد واصل خطواته إلى المكان الذي شهد أول انكساراته بعد خروجه من مطعم «الأنفوشي»، وبين مراكب الصيد الراسية، جلس يتأمل أمواج البحر، وكيف تصطدم ببعضها البعض، حتى تتجدد الحياة في تلك المياه الشاسعة، ليصل إلى قناعة أخذت تسيطر عليه، أن الأصل في الحياة، هو تلك الصدامات المتجددة، فمع كل موجة تنحسر،

تصل أخرى إلى الشاطئ، ومع كل نهاية، بداية جديدة، لذلك وجد الشاب نفسه، يغرس أصابعه في الرمال، ويكتب:

- «النهاية.. بداية».

■ ■ ■

الكيد الذي تعرض له «فارس» منذ الصغر، ظل يواجهه سنوات وسنوات، حتى تكونت داخله فكرة سوداء عن الجنس الآخر، جعلته يصر يومًا بعد الآخر على الابتعاد عن أي طريق يؤدي إلى أنثى، خاصة أنه قابل بعد رحيله عن معشوقته الإسكندرية، الكثير من المواقف، كان أبطالها نساء من كل حدب وصوب، فهو لا ينسى الفتاة الإيطالية التي دست له بضع ورقات فئة المائة دولار، أثناء استلقائها أمامه داخل النادي الصحي بشرم الشيخ، مطالبة إياه بأن يجوب بأصابعه باقي الأرجاء، التي لا يستهدفها المساج الطبيعي!

يومها، وبعد الكثير من الشد والجذب، حول مراد السائحة، الذي رفض «فارس» تحقيقه، بتعنت مبالغ فيه، فوجئ الشاب بالمستلقية أسفل أنامله، تنهره بشدة، وتصب عليه كل لعنات الإيطالية والإنجليزية، مستدعية الجميع بلهجة قاسية، ومدعية محاولته التحرش بها، أثناء أدائه مهمته، وهو الموقف الحرج الذي انتهى بقرار صارم من صاحب النادي الصحي، بإنهاء عمله في التو واللحظة، خوفًا من ضجيج الأجانب الذي يصل إلى مسامع المسؤولين بسرعة الصوت، ليخرج المتحرش البريء من

شرم الشـيخ، بعد شـهور قليلة قضاها بالنادي، بدأت منذ التحاقه بكلية التجارة في السويس، التي لم يدخل مدرجاتها، إلا لأداء الامتحانات!

ومن نهايـة، إلى بداية جديـدة، ومن عمل لآخر، مرت سـنوات طويلة، حصل فيها «فارس» على بكالوريوس التجارة بتقدير مقبول، مع الرأفة، خاصة أنه قضى السـنوات الثلاث الأخيرة من دراسته، مقيمًا في الغردقة، ذاهبًا إلى السويس في أيام الامتحان فقط، حيث لم تروقه الدراسة بقدر شـغفه بتعلم فنون الطبخ، بعد أن خرج من النادي الصحي، ليصبح أمهر شيف بأكبر فنادق المدينة السياحية!

لم يسلم الطاهي الماهر أيضًا من مكرهن، إذ سلكت مسؤولة توريدات مطبخ الفندق؛ ذات الطريق الذي سلكته امرأة مخزن مطعم الإسكندرية، ومـن بعدها «ريهام» التي أصبحت زوجة عمه، ثم السـائحة الإيطالية، بعدما رفض مراودتها، ووقف بعناد ذكوري أصيل أمام إصرارها الأنثوي البحـت، على أن تسـقطه بين أحضانهـا، حتى دفعها اليـأس إلى الانتقام، وبضراوة.

ومـع رفـع أذان صلاة الظهـر، صبيحة اتخاذهـا قرار الانتقام، اسـتغلت مسـؤولة التوريدات خروج «فارس» من المطبخ، لأداء الصلاة، بعد أن أشرف على إعداد طعام يكفي ألف شـخص، قبل ساعة واحدة من توافد النـزلاء على البوفيه المفتـوح، لتناول وجبة الغداء، لتفتح شـيكارة ملح، وتفتـح الأواني واحدًا وراء الآخر، وتضع كمية مهولة من السـم الأبيض

بداخل كل منها، نعم كانت فاجعة حقيقية، لن ينساها العاملون بالفندق مدى حياتهم.

خرجت الأواني من المنطقة الخلفية إلى المطعم، دون أي تخوين، وعاد الطاهي من صلاته، ليساهم في تزيين البوفيه بلمساته السحرية، وبدأ الحشد يملأ المكان، الذي تحول بمرور دقائق إلى ساحة للتظاهر، حيث ارتفعت أصوات النزلاء رويدًا رويدًا، ناهيك عن صيحات الاشمئزاز ومن ثم القيء، بينما يتلقى طاقم العمل السباب بكل اللغات.

وهو المشهد المأساوي الذي انتهى بنزول مالك الفندق من جناحه المشيد، متعاملًا بمنطق اضرب المربوط، ليصب غضبه العارم على العاملين، غير مفرق بين مدير ونادل، ثم رسم ابتسامة واسعة أمام النزلاء، مطالبًا بمهلة ساعة واحدة، ليكون كل شيء على ما يرام، وبالفعل استطاع الرجل توفير الكمية الهائلة من الطعام، مستعينًا بأصدقائه من أباطرة فنادق الغردقة.

ولحسن الحظ، لم يؤثر هذا الموقف على «فارس» كثيرًا، حيث كان هذا اليوم هو الأخير له فعليًا بالفندق؛ فقط لأنه قرر قبله بأسبوع واحد، أن ينهي عمله في المدينة السياحية، بعدما حصل على شهادته الجامعية، مفضلًا البحث عن فرصة أخرى في القاهرة، ليكون على بُعد مائتي كيلو، أو أكثر قليلًا، من مسقط رأسه، وأمه التي تبقت له هناك، عقب رحيل جدته، ووالده، متأثرًا بأزمة قلبية في نهاية عقده الرابع، وقد كان.

أنهى الشـاب عمله في الفندق، بعد جلسـة قصيرة مـع مالكه، الذي كان يعلـم جيـدًا أن الطاهـي المتميز لا يمكـن أن يقع في خطـأ الملح، وبهذه الفداحـة، وأن مؤامـرة ما قد حيكـت له، وراءها الكثـير من الأسرار، التي أصر «فارس» على عدم كشفها، رغم علمه جيدًا أن ما جرى، تقف وراءه المرأة ذات الكيد الباطش!

■ ■ ■

طرق الشـاب أبـواب القاهـرة، مدخـرًا نحـو 100 ألف جنيـه، كانت حصيلة رحلة كفاحه طوال 6 سـنوات، عمر حياتـه المهنية، التي بدأت على شاطئ البحر المتوسط، وامتدت حتى البحر الأحمر، أخذ يفكر فيما سـيفعله بهذا المبلـغ؛ الزهيد إلى حد كبير، أمـام المشروعات التي يحملها عقلـه الطموح، الذي أصبح متمرسًـا في معاملة البـشر، إلا المرأة، وقادرًا على إدارة أي مشروع، مهما كان حجمه، ليقضي شهرًا في التفكير، داخل غرفة اسـتأجرها، على سـطح عمارة بمنطقة الملك الصالح، على بعد مائتي متر مـن محطة المترو، التي تحمل اسـم المنطقة، وبجانـب الغرفة التي لا تتجاوز مسـاحتها العشرين مترًا، كان يوجد حمـام صغير جدًا، يتزاحم المرء مع نفسه، عند الاستحمام فيه!

كانت بداية انطلاقة «فارس» في العاصمة، محلًا صغيرًا، اسـتأجره ببضع المئات من الجنيهات، في المنطقة نفسـها، ووضع فيه عشرة أجهزة حاسب آلي، ليبـدأ في إدارة مشروعـه الأول، إنترنت كافيه، اسـماه «الأصدقاء»،

رغم أنه لم يكن له صديق واحد يومها في القاهرة، وأخذ يدير المشروع بتميـز وصرامة، رافضًا دخول أنثى إليه، وكأنه من قبيل المحرمات داخل المحـل، بـاذلًا في ذلـك أقصى درجـات ضبط النفـس، أمام عيـون تلك، وابتسـامة هذه، حتى إنه تجنب بيع بطاقات شحن خطوط الهواتف؛ كي يقلـل من المتوافدين على المحل، ويقصرهم على الشـباب الذين يريدون تصفح الإنترنت، أو اللهو بألعاب الكمبيوتر.

ولم يمـر عام، حتـى ضاعف مسـاحة مشروعه، بتأجير المحـل المجاور لـه، وأخذ المـشروع في التمدد، حتى زاد من أنشـطته، بطاولـة بلياردو، وأخـرى لتنس الطاولـة، وضعهما في محلين جديديـن، مقابلين للآخرين المتجاورين، لتصبح المحلات الأربعة، أشبه بمركز للشباب، يتوافد عليه العشرات يوميًا، منفقين كل ما في جيوبهم، مهما زاد، نظير المرح.

وخلال 3 سنوات، ومع المكاسب المتتالية من مشروعه المربح، استطاع أن يشتري شقة متواضعة، أعلى أحد محلاته، في الملك الصالح، التي تحولت مع الوقت إلى منطقة لنفوذه، بعدما استطاع أن يدخل في العديد من الصداقات، بحكـم طبيعتـه الاجتماعيـة، وخفـة الـدم المعروفـة عنه، ورغـم تهافت جميـلات المنطقة على الشـاب الناجح، إلا أنه وقف كالسـد أمام نظراتهن، وضحكاتهن، خلال عبورهن الشارع، الذي أصبح يعج بمحلاته.

ومع مرور شـهور قليلة على شرائه الشقة، اسـتطاع إقناع أمه، بأن تترك الإسـكندرية، وتقيـم معه في القاهرة، خاصة أنهـا لم يعد لها أي شيء في

مسـقط رأسـها، بعد مـوت زوجها، ووالدتهـا، جدة «فـارس»، ورحيل الأخـير، ابنها الوحيـد، إلى العاصمة، ما جعلها توافـق على الرحيل معه، تاركة الذكريات وراءها، لتقضي ثلاث ساعات من البكاء المتواصل، في الطريـق من الثغر إلى الملك الصالح، ومـن ثم تبدأ في تعويض نجلها عن سنوات الشقاء، التي قضاها بين الشواطئ والفنادق.

ورغم بذل الأم كل طاقتها في سـبيل راحة نجلها، فـإن خلافًا واحدًا بدأ يحتدم بينهما، مـع إصرارها على أن يخطو نحو الزواج، الذي كان يرفض فكرته جملة وتفصيلًا، خاصة مع معاناته من المرأة طوال مشواره العملي، ومـا يسـمعه عن نـزوات أصدقائـه، ناهيك عـما يراه يحـدث أمامه، في كل مرور لشـاب يرافق فتاة، داخل الشـوارع الهادئـة بالمنطقة، أو على كورنيش النيل المجاور لها، أو على الإنترنت، من خلال الجالسين في محله؛ الذين يقضون أكثر من نصف يومهم في الدردشـة مع الفتيات، و إرسـال واستقبال الصور، الجريئة أحيانًا!

ظل الشاب مصرًا على موقفه الرافض للزواج، متجاهلًا النصح والإرشاد، بعدما زاد عدد المتطوعين لإقناعه، ليشمل الكثير من أقاربه، ومنهم عمه «فؤاد»، الذي عاد للحديث معه، بمرور سـتة أعـوام على آخر لقاء جمع بينهما في مقهى عروس البحر، بعد نهاية مأسـاوية لزواجه من «ريهام»، قـضى بعدها العم عامًا في السـجن، إلا أنه خرج منه مبتسـمًا للحياة مرة أخرى، لتعود ضحكته المميزة، ومعها شرفه الذي كاد يفقده، لولا قصاصه الفوري ممن سلباه!

(5)

«قل لي.. كيف أهرب منك..
وأنت تسكن نفسي»؟

#ريكورد

□□□

استمر «فارس» في عناده تجاه الدخول إلى عش الزوجية، رغم المحاولات المستميتة من جانب والدته، التي بذلت الكثير في سبيل علاجه من إدمان العزوبية، وتصحيح نظرته السلبية للمرأة، حتى إنها كانت تبكي كثيرًا، رافعة صوتها المملوء بالحسرة:

- «أنا خايفة أموت قبل ما أشوف ولادك».

كان رد الابن واحدًا دائمًا، هو:

• « كل شيء قسمة ونصيب».

وهي الكلمات التي كانت تتخطاها الأم دائمًا؛ بأن تطلب منه الأخذ بالأسباب، والتفكير في الاستقرار وبناء حياة جديدة، ورغم استمرار الحوار على هذا النحو لأيام طويلة، فإن حدته تضاعفت بعد حصوله على وظيفة محاسب، في شركة الاتصالات العملاقة، حيث لم تر أمه أي داعٍ لاستمرار تقدمه في السن دون زواج، مما أدى إلى تزايد إصرارها على حدوث مرادها، واتخاذها قرارًا بالتعامل مع نجلها؛ باستراتيجية «الزن على الودان أمرّ من السحر»، وبالفعل لم تترك فرصة واحدة تجمعها بابنها، المطحون في العمل صباحًا بالشركة، وليلًا داخل محلاته، إلا وتنطق بكلمة الزواج، مرات ومرات، لكن دون جدوى.

بقي الحال على ذات المنوال، طوال عام ونصف، قضاها في عمله بالشركة، حتى زادت الأم في إحدى الليالي، من تأنيبها لنجلها العنيد، قائلة:

- «أنت هتفضل متعقد كده.. ومش عايز تفرحني بيك؟».

رد الابن بحزم:

• «ومين قالك إنك هتفرحي بيّ ساعتها.. مفيش جوازات حوالين الواحد تفرح.. كلها مشاكل».

زادت الأم من حدتها:

- «أنا لو عشتلك النهارده.. مش هعيشلك بكرة.. وبقولك كده بقالي سنين.. ومفيش فايدة فيك.. أعمل إيه تاني؟».

وبهدوء، قال «فارس»:

• «متعمليش أي حاجة.. اهدي بس كده.. وإللي عاوزه ربنا هيكون».

- «هتقولي اهدي تاني.. يابني عمرك بيضيع».

• «كله بتاع ربنا».

- «مقولناش حاجة.. لكن أنت أصلًا شايل الفكرة من دماغك.. شايف الستات بعبع».

• «على أساس إني بتخض منهم يعني؟!».

- «أيوه مخضوض وخايف.. وده إللي مخليك تبعد عن الجواز».

• «ما هو أنا برده مشوفتش منهم شوية».

- «طالما حاطط في دماغك كل إللي فات.. مش هتتقدم خطوة.. وهتعقد نفسك أكتر.. زي ما الدنيا فيها الوحش.. فيها الحلو».

رد الابن ببرود:

• «ربنا يسهل».

قال هاتين الكلمتين، ثم دخل إلى غرفته، متأملًا كل ما مضى، في الإسكندرية، وشرم الشيخ، والغردقة، وحتى هنا بالقاهرة، حيث لم ينجُ أيضًا من الكيد الباطش، بعدما وقعت إحدى زميلاته بالعمل في حبه، أو كما أوهمت من حولها بذلك، لتبدأ في مطاردته، محاولة جذبه لساحة الحب، من خلال مواقف عديدة، أظهرت فيها حرصها البالغ عليه، عن طريق مساندته في بعض الصراعات، المشتعلة حوله بصورة مستمرة، إلا أنه سرعان ما أصبح عدوًا لدودًا في نظرها، بعدما تجاهلها، رغم أن الأنثى الأولى التي يدق لها قلبه، كانت «سهر»!

■ ■ ■

كان حوار والدة «فارس» الأخير مع نجلها، الذي غلبت عليه نبرة التأنيب، وانتهى بـ«ربنا يسهل»، في الليلة التي سبقت زيارته إلى «زياد»، داخل شقته بالسيدة زينب، وشهدت نقاشهما المحتدم حول وداع «أميرة» وحب «سارة»، قبل أن يتفقا على السكوت، حيث بقي الصمت مسيطرًا على أرجاء الشقة، ليستمع الصديقان إلى أنغام خيرت، دون أن ينطق أحدهما بكلمة واحدة.

إلا أن «زياد» لم يدع الصمت يستمر طويلًا، بعد انتهاء المقطوعة الموسيقية، ليسأل صديقه:

- «تحب تسمع إيه؟».

رد الأخير بثبات:

• «حنين».

سأله الصديق باستغراب:

- «حنين.. بتحب ولا إيه؟».

عاد «فارس» للسخرية، قائلًا:

• «لا.. بس يمكن أنت تحن.. وتعقل».

رفع «زياد» حاجبيه، ومعهما صوته، قائلًا باندفاع:

- «أنت تاني.. مش قلتلك سيبني في حالي».

قال هذا، ولم ينتظر رد صديقه، أو ينظر له، أمسك حاسبه من جديد، وبدأ في تشغيل مقطوعة «حنين»، لنفس الموسيقار، ثم باغت ضيفه، قائلًا:

- «قولي أنت بقى.. إيه آخرة موضوع سهر ده؟ البنت مخلية سيرتك على كل لسان، ماشية تقول إنك غدرت بيها وبعتها.. يا قاهر قلوب العذارى».

وبذات السخرية التي غلبت على كلمات «زياد»، رد صديقه ضاحكًا:

• «عادي يا سيدي.. أهو الصيت ولا الغنى».

- «صيت إيه بس.. دي بتقول عنك كلام زفت».

• «وماله.. ياما قالوا.. أنا خلاص اتعودت».

- «وسمعتك يا بني؟! هتسيبها لبانة كده على لسان الناس؟!».

• «وأنا خسران إيه.. إذا كانت مش خايفة على سمعتها.. هخاف أنا.. هي اللي بتبهدل نفسها.. وهي برضه الخسرانة في الآخر».

قال «فارس» الكلمات الأخيرة، بنبرة عنيفة، تؤكد أن الكيل قد فاض به من تصرفات «سهر»، وتجافى أيضًا الحب الذي كاد يولد داخل قلبه تجاهها، عندما شعر مع مساندتها له، و إبطالها مفعول الكثير من المكائد التي حيكت ضده؛ أنها تختلف عن الأخريات ممن قابلهن في حياته، ليبدأ بالتفكير فيها كأنثى ترافقه الدرب، حتى فوجئ بتصرفات غير مستساغة تبدر منها، في مواقف عديدة، ولدت كلها من رحم واحد، هو مزاحها المستمر مع الموظفين، وضحكاتها التي ترج أرجاء الشركة، بعد كل مزحة مع هذا، ونكتة من ذلك.

ورغم قيامه بلفت نظرها عدة مرات إلى ذلك الأمر؛ الذي يعتبره فجًا، لم تعر له بالًا، وأصرت على مرحها الزائد عن الحد، الذي كان يفسره الجميع بطريقة خاطئة، ومع استمرار تماديها في أفعالها، صرف الشاب نظره وقلبه عنها، ليدعها وشأنها، و يتجنب الحديث معها، متحاشيًا أن يجمعهما مكان واحد في الشركة، بمفردهما، ومع بدء تجاهله لها، بدأت أيضًا حربًا ضده، لتتحالف مع أعدائه من الموظفين الحاقدين، وتنصب

له الفخ تلو الآخر، وتفقـده علاقته الطيبة ببعض زميلاته، اللاتي صدقن ما تقوله عنه، وتعاطفن معها، دون أن يتأكدن من افتراءاتها.

كل هـذا، دفع «فارس» إلى أن يرد على صديقه بتلك النبرة القاسـية، التي تجـزم أنـه أنهى تفكيره فيهـا كنصف ثـانٍ، يُكمل به ومعـه الحياة، لكن «زياد» لم يتوقف عن استفزاز الأول، قائلًا بسخرية:

- «البنت بتحبك يا فارس!».

وبهدوء وتأنٍ، يجافيان سخرية صديقه، رد:

• «حـب إيـه بس، لو بتحبني كانت على الأقل بطلـت هزار مع ده وده، وضحـك بصوت عالي.. شـوف أنت عملت إيه في أميرة.. عشـان راحت فـرح بنت عمتهـا.. أمال كنت هتعمـل معاها إيه لو شـوفتها بتهزر مع طوب الأرض؟».

تحـول «زيـاد» سريعًا مـن نبرته السـاخرة، إلى أخرى تكشـف اقتناعه الشديد، وقال:

- «في دي عندك حق.. أنا نفسي مش فاهمها.. وابتديت أفكر فيها غلط.. بـس أنت برضـه لازم تحط حد لكلامها عليـك.. دي مصورة للناس إنك مش بـني آدم أصلًا.. قـاسي وجارح وخايـن وفيك كل العـبر.. وده إللي بيوصلني من صاحباتها».

• «يا عم سـيبك.. زي ما قلتلك هي الخسرانة.. خليها تكمل هبل.. كله في الآخر هييجي على راسها هي وبس».

قال «فـارس» الكلـمات الأخيرة، واسـتقام مـادًا يده إلى علبة سـجائره وقداحته، معلنًا انتهاء جلسته مع صديقه، وبمرور دقائق كانا يتصافحان على باب الشـقة، ليبدأ الأول رحلة عودته إلى منطقة الملك الصالح، التي يفصلها عن السـيدة زينب، محطة مترو واحدة، ليصل سريعًا إلى شـقته، بعد الاطمئنان على سـير العمل بمشروعه الكبير، وتبدأ حلقة جديدة من مسلسل حزن الأم، على تأخر زواجه، كما اعتاد كل ليلة.

■ ■ ■

أمـا «زياد»، فودّع صديقه على باب شـقته، ثم هرول مسرعًا إلى غرفته، ليبدأ حلقة في مسلسـل التحديق بالسـقف، وتمر أمام عينيه كل المشاهد التي جمعته بـ«سـارة»، في القطار والمترو، قبل أن يخلد في نوم عميق، غير مفكـر في دموع «أميرة» التي تنهمر على وسـادتها، بالتأكيد الآن، بعدما تحولت مشـاعره رأسًـا على عقـب، إلى صاحبة العيون الزرقـاء، بين ليلة وضحاها.

قضى الشـاب الأيام التـي تبقت من الأسـبوع، بين العمـل والمنزل، عدا يـوم الخميس، الذي خرج فيه مـن الشركة إلى كوبـري الجامعة، ليقف على النيل سـاعة كاملة، يفكر فيما سـيفعله حين يسافر بعد ساعات إلى المنصورة، وكيف يتجنب التفكير في «أميرة»، عندما يسير على كورنيش النيل، الذي جمعهما لأكثر من عقد كامل، وكان شـاهدًا على أصعب أيام حبهـما وعذابهما، وفي النهاية قرر تأجيل سـفره إلى عصر الغد، الجمعة،

ليكون في مسـقط رأسـه قبل الثامنة مسـاءً، حتى يلحق بالقطار، مكان لقائه المنتظر بـ«سارة»، وهو ما تحقق فعلًا.

في السادسـة والنصف من مسـاء الجمعـة، كان «زياد» يقـف في منطقة المشاية، على كورنيش المنصورة، متجنبًا الوقوع تحت سيطرة الذكريات التـي تحاصره هنـا وهناك، في كل مكان عانقت فيه يـداه أنامل «أميرة»، عندمـا كانـا يسـتتران في ظلمة الليـل من عيـون البـشر، ويقفان تحت شجرة شـهيرة، نمت معها قصة حبهما، يحلمان بالغد، الذي سيقضيانه معًا في عشـهما الهادئ، تحت سـقف واحـد، يتبادلان فيه أشـواق أعوام من الحرمـان، ويعوضـان بعضهما عما مـضى من عمرهمـا، ويتحديان الزمن بحبهما الصادق.

تجاهـل «زياد» شريط الذكريات الذي يمر أمـام عينيه، وقضى وقتًا غير قليـل، يتأمل النيـل، ليرى ملامـح ذات العينين الزرقاوين، مرسـومة بين الأمواج القصيرة، الهادئة الصافية كابتسامتها، ثم نظر إلى ساعته ليجدها تعلـن السـابعة والربـع، وفي أقل من دقيقتـين، كان يسـتقل تاكسي، في طريقه إلى المحطة، ولقائه الثالث بـ«سـارة»، الذي ظل يحلم به أسبوعًا، أيقن مع كل يوم يمر فيه، أن عقارب الساعة، أشد العقارب فتكًا!

وهو ما كان يشـعر به أيضًا، مع مرور كل دقيقة وقف فيها على رصيف محطة المنصورة، بعدمـا وصل إليه مسرعًا، غاضًا نظره عن المكان الأخير الـذي جمعه بــ»أميرة» الأسـبوع المـاضي؛ على بعد أمتار مـن الرصيف،

ومتأملًا في ملامح كل من تمر أمامه، عله يجد ضالته، ويرى الحسناء قبل ركوبها القطار، حتى أعلنت ساعة المحطة تمام الثامنة مساءً، ليتزاحم الركاب على أبواب العربات، في انتظار الانطلاق، وهو ما حدث بعد عشر دقائق من الموعد المحدد، وصل خلالها الشاب إلى العربة التي تحتل الكافيتريا نصف مساحتها، وبدأ رحلة البحث عن صاحبة العيون الزرقاء.

ومع انطلاق القطار، أنهى الشاب المشتاق بحثه في نصف العربة المليء بالركاب، وأخذت عيناه تفحص كل راكبة، متفاديًا التصادم بالمتأخرين الذاهبين نحو مقاعدهم، ومع وصوله لنهاية كل عربة، كانت الأشواق تقتله، لتزيد اللهفة في عينيه التي التقطت صورة لجميع الراكبات، حتى وصل إلى نهاية بالقطار، ليجن جنونه، ويقرر العودة من جديد إلى الكافيتريا، وبدء البحث مرة أخرى.

وفي طريق العودة، وقف «زياد» في آخر كل عربة، من الناحية الأمامية، ناظرًا عبر نافذة الباب الصغير، متفحصًا الركاب، لتتبدد آماله عندما اجتاز واحدة بعد الأخرى، حتى وصل إلى مقصده، ليبدأ مرة ثالثة في السير داخل العربات، عائدًا إلى الأخيرة، لكن بلا جدوى، إلا أنه في هذه المرة، لاحقته أعين الركاب، الذين لاحظوا تحركاته المتتالية، للدرجة التي دفعت أحدهم، لسؤاله بتسلط؛ عما إذا كان يبحث عن أحد داخل القطار، وكانت إجابة الشاب وقتها بالإيجاب، مكملًا بحثه عن الملامح الضائعة وسط مئات البشر.

بالكاد، قرر إنهاء رحلة البحث، عند وصوله للعربة الأخيرة، للمرة الثانية، وجلس على مقعد بمنتصفها، محركًا ظهره للخلف، حتى يستطيع التمدد قليلًا، بينما عيناه تدمع لتطفئ حريقًا يشتعل بداخله، فلم يكن يتخيل أنه سيمضي تلك الرحلة، دون «سارة»، خاصة أن ضحكتها الأخيرة، التي رآها تحت الأرض، في محطة مترو رمسيس، كانت إشارة تأكيد لتجدد اللقاء، كما أقنع نفسه يومها.

أخرج هاتفه من جيبه، وضغط على زر التشغيل، متوقعًا أن يجد رسالة من «أميرة»، التي تعلم موعد عودته إلى المنصورة، إلا أن الهاتف لم يستقبل أي شيء، وتجنب الضغط على علامة نقل البيانات، التي تربط الجهاز بالإنترنت، حتى يصمد أمام قراره الذي اتخذه قبل أسبوع؛ بعدم الدخول إلى موقع التواصل الاجتماعي، حتى يتجنب رؤية ما تكتبه حبه الأول عن عذابها بعد رحيله، وأمام حالة الغضب الممزوجة باليأس، التي كانت تحاصره، أغمض عينيه، ولم يفكر في أي شيء، حتى خلد إلى نوم عميق، ليوقظه أحد ركاب العربة الأخيرة، التي تمتاز بهدوئها غالبًا، ويعلمه بوصول القطار إلى القاهرة.

استيقظ من سُباته الذي طال كثيرًا، غير مستوعب انتهاء الرحلة دون أن يرى الحسناء، ضاربًا كفًا على كف، وهو يخطو سريعًا، بعد نزوله على الرصيف، على أمل أن تقع عيناه عليها، ويتحقق حلمه، كان أول العابرين لمخرج المحطة، وظل واقفًا نحو عشر دقائق، حتى خرج الركاب واحدًا تلو الآخر، ومع مرور العشرات والعشرات، تبددت

آماله، ليقرر النزول إلى المترو، محاولًا إقناع نفسه بأن لقاءً ينتظره الجمعة المقبل، معها في القطار، كما ودعته ضحكتها، التي لم ينسها قط.

■ ■ ■

وصل إلى منزله سريعًا، وللمرة الثانية، لم يفكر في إلقاء نظرة على مكان عناقه الأول بـ«أميرة»، داخل محطة السيدة زينب، صاح عقب فتحه باب شقته، لاعنًا الأسباب التي منعت «سارة» من السفر، كعادتها أسبوعيًا، بينما يتصاعد قلقه عليها، فكيف تغيبت عن الموعد؛ الذي انتظره على مدار أيام من الأشواق والأحلام؟ ثم وضع رأسه تحت الماء، وكأنه ينفض عنه غبار عام من الترحال في الصحارى، وأخذ يضرب بيده جدران حمامه، وخرج في حالة غضب عارمة، حتى وصل إلى سريره، ليبدأ في التقلب يمينًا ويسارًا، لا يعلم إلى أين هرب النوم من عينيه.

ووسط الأرق المتزايد، والقلق المزمن، أضاء غرفته من جديد، واجدًا في الكتابة مسكنًا لما بداخله من آلام، وأمسك بمذكرته الصغيرة، كتب:

«هناك أناس يسكنون قلوبنا.. نراهم حتى لو غابوا عن عيوننا!».

ترك القلم، أطفأ المصباح، ودخل في نوم متقطع، ظل يعاني منه طوال أسبوع، قضاه أيضًا بين الشركة والشقة، ولم يتلق فيه اتصالًا أو رسالة واحدة من «أميرة»، لكن الحنين إليها كان يصيبه أحيانًا، بعدما افتقد رعايتها التي استمرت على مدى سنوات طويلة، كانت له فيها الحبيبة والصديقة والشقيقة والأم، تسأله كل يوم عن أدق تفاصيل حياته،

طعامه وملبسه، مرضه و إرهاقه، نجاحاته و إخفاقاته، كل هذا لم يعد له وجود، أصبح وحيدًا يواجه الحياة، على أمل لقاء مَنْ لا يعرف سوى اسمها حتى الآن، سارة!

وفي نهاية كل ليلة؛ طوال أسبوع مر ببطء شديد، كان يكتب عدة كلمات، تحمل ما داخله من حنين للماضي، وشوق للمستقبل، منها: «لا تعطِ مفاتيح سعادتك لأحد؛ حتى لا تفقدها للأبد»، إلا أنه دوّن سؤالًا في المذكرة، لم يعرف تحديدًا إلى أي عيون يوجهه، الخضراء أم الزرقاء، عندما تنازعت المشاعر بداخله، ليجد نفسه يتساءل: «قل لي.. كيف أهرب منك.. وأنت تسكن نفسي؟»، وبقدر إجابة السؤال المستعصية، لم يستطع الشاب تحديد شخصية الملهمة، التي تقف وراء كلماته.

تمسك بصبره على الحيرة الشديدة والأشواق الموجعة، حتى سافر للمنصورة عصر الجمعة، في الموعد نفسه الذي خروج فيه من القاهرة قبل أسبوع، ليقرر بعد وصوله، وللمرة الثانية؛ عدم الخروج عن دائرة المحطة والمشاية، أو الذهاب لجدته، وسط آمال تتزايد بداخله، تؤكد استحالة تكرار ما حدث الأسبوع الماضي، وغياب «سارة» للمرة الثانية عن العودة في اليوم المعتاد، ما جعله يتيقن أنه سيراها، لا محالة!

وصل للمحطة في الموعد المحدد، لكنه نظر حوله قبل دخولها، وكأنه يبحث عن «أميرة» وسط الزحام، علها تنتظره مرة أخرى أمام المحطة، ثم أغمض عينيه للحظات، واتجه إلى الرصيف غير مكترث بشيء، ولكي

يتلافى احتمالات فقدان الحسناء، ظل واقفًا على بداية الرصيف، يفتش بين وجوه الركاب، حتى انطلق القطار، ليتعلق بباب أول عربة في الدرجة الأولى، متعمدًا عدم الدخول كعادته إلى نصف العربة، التي توجد بها الكافيتريا، المصنفة درجة ثانية، حتى يبدأ رحلة بحثه من أول مقعدين في القطار.

■ ■ ■

ظل ينظر بتلهف إلى الجالسين على المقاعد، انتهت أول عربتين، دون أن تقع عيناه على الحسناء، وصل الثالثة سريعًا، متفاديًا المترجلين بين العربات، الذاهبين هنا أو هناك، ثم تعثر وراء متسول معوق، ربما اتخذ من فقدان إحدى قدميه ذريعة لسلب أموال الناس، بالحُسنة، وقضى دقائق خلف خطى صاحب القدم الواحدة، ورغم أن ذلك أمهله وقتًا كافيًا لحفظ وجوه الركاب، إلا أن تلك الدقائق مرت عليه عامًا كاملًا، أخذ يضرب فيها بيده أعلى كل كرسي يصل إليه، ثم يضع عليها خده لثوانٍ، منتظرًا إتمام المتسول استجداء الناس، حتى فقد الشاب صبره، ليتجاوز العائق البشري بقوة، مندفعًا نحو العربة الرابعة، بعينين يزداد لمعانها رويدًا رويدًا، وتخرج منهما العديد من النظرات اليائسة!

خطا مسرعًا نحو أولى عربات الدرجة الثانية، ازدادت حماسته، وتمنى أن يغمض عينيه ويفتحهما؛ وقد وجد صاحبة العينين الزرقاوين، وبجوارها مقعد دون راكب، حتى يبدأ رحلة الحب الجديدة، وصل إلى كافتيريا القطار،

تجاوزها بخطى واسعة، وبعد تخطيه بضعة مقاعد، ألقى عينيه، ليثبتهما في نظرة أبدية، كادت تلد دموعًا، إنها دموع الفرح، التي ترجته في النزول، وسط رعشة اجتاحت أرجاءه، بمجرد أن رأى ابتسامة «سارة» أمامه، بكل رقتها ورونقها، وبجوارها مقعد شاغر، كما تمنى، ليجد نفسه يجلس بجوارها دون استئذان، راسمًا على وجهه ضحكة أخذت تتسع، قبل أن يقول:

- «قلقتيني.. قلبت عليكِ القطر الجمعة اللي فاتت.. طمنيني»!

لم تفارق الابتسامة وجه «سارة»، ورفعت صوتها الهادئ:

• «الحمد لله بخير، مسافرتش الأسبوع اللي فات، كان عندي امتحانات».

قالت كلماتها برقة جعلته يشعر بأنها حورية، تفتح له أبواب الجنة، فاستقبلها بضحكة تتسع أكثر وأكثر، خاصة أنه اعتبرها بداية لحوار، سيدوم حتى القاهرة، ثم قال بصوت تملؤه الأشواق:

- «الحمد لله إنك كويسة.. وعملتِ إيه في الامتحانات اللي حرمتني منك».

قابلت لمعان عينيه، بنظرة واسعة، جعلته يرى عينيها قمرين في تمام الكمال، قبل أن ترد بنبرة ساخرة:

• «عملت زي أي طالب حقوق في مصر.. أهو الامتحان عدى والسلام».

- «أنتِ في سنة كام أصلًا؟»

• «رابعة».

- «طيب يعني هانت.. إيه بقى اللي مزعلك من حقوق قوي كده».

صمتت الحسناء لثوانٍ، وكأنها تستغرب دخولها حوار مباغت كهذا، ثم ردت بهدوء:

• «مش مسألة زعل.. أنا قريت كتب تملا عشرين رف، وفي الآخر عارفة إني هتخرج وأقعد في البيت».

- «آهاا.. خايفة تتخرجي وتقابلي صخرة الحياة والكلام ده».

• «لا خالص.. إحنا في كليتنا بنقابل الصخرة دي من سنة أولى».

وبابتسامة رسمت السعادة على ملامح «زياد»، الذي علم للتو أن الحديث سيزداد اتساعًا، ويتحول إلى نقاش مبهج، سألها:

- «إزاي؟».

بدأت في تحريك يديها، وكأنها ستبدأ في شرح كل الأبعاد، قائلة:

• «مفيش طالبة بيبقى عندها أمل إنها تشتغل في المحاماة بعد التخرج.. الناس اتعودت إن المحامي لازم يكون راجل.. معرفش ليه».

- «أيوه بس فيه كذا مجال للشغل قدامك.. الشركات والبنوك.. ده غير النيابة».

• «صح.. بس ده مش سهل قوي كده.. ويمكن مستحيل بالنسبالي».

رفع هو الآخر يده، مستفهمًا:

- «إيه التشاؤم ده.. مستحيل ليه يعني؟».

• «أولًا هتخرج بمقبول، ثانيًا معنديش واسطة لا هنا ولا هنا».

وأمام الإحباط الذي احتل ملامح الحسناء، أراد الجالس بجوارها اقتناص بعض من المعلومات، قال:

- «محدش عارف بكرة فيه إيه.. إنتِ حقوق المنصورة أصلًا»؟

• «لا.. القاهرة.. بس باجي كل أسبوع.. عشان أزور أختي».

وبعلامات اندهاش سادت وجهه، رفع صوته بجرأة:

- «إيه ده.. عينيكِ الحلوة دي خلتني أفتكر إنك من المنصورة!».

ابتسمت «سارة» كأنها تشكره على مجاملته، وباغتته بصوت يملؤه المرح:

• «ليه؟! أنت فاكر العيون الحلوة عندكم بس؟!».

- «كنت فاهم كده.. بس عينيك ببنات المنصورة كلهم».

قال كلماته مصوبًا عينيه في حدقتيها الساحرتين، ومع صمتها الذي اختفت معه ابتسامتها، ظن أن جرأته وتسرعه سينهيان الحوار الهادئ، سألها بهدوء حتى ينهي إحراجه أمام صمتها:

- «مقولتليش.. منين من القاهرة».

ردت بثبات:

• «المعادي».

- «ياه.. إيه الصدفة الحلوة دي».

عادت ابتسامتها، وسألته بهدوء:

• «أنت من المعادي برضه؟!

- «لا بس شركتي هناك.. أنا أصلًا من المنصورة.. بس مقيم في السيدة زينب.. من سنين طويلة».

• «فرصة سعيدة».

- «هيبقى فيه فرص أسعد».

وبابتسامة ملأت أركان «زياد» شغفًا، وزادت فيها ملامح الحسناء احمرارًا، استقبلت جملته الأخيرة بخجل، ولم تنطق بكلمة واحدة، ليتابع الشاب بثبات:

- «وصلنا بنها.. الوقت عدى بسرعة قوي.. مش عاوز القطر يوصل».

تبدلت ملامحها رأسًا على عقب، ومعها نبرة صوتها، قالت:

• «أنا ملاحظة من أول ما بدأنا كلام النهارده، إن فيه شوية جمل كده مش فاهماها، مش معنى إني عديتها مرة، إنك كل شوية تقول كلام مالوش معنى، إيه رأيك بقى إني عايزة القطر يوصل، وبسرعة».

كالواقف تحت جبل ينتظر سقوطه فوق رأسه، نظر «زياد» إلى صاحبة العينين الزرقاوين، غير مستوعب سر ذلك التحول المفاجئ؛ الذي طرأ على مسار الحوار الهادئ، بعدما دار لأكثر من ساعة ونصف، بمرور دقائق على انطلاق القطار من المنصورة، حتى وصوله لمحطة بنها، تجمد في كرسيه كأنه فقد القدرة على الحركة والكلام، واستطاع النظر أمامه بصعوبة بالغة، ليعود برأسه إلى المقعد، ويغمض عينيه، غير عابئ بنظرات «سارة» التي لاحقته منذ قولها الكلام غير المتوقع.

■ ■ ■

لم يفتح المصدوم عينيه طوال 40 دقيقة، استغرقها القطار قبل أن يقف على أبواب القاهرة، منتظرًا إشارة الدخول إلى رصيف المحطة، وهو الأمر الذي طال كثيرًا، كالعادة، وكان سببًا في خروج «زياد» من غفوته المؤلمة، التي لم يفقد فيها أيًا من حواسه، عدا بصره المحجوب بإرادته، حتى داعبه صوت الجالسة بجواره، وهي تقول بنبرة حازمة:

• «لو سمحت».

ظن الغافي في عز صحوة عقله ومشاعره، أن نداء «سارة» هو بداية لفاصل ثانٍ من التأنيب والتهذيب، وظل مغمضًا عينيه، وكأنه لم يسمع أي شيء، وبمرور ثوانٍ معدودة، كررت الحسناء نداءها، بنفس الحزم، وكرر المستمع تجاهله بذات الإصرار، قبل أن يفاجأ بأنامل ساخنة تطرق يده، على وقع ذات النداء، لتعود الرعشة التي اجتاحته قبل

جلوسه للمقعد، وتجعله ينتفض سريعًا، فاتحًا عينيه على نظرة قاسية ترمقه بحدة، خرجت من العينين الزرقاوين، وكأن صاحبتهما تعاقبه على تجاهله كلماتها الأخيرة، والعنيفة، ودخوله في غفوته، ليجد الشاب نفسه مضطرًا لمعاملتها بالمثل، موجهًا نظرة أكثر قسوة إلى عينيها، قبل أن يقول:

- «أفندم»!

عادت إلى صوتها النبرة الساحرة، التي سمعها قبل أقل من ساعة بقليل، في حوارهما الهادئ، المنتهي بعاصفة، وسألته:

• «إحنا داخلين القاهرة بقالنا أكتر من ربع ساعة.. ليه القطر وقف هنا؟».

ورغم أنه يعلم جيدًا، سبب توقف القطار، إلا أنه تعمد الميل نحو الجالسة بجانبه، و إزاحة ستارة النافذة المجاورة لها، ملقيًا نظرة على الخارج، قبل أن ينظر إليها في أقرب لحظات تلاقي أعينهما، و يقول بهدوء، كأنه يعلن استسلامه لنظراتها:

- «ده العادي، لازم نقعد ربع ساعة أو أكتر؛ كل مرة على باب المحطة.. لحد ما رصيف يفضى».

وبابتسامة مباغتة، ردت «سارة»:

• «طيب.. حمدًا لله على السلامة».

وأمام ما حوته كلماتها من رقة ولطف، عادت السعادة إلى صوت الجالس بجوارها، وقال:

- «الله يسلمك».

باغتته الحسناء من جديد، قائلة:

• «تصدق لسه معرفش اسمك لحد دلوقتي»!

عادت الضحكة إلى وجهه أخيرًا، ومعها جراءته، قال بمرح:

- «أنتِ اديتيني فرصة أقول أي حاجة.. عمومًا اسمي زياد.. وبشتغل محاسب في شركة محمول.. ومش مرتبط على فكرة».

وبحزم، استوطن صوتها مرة أخرى، ردت سريعًا:

• «مش قلتلك بطل كلامك ده.. أنت مصمم تضايقني؟!».

تيقن الشاب أن جرأته ستأتي بما لا تحمد عقباه، خاصة مع تقلب ملامح الحسناء، بعد كل إعلان مستتر منه؛ بإعجابه بها، أو أي محاولة لفرض مشاعره على الساحة، عقب أسبوعين من الشوق لتلك اللحظات، التي يرى فيها مَنْ زارته بأحلامه؛ تجلس إلى جواره، وتتجاذب معه أطراف الحديث، وحتى يتجنب عودة الصمت؛ قرر التراجع عن جرأته، ولو مؤقتًا، واللجوء إلى الدبلوماسية، في محاولة منه لإعادة الأجواء الهادئة، ثم رفع صوته بهدوء وتعقل:

- «آسف.. واضح أننا خلاص داخلين على الرصيف.. مبسوط قوي إني شوفتك النهارده».

• «الله يخليك».

ومع بدء تزاحم الركاب على نهاية العربة، استعدادًا للنزول، عاد «زياد» إلى نبرته المرحة، قائلًا:

- «مش هتدخلي في السباق ده».

وبعد ضحكة فتحت أبواب الجنة أمامه من جديد، ردت:

• «شوفتك وأنت واقف المرة اللي فاتت بينهم.. صعبت عليّ».

استمرت ابتسامته الواسعة التي لم تختف منذ ضحكة الحسناء، ورد:

- «أنا أصلًا صعبت على نفسي.. بس كله يهون».

ورغم أن آخر كلماته، كانت تحمل بعضًا من جرأته، التي كانت ستكتمل لو أكمل جملته كما أراد، إلا أنه توقف بالكاد عند كلمة تهون، وأمسك شفتيه عن قول «عشانك»، حتى لا يفيق من حلمه على عاصفة ثالثة؛ بأن تكرر الحسناء إيقافه عند الحد، الذي وضعته له، مرتين في الرحلة، لذلك نظرت له وقتها باستحسان، وكأنها تفهمت أنه استطاع فرملة لسانه، في الوقت المناسب، وقالت بضحكتها الفاتنة:

• «خلينا قاعدين بقى لحد ما الكل ينزل، ولا عاوز تعمل تضحية تانية».

تعالت ضحكته المميزة، غير عابئة بالركاب الواقفين بجانبه، في طرقة العربة، انتظارًا لانطلاق سباق النزول، ومع ارتفاع صوته ورأسه إثر

الضحكـة المجلجلة، اسـتوعب ما يحـدث حوله، وأن البعـض يتابعونه، وبالتأكيد يتأملون ملامح الحسناء، نظر إلى أعينهم جميعًا، حتى انصرفوا عـن النظـر إلى مقعدهمـا، قبـل أن يعـود بعينيـه إلى صاحبـة الحدقتـين الساحرتين، ويقول بمرح:

- «وهضحي ليه المرة دي.. وأنتِ قاعدة جنبي».

رأى ضحكـة الفتاة تتبدد، وملامحها تتحول إلى الحزم من جديد، أدرك أن العاصفة ستعود إلى اقتلاع سعادته، وسريعًا حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، متابعًا:

- «اوعي تفهميني غلط.. أنا قصدي إنك جنبي ومطمن عليكِ.. لكن المرة اللي فاتت.. خفت عليكِ من الزحمة.. عشـان كده فضلت واقف وسـط البشر دي».

قـال آخر كلماته، وهو يشـير إلى التصارع المحتدم، الذي تشـهده نهاية العربـة، إلا أنـه كان على موعـد مع فرحة غـير متوقعـة، حيث عادت ابتسامة الحسناء تتسع رويدًا رويدًا، قبل أن تقول:

• «قصدك اوعي تفهميني صح.. عمومًا أنا قدرت يومها وقفتك، وهي اللي خلتني أقولك اسمي في المترو«.

استقبل كلماتها بسـعادة بالغة، خاصة أنها أعطته بعدًا جديدًا في الحوار، ها هـي تعلن أنها تفهمه، وتسـتوعب ما يقـول جيدًا، ليقـرر العودة إلى جرأته، ويباغتها بنبرة المشتاق، سائلًا:

- «يعـني أفهم من كده أني لو ضحيت دلوقتي تاني.. هتقدري وتديني رقم تليفونك؟».

رفعت عينيها إليه بحدة، وقالت:

• «على فكرة أنت جريء قوي».

وبثقة رد:

- «ماينفعش أشـوف عيونك دي ومبقاش جـريء.. وبعدين يهون عليكِ أقلـب القطر عليـكِ كل مرة.. متخافيش هتصل يـوم الجمعة بس.. أنتِ مش عارفة السفر بيبقى صعب وطويل إزاي من غيرك».

زاد لمعان عينيها، شـعر الجالس بجوارها بـأن بريقهما الغاضب يصفعه، قبل أن تقول:

• «جراءتك دي هتوديك في داهية.. شكلها كده آخر مرة نتقابل».

وقعت كلماتها الأخـيرة كصفعات متتالية على وجهـه، ودخلت إلى أذنه كالرصاص، حاول إدراك الموقف سريعًا؛ بالعودة لرزانته ودبلوماسـيته، وقال:

- «لو يريحك إني أتأسـف تاني اعتبريه حصل.. بس أنا مش هتأسف على أي خطوة تقربني منك».

هنا، كان القطار قد أفرغ حمولته من الركاب، ليتبقى هما فقط في العربة، نظرت الحسناء إلى الجالس بجوارها، ولم تنطق بكلمة واحدة بعدما أنهى

حديثه، ثم أمسكت حقيبتها القابعة أعلى قدميها، وبدأت في الاستقامة، ليشعر الشاب بالحرج، ويستقيم هو الآخر، ويفسح لها الطريق؛ حتى تسبقه خطواتها، وهو ما حدث، أخذت تخطو أمامه بهدوء، طاردها بنظراته قبل قدميه، ممسكًا بصمته، قبل أن يتخطيا الباب، وتطأ أقدامهما الرصيف، ويفاجأ بنظرة عابثة ترمقه، ليرفع صوته من جديد:

- «شكلك زعلتِ بجد.. سامحيني.. هعتبر سكوتك رفض لطلبي.. زعلك عندي أهم من مليون رقم تليفون».

نظرت تجاهه بثبات، وقالت:

● «شكرًا يا أستاذ زياد.. فرصة سعيدة».

كاد الحرج أن يقتله، وعاد العرق ينذره بالغرق، شعر بأن الرصيف ينشق ويبتلعه، وأن مشاعره تسقط قتيلة بينما يقف مكتوف الأيدي، غير قادر على إنقاذها، ثم تدافعت كل الكلمات إلى لسانه، ووقفت محلها في انتظار إذنه بخروجها، لكن حيرته أوقفت قدرته على اختيار ما يقول، وظل يخطو إلى جانبها، مصوبًا عينيه للأسفل، كالمنهزم في معركة كرامة، ورغم ذلك لم تبتعد السائرة بجانبه عنه خطوة واحدة، ظل يفكر فيما يفعله، حتى وصلا لبوابة المحطة، ليرفع صوته أخيرًا، وبنبرة تحدٍ:

- «على فكرة أنا أسعد، وهبقى سعيد أكتر لو شوفتك الجمعة الجاية».

وبنظرة هادئة خرجت من عينها، على غير المتوقع، وابتسامة صافية زينت ملامحها الرقيقة، ردت:

• «إن شاء الله.. أستأذنك بقى».

كانا قد وصلا إلى جوار مدخل المترو، في بداية شارع الجلاء، قالت كلماتها وهي تخطو لليسار، رد كالمصعوق من الوداع المفاجئ:

- «مش هتركبي المترو؟».

وعلى بُعد خطوتين منه، قالت المفارقة:

• «لا.. هركب تاكسي».

وصل إليها بخطوة واسعة، وقرر أن يعرض عليها مرافقتها في التاكسي إلى المعادي، إلا أنه تراجع، حتى لا يفاجأ برد فعل صادم منها، كالعادة، واكتفى بينه وبين نفسه بإعلان هزيمته، قائلًا:

- «خلي بالك من نفسك.. هستناكي الجمعة».

حركت رأسها للأعلى، ثم الأسفل، ليرى إيماءة منها، ثم رفعت صوتها برقة:

• «إن شاء الله.. سلام».

لم تعطه فرصة الرد، أدارت وجهها، وخطت سريعًا في اتجاه الشارع، بينما نظراته تلاحقها باكتراث بالغ، ولحظه السيئ؛ توقف أول تاكسي أشارت إليه الحسناء، واستقلته دون اهتمام بالنظر إلى الواقف بجوار مدخل المترو، لتمر أمام عينيه في ثوانٍ، لم يستطع فيها فعل أي شيء، لإيقاف الزمن، ومعه التاكسي، ليظل متجمدًا بمكانه، ويخرج علبة

سـجائره، ويشـعل واحدة، وأخذ ينفث دخانها بقوة، وكأنه يُخرج معها الحـزن الدفين في صدره، إلى أن أنهى سـيجارته في دقائق، ليضع رأسـه في الأرض، سائرًا نحو درج المترو، بخطوات يائسة وملامح بائسة.

وصل إلى شـباك التذاكر، اشـترى اثنتـين، رغم أنه يعلم جيـدًا أن أنامل الحسـناء لن تلتقط الأخرى، وخطا نحو بوابـات العبور، التي لم يلحظ بُعدهـا بهذا القـدر؛ قبل ذلك اليوم، وأمضى الطريـق الطويل، في تفكير عميـق، بـكل تفاصيل اللقـاء الثالـث؛ في الأسـبوع الرابـع لقصة حبه الجديدة، مسـترجعًا حوارهمـا أثناء الرحلة، وكأنه يضع نفسـه في تقييم، وكانت النتيجة سلبية مائة بالمائة، اللهم أمله في لقائها، الجمعة المقبلة.

هذا التقييم، لم يشمله وحده، حيث راجع ردود أفعال «سارة» على ما قاله طوال الرحلة، ليزداد إعجابه بها، منبهرًا بكلماتها ونظراتها الحازمة، التي تدل على خُلقها الحسـن، كما تأمل نقاشهما بما فيه من رقة، وشد وجذب، وحديث هادئ، واستعاد ملامحها الملائكية وعينيها الساحرتين، كل هذا ضاعف شـغفه بأن تبقى تلك الحسناء بجواره إلى آخر العمر، ليرفع رأسه بمجرد نزوله إلى رصيف المترو، داعيًا:

«اللهم ارزقني حبها».

وبعد عشر دقائق، كان «زياد» يقف على رصيف محطة السـيدة زينب، ولم يفكـر في أي شيء، سـوى «سـارة»، متجاهلًا ذكرياتـه مع «أميرة» في ذات المحطة، التي شـهدت عناقهما الوحيد، ودخل الشـقة أيضًا دون

أن يتخيـل طيفها هنا أو هنـاك، وأنهى حمامه نافضًا عن رأسـه غبار يوم شـاق، مليء بكل شيء وعكسه، بين سـعادة وحزن، أمل و يأس، انتصار وانكسـار، ثم وجد نفسـه يُخرج هاتفه الذي نسـيه في ملابسه، على غير العادة، مستغربًا تجاهله النظر إلى شاشته منذ خروجه من المنصورة، لكنه وجد مفاجأة غير متوقعة، أضافت بُعدًا جديدًا على الليلة المتضاربة، إنها رسالة من «أميرة»، فتحها متحمسًا، كالمستعد لشجار، وقرأ:

«مش قادرة أتخيل إزاي هونت عليك.. عدى أسـبوعين من غير ما أسـمع صوتك ولا أشوفك.. عموما حمدًا لله على السلامة.. أكيد وصلت.. عاوزه أطمنك إن السبب في اللي إحنا فيه.. خطوبته النهارده».

قـذف «زيـاد» الهاتف نحو سريـره بغضب، غير مسـتعد للـزج بقلبه في حرب عـلى جبهتين، معلنًا الانسـحاب من معركة؛ يعلـم أنها خاسرة، ومتجاهلًا التفكير لحظة واحدة فيما تحويه الرسـالة، وما وراءها من ألم قـاسٍ، يدمـي قلب صاحبتها، ناهيـك عن نبأ خطوبة ابـن عمتها، وكأنه يرفع شعار: «لكي تعيش في هدوء.. عليك إتقان فن التجاهل»، لذلك رمى كل شيء وراء ظهره، ووصل لسريـره، أزاح الغطاء، وقذف الهاتف مرة أخرى أعلى وسـادته، ثم أمسك مذكرته، وأخذ يفكر فيما سيكتبه، بعد هذا اليوم التاريخي.

ووسط حصار من مفاتن الحسـناء لقلبه، وعقله، وعاصفة مشاعر دافئة تـضرب روحه، وصورة لملامحها البريئة تفرض نفسـها عـلى عينيه، وجد

نفسه يكرر ما دعا به الله على رصيف المترو، ويكمل دعاءه على الورق، رافعًا صوته مع حركة قلمه، وهو يكتب:

«اللهم حياة تشبه حسنها».

❒❒❒

(6)

«مثلما تريدها لك وحدك..
تريدك لها وحدها»!

#ريكورد

□□□

قضى «زياد» نحو ساعة على سريره، مغمضًا عينيه، بعدما ترك المذكرة بجواره، ورفع يده إلى السماء، مرددًا الدعاء الأخير ثلاث مرات، ثم أعاد كل المشاهد السعيدة في يومه، متسائلًا عن سر الرعشة المفاجأة التي انتابته بمجرد رؤيته عيني «سارة» داخل القطار، ومتنهدًا كلما تذكر تمايله تجاهها، و إزاحته ستار النافذة المجاورة لمقعدها، عندما شعر لأول مرة بأنفاسها تعانق أنفاسه، وهوائها يدخل صدره، ليحتضن قلبه بدفء، تلك اللحظات التي كتبت بداية جديدة له بهذه الحياة، وجعلته يغمض عينيه الآن، متمنيًا أن يفتحها على عيني الحسناء، وهي ترقد بجواره.. آه لو رآها في حلمه، وألف آه لو أصبح الحلم واقعًا.

على تلك الأمنيات، ذهب عقله إلى سُبات مؤقت، أفاق منه على صوت منبه هاتفه، يعلن السابعة صباحًا، أمسك الجهاز، ليفتح عينيه على علامة تنبيه لرسالة، فتحها، رأى:

«صباح السعادة على اللي حارمني من السعادة».

جاءت رسالة «أميرة» الصباحية، التي لم ترسلها منذ أيام طويلة، لتوقظ قلب «زياد»، الغافي في حلم حبه الجديد، ولمَ لا، وقد تعوّد طوال عقد كامل من الزمن؛ أن يفتح عينه عليها، لتمثل في يومه شروق الشمس،

ورغم ذلـك نحى هاتفه جانبًـا، كأنه يطوي صفحة مـن الزمن، ويرمي وراء ظهره الماضي، بسـعادته وأوجاعه، ثم اسـتقام سريعًـا، ليبدأ يومه، داعيًا أن يجد الحسناء أمام عينيه في المعادي.

وبمـرور نصف سـاعة كان يقف أمـام مرايته، غاضًا نظـره عن الصورة التـي تقبع خلفه، وتفرض نفسـها على المرآة، ومتجاهـلًا معها التفكير في صاحبتهـا، وصاحبة الرسـالة الصباحيـة أيضًا، لينزل مهرولًا من شـقته ذاهبًا إلى العمل، للمرة الأولى؛ بهذا الشغف!

نزل محطة مترو المعادي، محدقًا بعينه يمينًا ويسـارًا، إلى أن تجاوز بوابات الخروج متأملًا ملامح الكثـير والكثير، ركب تاكسي سريعًا في طريقه لكورنيش النيل، وأخذ يجوب الشـوارع بعينيـه، مناجيًا القدر أن يمنحه هديـة جديدة، لكـن دون جدوى، حتى وصل إلى مقـر الشركة، ودخل مكتبه، ليفاجأ بصديقه «فارس» أمامه، يقول:

- «بص بقى عشـان اليوم ده يعدي على خير.. قوم اتصرف مع اللي اسمها سهر دي بأي طريقة.. أنا خلاص جبت آخري».

رفع «زياد» حاجبه، ضاربًا كفا على كف، قائلًا:

● «يـا فتاح يا عليم.. طيب قول صباح الخير الأول.. واهدا كده وفهمني في إيه؟»

- «صباح الخير يا سيدي.. الواد ياسر اللي بتقف تهزر معاه طول النهار.. لقيته داخل مكتبي وبيقولي سهر بتحبك.. وبلاش تعذبها».

تعالت ضحكات الأول، ورفع صوته:

• «ده شـكله متوصي قوي.. طبعا لازم يقولك كـده.. مهي البنت زايطة معاه على حسك».

كان غضب «فارس» يتضاعف مع كل كلمة يسمعها، سأله بحدة:

- «على حسي إزاي يعني؟».

اقترب منه صديقه، بعدما شـعر بأن صدى غضبه قد يصل للخارج، وقال بهدوء:

• «ماشية بتقول لمصر كلها إنها بتحبك.. وتحكي لده وتشكي لدي.. ومقضياها بقى هزار وضحك.. والله أعلم.. وفي الآخر أنت اللي في الوش».

تضاعفت الحدة في صوت «فارس»، سأل:

- «وخداني ستارة يعني.. وقاعدة تتنطط مع ده وده.. وعاملة فيها البريئة المضحوك عليها.. طيب وحياة أمي هعلمها الأدب».

أمسك «زياد» بهدوئه، أمام غضب صديقه المتصاعد، جذبه من يده، وقال:

• «اقعـد كده واهدا.. تعلّم مـين بس؟! فكك بقى.. متسـتاهلش أصلًا عصبيتك دي».

رد الغاضب، بصوت انخفض قليلًا:

- «مهـو مش معقول تقعـد مقضياها مع واد بتاع خمر ونسـاء.. وألاقيه جاي يقولي بتحبك».

• «الواد مش غلطان.. حد يلاقي دلع وميتدلعش.. هزار وتنطيط وأنت فاهم بقى.. وفي الآخر لما حد يشـوفهم مع بعض تقولهم ده زي أخو يا.. أنا بحب فارس إللي معذبني.. يا عم المهلك أنت».

- «هو أنا كنت لازم أقضيها معاها.. عشان أبقى حلو يعني ومش قاسي.. إيه القرف ده».

• «الظاهر كده.. عموما سـيبك منها.. اهدا وروح شوف شغلك.. وبلاش تبصلها أصلًا.. أنا عارف عينيك لما بتبقى متضايق من حد.. بتطق شرار».

- «ماشي يا سيدي.. طيب اعزمني على فطار.. اطلبلي نسكافيه.. أي منظر يعني».

عاد المـرح إلى صوت «فارس»، وهو يقول تلك الكلمات، قبل أن يباغته صديقه ضاحكًا:

• «روح لياسر وهو هيجيب لك كل اللي أنت عاوزه.. ده حبيبك».

ظلـت ضحكات «زياد» تتصاعد دون توقف، خاصة بعدما رأى ملامح الغضب تعود إلى وجه صديقه، الذي رد بتأنٍ:

- «تصدق أنا اللي غلطان إني بحكيلك.. المرة دي».

تضاعفت قهقهات الضاحك، ورفع صوته بنبرة المنتصر:

• «أيـوه بالظبـط.. كويس إنك فاكر إن المرة الـلي فاتت أنا اللي غلطت عشان حكيتلك.. بالمناسبة شوفت سارة امبارح.. واتكلمنا كتير».

- «الله الله.. ده الحب ولع في القطر بقى.. اشجيني».

• «لا خلاص.. أنا اتعلمت ومش هقولك معلومة واحدة بعد كده».

- «عيب.. ده أنا فارس.. أنتيمك».

• «طيب نشوف شغلنا.. ونتكلم في قعدتنا عندي بالليل».

- «بلاش شقتك النهارده.. تعالى نقعد في أي مكان.. أنا عندي ليك مفاجأة».

• «خير قولي».

- «المهم اعمل حسابك إننا هنخرج.. ممكن نروح السلطان حسن».

• «ياااه.. والله زمان.. اتفقنا».

تصافحا.. انطلق الصديق إلى مكتبه، بينما ظلت الضحكة على وجه «زياد»، خاصة بعد علمه أنه سيقضي ليلته في الممر الفاصل بين مسجدي الرفاعي والسلطان حسن، بالقرب من قلعة صلاح الدين الأيوبي، وهو المكان الساحر، الذي كان مفتوحًا أمام السيارات والمارة، قبل أن يشيد سور حول المنطقة الجامعة بين المسجدين، وتتحول إلى مزار سياحي، يعم عليه السكون مع غروب الشمس، إلا أن علاقة صداقة بدأت منذ سنوات بين «فارس» وأحد حراس الموقع، ليسمح له بالدخول في أي وقت، والاستمتاع بروعة المكان، دون زحام السائحين أو إزعاج المتسولين.

مرت ساعات العمل بهدوء، لكنها انتهت بصورة غير متوقعة، كبدايتها، حيث فوجئ «زياد» خلال استعداده للرحيل عن مكتبه؛ بـ«سهر» تدخل عليه دون استئذان، رافعة صوتها بنبرتها الطفولية المعتادة:

- «ممكن أتكلم معاك شوية يا زياد».

وجه إليها نظرة ثابتة، وقال بشيء من الضجر:

• «ممكن بس بشرط.. يكون الموضوع بعيد عن فارس».

لم تعر بالًا لشرطه، وواصلت حديثها:

- «أنت يرضيك يعني إللي بيحصل ده.. سُمعتي بقت وحشة في الشركة، والكل بقى مستنينا نتخطب.. لدرجة إن فيه ناس بيباركولي من دلوقتي».

رفع حاجبه وقال بحزم:

• «فاجأتيني إنك خايفة على سُمعتك.. جديدة دي.. عشان كده بتحكي كل حاجة لطوب الأرض.. ومش محترمة البني آدم اللي في يوم وثق فيكِ وقدّرك».

بدأت «سهر» هجومها:

- «قدرني! هو أقنعك بكده يعني.. بالعكس ولا مرة حسيت بتقدير منه».

• «طبعًا قدّرك.. وأنا عارف إنه قرّب منك وقت كبير.. وقالك بلاش

تهـزري مع النـاس.. وبرضه مصممة.. هـو أنتِ بتعانديـه ولا بتعاندي نفسك؟!».

- «أنا أعمل إللي يريحني.. المهم إني شايفاه صح».

• «حلو قـوي.. بس بما إنك حابة تعملي إلـلي يريحك.. ريحي بقى فارس مـن كلامك عليه.. وبطلي تقولي بحبه.. لأنك لـو فعلًا حبيتيه، مكانش زمانك واقفة قدامي دلوقتي وبتتكلمي عنه وحش».

- «أنت متحامل عليّ قوي.. أنا آسـفة إني اخترتك عشـان أتكلم معاك.. هتقف معايا إزاي وهو صاحبك الأنتيم؟!».

• «مش صاحبي الأنتيم وبس.. ده أكتر من أخ بالنسـبالي.. بس لو كان غلطان.. كنت أنا أول واحد وقفت معاكِ».

- «هقول إيه.. كلكم واحد».

قالـت كلماتها الأخـيرة، ولم تمنحـه أي فرصة للرد، خطـت مسرعة إلى خـارج المكتب، بينما يضرب «زياد» كفًا على كف، مسـتغربًا من تلك النـبرة الحزينة البريئة المصطنعة، التي سـمعها للتو تخرج من بين شـفتي «سهر»؛ رغم علمها جيدًا أنها على خطأ، متسائلًا: إذا كانت تقول أمامه هـذا الكلام، وهي تعلـم أنه صديق «فارس» المقرب، فـماذا تقول لباقي الزملاء بالشركة؟ أيمكن أن يتحول حب امرأة إلى حرب تكسـير عظام، لمجرد أن ينهيها الرجل عن تكرار فعل خاطئ؟ إذا افترضنا جدلًا أنه كان حبًـا من الأسـاس، وهل الكل يصبـح واحدًا عندما يريـد الصواب، أما

الباقــون، الذين تمزح وتمرح معهم طوال ســاعات الدوام، فهم أصحاب الاستثناء الوحيد من عبارة « كلكم واحد»؟!

كف «زياد» عن توجيه الأسـئلة لنفســه، ولملم متعلقاته بهـدوء، تاركًا مكتبه وراءه، ليجد أمامه «فارس»، قائلًا:

- «زي ما اتفقنا.. هكلمك الساعة 6 نشوف هنتقابل فين».

رد عليه صديقه الذي أنهى للتو حواره مع الفتاة الغاضبة:

• «نتقابل إيه بس دلوقتي.. سهر لسه مكلماني عنك حالًا».

- «هي وصلت لك؟! وقالت إيه بسلامتها؟!».

بدأت الضحكات تداعب «زياد» من جديد، قبل أن يقول:

• «قـال إيه يا سـيدي.. كلنا واحد.. شـوفت عملت فينـا إيه.. عقدت البنت يا مفتري».

- «بنت الـ... وقلت لها إيه يا عم الحنين؟!».

• «قولتلهـا اللي اتكلمنا فيه الصبح.. وفهمتها إني معاك في تنفيضك ليها.. طالما هي مش عاوزة تعمل الصح».

- «طيب يبقى ليك الشرف إن كلنا واحد.. ماهم الرجالة بس اللي بيقولوا الحق.. لكن اللي قاعدين طول النهار يتدلعوا معاها و يقولولها إنت صح.. أكيد مش رجالة».

• «مهـو ده اللي كان نفسي أقوله.. قبل مـا تجري بره المكتب.. المهم يالا ننزل.. سيبك منها.. ونتكلم بالليل».

■ ■ ■

ذهـب كل منهما في طريقه، بعدما تصافحا على وعد بلقاء قريب، وصل «زيـاد» إلى محطـة مترو المعادي، جـاردًا المارة في الشـوارع، التي خلت مـن ملامح «سـارة»، سـالبة قلبه وعقلـه، وركب القطار يائسًـا، عقب نظرات أمل اسـتهدفت المنتظرات أمام عربة السـيدات، وظل يستدعي صورة ضحكتها الرقيقة في خياله، متذكرًا حوارهما بالأمس، ابتسـاماتها ونظراتها، هدوءها وثورتها، حتى وصل للسـيدة زينب، في ذات التوقيت الـذي احتضن فيه «أميرة» داخل المحطة، قبل عام ونصف، ثم خرج إلى الشارع دون أن يلقي نظرة واحدة على مكان عناق حبه الأول، لا يفكر في شيء؛ سوى جمال العيون الزرقاء.

دخل إلى شقته، رمى هاتفه على سريره، كالعادة، وعاد إلى غرفته بعد نصف سـاعة من الاستجمام، وسـط الماء السـاخن، داخل بانيو حمامه، وامسك الهاتف ليجد رسالة أخرى من «أميرة»، فتحها بشغف مفاجئ، وقرأ:

«مش عارفة قادر إزاي على القسوة دي.. أنا بموت من غيرك».

لمعـت عينـاه، بقدر الحـزن العميق الـذي اجتاحه بضراوة، دون سـابق إنذار، فرغم كل شيء، تألم على عشرة عمره، فهو الأدرى بمأسـاتها الآن، وهـي ترى حـب حياتها يضيع من بـين يديها، كل هذا أحيـا فضوله من

جديـد، أراد فعـل أي شيء للاطمئنـان عليها، ولم يجد سـوى العودة عن قراره، الذي أصدره قبل أيام طويلة، بالابتعاد عن «فيس بوك»، وبمرور دقائـق كان يفتح صفحته الشـخصية على الموقع، بعدما أمسـك حاسـبه الصغـير، وسرعان ما دخل إلى صفحة الأمـيرة الحزينة، ليجد فصولًا من الأسى، تحملهـا العديد من العبارات المؤلمة، التي تؤكد أن صاحبة العينين الخضراوين، تكاد تفقد نظرها من البكاء، كان من بينها:

« كيف أنساك وأنت حُب الزمان.. كيف أنساك وذكرياتك تحاصرني في كل مكان؟!».

قرأ كل كلمة منها بإحساسـه، هو يدرك أنها تتألم حتى في أحلك ظُلمات عنادهـا، ويعلم أن يومها لا يمـر دون أن تفتح صفحته، وتتأمل الكلمات التي كتبها لها يومًا، بعد أن تصطدم بكلماته في منشوره الأخير، عن حبه الحقيقي لصاحبة العيون الزرقاء، وهي الصدمة التي شعر بها «زياد» عن بعُد، عندما أكمل قراءة ما تحويه منشوراتها، ليجد:

«مثلما تريدها لك وحدك.. تريدك لها وحدها».

أخذ يقلب في صفحتها، قرأ كل ما كتبته طوال أسـبوعين من الألم، أخذ يتفاجأ بقدر الحزن الذي يجتاحها، وكأنه لا يعلم بأي ذنب وصلت لما هي فيـه، مرر يده على وجهه، يحـاول الإفاقة من لكـمات الكلمات، وتبرئة نفسـه من الوقـوف وراء هذا الأسى البالـغ، متذكرًا عنـاده وإصرارها، ومتناسـيًا مـا كتبه يومًا ليصـف اهتمامه بها، وحرصه عـلى عدم جريان

دموعها، إلا أن «فيس بوك» ذكره، وكأنه أداة القدر، عندما وجد أمامه ذكرى لما نشره قبل عام مضى، في نفس اليوم، كان:

«الأنثى كنزٌ.. يلمع باهتمامك.. ويفنى بإهمالك»!

أغلق حاسبه دون أن يكتب كلمة واحدة في أي اتجاه، أو يضغط إعجابًا واحدًا على أي منشور، واستلقى على فراشه، ناظرًا إلى سقف غرفته، محدقًا بعينيه الواسعتين في سراب الذكريات، وقضى نحو نصف ساعة دون حركة واحدة، وكأن وجع قلبه الحائر بين عشق يبكي وحب يضحك، قد شل أطرافه.

دخل في غفوة مفاجئة، استغرقت ساعة إلا دقائق قليلة، حتى استيقظ على رنين هاتفه، الذي لم يضبطه على الوضع الصامت، كعادته عند نومه، انتظارًا لمكالمة «فارس»، وكانت هي بالفعل، حيث رد المستفيق سريعًا، يحاول فتح عينه التي تُغلق دون إرادته، سامعًا كلمات صديقه بصعوبة، حتى اتفقا على اللقاء في تمام الثامنة مساء أمام مسجد السيدة زينب، ومنه ينطلقان إلى وجهتهما الهادئة، حيث الرفاعي والسلطان حسن.

وفي الموعد كان الصديقان يتصافحان أمام المسجد، ليكشف «فارس» عن مفاجأته التي نوّه عنها صباحًا، رغم أن صديقه ظن أنها تكمن فقط في الذهاب إلى المكان الساحر، إلا أنها كانت غير متوقعة على الإطلاق، إنه العم «فؤاد»، رجل الأعمال الكبير، الذي حكى ابن شقيقه كثيرًا عنه لصديقه، باعتباره مثله الأعلى؛ خلال سرده قصة كفاحه في الإسكندرية،

التـي عمل خلالهـا بالكافيتريا المملوكـة للعم، إلا أنـه لم يذكر بالطبع؛ النهاية الكارثية لتلك الحكاية، أو زواج عمه من «ريهام»، التي أصبحت الآن في ذمة الله.

■ ■ ■

5 سـنوات من الجحيم عاشها «فؤاد» بعد زواجه من الفتاة اللعوب، ذاق فيها مرارة الحياة، واكتوى بنار الشـك، وأحرقه جحيم الحب، الذي كان يكنه لها دون أي أسـباب منطقية، حيث بدأت تداعب قلبه منذ لقائهما الأول بمكتبه، في الطابق الثاني لكافيتريا عروس البحر، ليسـلم لها نفسه دون أدنى اكتراث بما تخفيه في جعبتها، من عهر تأصل بداخلها قبل بلوغها السادسة عشرة.

بـدأت الفتاة العمل بالكافيتريا، بعد 3 سـنوات مـن فقدانها عذريتها على يـد نقاش مـن أبنـاء التوبجيـة، منطقتهـا الشـعبية الواقعة عـلى أطراف الإسـكندرية، بعد عام قضاه في مطاردتها، وانتهـى بوجودها في أحضانه، داخل فيلا مهجورة بالعجمي، لم يدخلها غيره طوال عامين، واتخذها مقرًا لملذاتـه، بعد أن اكتشـف بالصدفة، خلال عمله بالفيـلا المجاورة لها، بابًا خلفيًا تحاصره أبواب الأشجار، ومن وقتها لم يفتح أحد هذا الباب سواه.

اسـتغل النقاش براءة «ريهام» ذات الخامسـة عـشرة، التي تصغره بعشر سـنوات، وأوهمها بالحب، بعدما قضى شـهورًا طويلة يسير خلفها يوميًا، مـن مدرسـتها حتـى ناصية شـارعها، متلهفًا عـلى أن يدخل هـذا القوام

الأنثـوي؛ المنحوت كرائعة فنية؛ في أحضانـه، حتى وضعت الفتاة نهاية لمطاردتـه، وبدأت في الحديث إليه، وسـمحت له بكل شيء، تحت اسـم الحب، خاصـة أنه وعدها بالـزواج، فور حصولها على شـهادة الدبلوم، واسـتمرت علاقتهما حتى هرب قبل شـهر واحد مـن تخرجها، للعمل في السعودية، بلا رجعة.

وجدت الفتاة من «فؤاد» سـبيلًا يؤمن لها حياتها، إذا استطاعت الإيقاع بـه، وبالفعل فعلت كل شيء من أجـل ذلك، حتى جاء اليوم الأول الذي دخلت أحضانه، على الأريكة الموجودة في مكتبه بالطابق الثاني، مسـاء ذات يـوم بعد انصراف الجميع، و إغلاقه الأبـواب من الخارج، ودخوله مـن بـاب الطوارئ الخلفي، ليحـدث ما انتظره منـذ أن وقعت عيناه على جسد «ريهام» الفاتن، بل أكثر.

اسـتمرت لقاءات الغني المتصابي والعاشـقة الصغيرة لأكثر من شـهر ين، أصرت فيهـا الأخيرة على البـكاء بعد كل لقاء، ومع اسـتمرار «فؤاد» في سـؤالها عن سـبب انهمار دموعهـا، التـي كان يتعجب منهـا؛ لعلمه من لقائهما الأول أنها ليسـت بكرًا؛ وأن ما يحدث شيء طبيعي بالنسـبة لها، بدأت الفتـاة في إقناعه بأنها فقدت عذريتها بحادث اغتصاب وقع خلال طفولتها، وأنه أول من يمسها منذ تلك الواقعة، وأنها سلمت له نفسها لأن قلبها لم يدق لغيره.

سـار كل شيء عـلى ما يـرام، حتى جـاء اليـوم الذي جمع فيـه صاحب

الكافيتريا العاملين بها، معلنًا غلقها لأجل غير مسمى، عقب ليلة مؤلمة قضاها على كورنيش الشاطبي، يفكر فيما سيفعله مع الفتاة، بعدما أبلغته بحملها، رافضة كل محاولاته لإقناعها بالإجهاض، ومتجاهلة أيضا تهديده ووعيده لها بأن يرمي بها خلف الشمس؛ إذا واصلت إصرارها على بقاء طفله في أحشائها.

وأمام استمرار «فؤاد» في تهديداته، سلكت هي أيضًا ذات الطريق، وهددته بتشويه سمعته من خلال فضيحة تتحدث عنها الإسكندرية كلها، وتنتهي أيضًا بما تريد، زواجهما لكن اضطراريًا، ووسط كل هذا، وصل الرجل بالكاد إلى صيغة توافقية مع الحامل اللعوب، تقضي بأن يتزوجها أولًا، ثم تُقدم على قتل الطفل؛ بإجهاض حملها.

وبعد شهر من غلق الكافيتريا، عُقد قرانهما في غياب عائلة «فؤاد»، الذين رفضوا المشاركة في هذه المهزلة، وشنوا عليه حربًا شعواء، متهمين إياه بزواج واحدة من الشارع، خاصة بعدما عرفوا أنها لا ترتقي لمستواهم الاجتماعي، ولا تتناسب مع وجاهة وثراء ابن العائلة المحترمة، الذي تتهافت عليه جميلات الثغر، وعقب ساعات من الزواج، كانت «ريهام» داخل عيادة طبيب نساء شهير، تربطه بزوجها علاقة صداقة وطيدة، وبالفعل جرت عملية الإجهاض، كما اتفق الطرفان، وبمجرد إفاقتها من التخدير، دخلت في حالة بكاء هستيري، ليفتح زوجها عينيه على صوت نحيبها؛ بعد غفوته على الكرسي المجاور لسريرها بالعيادة، انتظارًا لاستعادتها الوعي.

أخذت «ريهام» تقسم بكل أيمانات المسلمين، وبصوت يملؤه الضعف والانكسار، أنها تعشق التراب الذي يمشي عليه، ولا تريد من الدنيا سواه، وأنها ستعيش خادمة له، وستكون المخلصة الوافية، على الحلوة والمرة، ليزداد نبض قلب «فؤاد»؛ الذي هوى رقتها وأنوثتها وشقاوتها، قبل أن يحدث كل هذا، وتنقلب مشاعره تجاهها رأسًا على عقب، من جديد، ليستقيم فجأة من كرسيه داخل العيادة، ويقترب منها، ويرتب على كتفها، قائلًا:

- «لما تقومي بالسلامة.. نبقى نتكلم في الموضوع ده».

وبعد يومين، أصدر «فؤاد» قراره الصعب، بأن تبقى الفتاة إلى جانبه، متحديًا نفسه، قبل الجميع، مصدقًا بلا أدنى ريبة دموعها الكاذبة، التي استمرت تنهمر كل صباح، ولأشهر طويلة، مصحوبة بكلمات حانية، وقبلة على يده، وهي تشكره على منحها فرصة الحياة بجواره، وحمل اسمه إلى آخر العمر، إلا أن عمرها لم يطل كثيرًا، بعدما أنهاه زوجها، وبدم بارد.

■ ■ ■

الكثير من تلك التفاصيل، سردها «فؤاد» في أول لقاء جمعه بـ«فارس»، بعد فراق دام 6 أعوام، بدأت بعد مشادتهما العنيفة بكافيتريا عروس البحر، واستمرت حتى خروج العم من السجن، عندما اتصل بابن شقيقه، بعد حصول الأخير على بكالوريوس التجارة، مطالبًا إياه بأن يسامحه على صفعته، وقطيعته التي طالت كثيرًا، مؤكدًا أنه كان مجبرًا

على هذا الزواج، حتى يتجنب الفضيحة، وكانت تلك المكالمة كفيلة بعودة المياه إلى مجاريها.

وبعد اتصالهما بأيام قليلة، جاء اللقاء الأول لينهي الفراق الطويل، عندما وصل العم إلى القاهرة، ليستقبله «فارس» في مشروعه الصغير، إنترنت كافيه «الأصدقاء»، بعناق طويل، ذرفا فيه بعضًا من الدموع، قبل أن يجوب «فؤاد» المشروع مباركًا ومهنئًا، ويربت ابن شقيقه على كتفه، قائلًا إنه صاحب الفضل عليه، فلولاه ما تعلم المثابرة والإصرار على تحقيق ذاته، ثم قضيا ليلة في الغرفة التي استأجرها الشاب بالملك الصالح، يتحدثان عما مضى، والعام المؤلم الذي قضاه العم داخل السجن، بعد أن أصبح جانيًا؛ في قضية دفاع عن الشرف.

وصباح اليوم التالي للقاء الذكريات، طار «فؤاد» إلى باريس، عقب استعادة شرفه وبعده حريته، حيث فضل السفر للخارج، ببضعة ملايين هي حصيلة مشوار كفاحه، هربًا من نظرات الشامتين، ومكر الحاقدين، وحتى يكون قادرًا على رمي الماضي وراء ظهره، والبدء من جديد، وبالفعل استطاع بإصراره وطموحه؛ وبمرور أعوام تعد على أصابع اليد الواحدة، أن يصبح من أصحاب المال والنفوذ هناك، بعدما أقام أكبر مول للمنتجات العربية في العاصمة الفرنسية.

عاد العم من فرنسا لأول مرة، بعد 5 أعوام قضاها هناك دون انقطاع، وتزوج فيها فرنسية ذات أصول عربية، لينجبا طفلين، ويكوّنا حياة

هادئة ساعدت «فؤاد» على تجاوز جراح الماضي الأليم، والعودة إلى شخصيته المميزة، التي كادت تمحوها سنوات عذابه مع زوجته الأولى، صاحبة أكبر إنجاز حقيقي بحياته، كما يصفه، كلما تذكر ماذا فعل لاسترداد شرفه، وكيف استطاع النجاح بامتياز في تنفيذ جريمته الكاملة، التي لا يعلم أحد شيئًا عن تفاصيلها، إلا هو.

■ ■ ■

كانت عودة «فؤاد» الأولى إلى القاهرة، أول من أمس، الخميس، عندما استقبله «فارس» بالمطار، إذ جاء في زيارة للتنسيق مع بعض رجال الأعمال، حول عدد من الصفقات، ليقضي أول ليلة له في مصر، في شقة ابن شقيقه، يحدثه ووالدته، عن رحلة نجاحه في فرنسا، وكيف بدأ كفاحه هناك بمقهى للعرب، أخذ يتسع حتى تحول إلى سلسلة مقاهٍ، قبل أن يفتتح المول التجاري العملاق، بشراكة رجل أعمال إماراتي، وآخر سعودي.

وبعد فاصل من الذكريات، وفاصلين من معاتبة «فارس» على تأخر زواجه، ونصحه وإرشاده، من جانب العم والأم، اتفق الشاب مع مثله الأعلى على أن يخرجا في جولة إلى القاهرة الفاطمية، مساء السبت، بعدما ينهي «فؤاد» اجتماعاته ولقاءاته، وقد كان، حيث مر اليومان، ليخرج الأول من عمله بشركة الاتصالات سريعًا، منهيًا حديثه مع صديقه «زياد» حول «سهر»، ويتجه نحو شقته بالملك الصالح، ليجد العم في انتظاره، ويبدآن طريقهما نحو شارع الأزهر، للغداء في مطعم «فارس»

المفضل في الحسين، ومن ثم التجوال بشارع المعز لدين الله الفاطمي، حيث عراقة الآثار الإسلامية، وعبق حضارة تمتد لأكثر من ألف عام.

وبعد تناولهما الغداء، وترجلهما بين مآذن القاهرة الساحرة، وصورة هنا وأخرى هناك، وأدائهما صلاة العشاء بمسجد الحسين، انطلقا نحو السيدة زينب، ووصلا في الموعد المحدد للقاء «زياد»، الذي رأى المثل الأعلى لصديقه المقرب، لأول مرة، بعدما سمع كثيرًا عن قصة نجاحه في الخارج، وانبهر بشخصيته عن بُعد، ليصافحه بشغف، ويبدؤون رحلتهم إلى مقصدهم.

أخذوا يتحدثون طويلًا، حتى وصلوا إلى الممر المتسع بين مسجدي السلطان حسن والرفاعي، حيث الهواء المعتق برائحة عصور من الزمن، ليرى العم قلعة صلاح الدين عن قرب، وجمالها المبهر المبهج ليلًا، بإضاءتها التي تسرق العين.

سريعًا، كان حارس المكان الأثري؛ صديق «فارس»، قد أعد جلسة هادئة، وثلاثة أكواب شاي، أخذ الجالسون في شربها على نسمات رقيقة، يحملها تيار هوائي هادئ لا ينقطع بين المسجدين، وعلى ضوء مصباحين صغيرين يصل عن بعُد، من السور الخارجي، بدأ الحديث عن أمور الحياة، الذي جمع بين خبرات رجل خمسيني، وحماس شابين في عقدهما الثالث، تطرقوا إلى كل شيء، العمل، صراع الثقافات، والدول، الثورة، المرأة، البشر، وبعد ساعتين من النقاش بشكل عام، بدأت الأمور تتشخصن

رويـدًا رويدًا، بحكـم الثقة الغالبة على الجلسـة، ليرفـع «زياد» صوته بحماس موجهًا عينيه إلى «فؤاد»:

- «لازم آخد رأيك في حاجة يا قائد».

• «اتفضل.. حاجتين وتلاتة كمان».

- «لو واحدة موجودة معاك في الشغل.. وماشية تقول عليك كلام وحش لمجرد إنك بعدت عنها.. يتعمل معاها إيه؟».

اتسـعت عينا «فارس»، فهو يعلم جيدًا أنـه المقصود في حديث صديقه، لكنه أمسك بصمته، حتى رد العم، قائلًا:

• «الغلطـة في الأسـاس من البدايـة.. دخولك علاقة في مكان شـغلك.. وقتهـا بيبقى الخروج منها شيء صعب جدًا.. خاصة لو الطرف التاني من النوع اللي بتقول عليه ده».

استمر ابن شـقيقه في السكوت، وسـأله «زياد» دون أن ينظر لصديقه، المستهدف من الحوار:

- «طيب والحل؟!».

• «هي بتقول إيه أصلًا؟!»

- «إنها بتحبه.. وهو ظلمها وسابها من غير سبب».

• «وهو سابها ليه؟»

- «لأنه معجبوش طريقة هزارها مع الناس.. ونبهها، وهي ركبت دماغها وأصرت.. رغم إن طريقتها ماتتفهمش غير غلط.. يعني مثلًا ممكن يهزروا معاها بالإيد.. وبكلام قبيح.. عادي».

هنا فتح «فارس» عينيه في نظرة واسعة، وكأنه ينتظر الحكم النهائي البات في قصة «سهر»، ثم قال العم:

• «النوع ده ارميه ورا ضهرك.. لا تقربلها بخير ولا شر.. ولا تفكر فيها أساسًا.. تعرف.. من 25 سنة اتحطيت في نفس الموقف.. كنت خلاص هنفجر من مطاردتها وكلامها عليّ».

تفاجأ «زياد» بما قاله عم صديقه، وبكل شغف، سأله:

- فعلًا.. طيب عملت إيه؟

• «عملت فيها ذكي وقلت أخطبها يومين تلاتة.. وبعد كده أسيبها.. وأقول للناس كل شيء قسمة ونصيب.. وأخلص منها.. وأتاريني بثبت على نفسي الكلام أكتر.. وضاعفت المشكلة.. وما خلصتش من كلام الناس.. لحد ما ربنا خدها من طريقي.. واتجوزت واحد تاني».

قال العم تلك الكلمات، وسط إيماءات من الصديقين الشابين، استمرت لثوانٍ وكأنهما يتأملان ما قاله جيدًا، ثم تابعا خطوات الحارس نحو جلستهم، حيث وصل إليهم مسرعًا، مخبرًا «فارس» بأن الساعة دقت الثانية عشرة صباحًا، موعد نهاية ورديته في العمل، ليعرض عليه الأخير توصيله لمنزله، الواقع في منطقة الدرب الأحمر، وهو ما حدث، حيث لملم

الحارس وصديقه الكراسي، معلنين انتهاء الجلسة، ليستعدوا إلى الرحيل، مودعين الرفاعي والسلطان حسن.

وبعد توصيل الحارس، وبعدها «زياد» للسيدة زينب، وسط أجواء مرحة، سيطر عليها المزح والنكات، بدأ «فارس» الحديث مع عمه عن موضوع «سهر» من جديد، لكن بمفردهما، قائلًا:

- «على فكرة كلام زياد عن البنت اللي دايرة تكلم الناس، كان عليا أنا».

وبدهاء، رد العم:

• «و إيه الجديد.. أنا عارف من ساعتها».

تفاجأ ابن شقيقه، ثم رفع صوته ضاحكًا:

- «مش هسألك إزاي.. أنت معلم واحنا منك بنتعلم».

عادت الضحكات إلى وجه «فؤاد» من جديد، قال:

• « كان باين على عينيك وهو بيتكلم عليها.. أنت بتحبها ولا إيه؟».

وبحماس رد «فارس»:

- « كان فيه مشروع.. بس لما لقيت طريقتها الشمال دي.. صرفت نظر».

نظر العم بعتاب.. ثم بدأ هذا الحوار.. بين تأنيب وعبرة:

• «يا غشيم.. إزاي تتكلم في حب مع واحدة معاك في شغل.. من غير ما تكون متأكد أنها محترمة وكويسة».

- « كنت فاهم إن كلامها وهزارها ده طيبة، ولما تدخل في ارتباط هتبطله.. لكن اكتشفت أن تحت السواهي دواهي».

• «عمومًا سيبك منها خالص.. فيه من ده كتير.. ركز بقى على إنسانة كويسة.. وبطل عُقد».

- «مبقاش موجود يا عمي.. الواحد مش بيشوف إلا الوحش بس».

• «تبقى عبيط.. لما أنت تقول كده.. أمال أنا أقول إيه.. هو أنت مش فاكر حصلي إيه على إيدهم.. اللي شوفته إنت ولا واحد في المية منه.. لو كنت اتعقدت زيك كده.. مكنش زماني دلوقتي معايا فارس وعلي، الدنيا مليانة بنات ناس، بس أنت أنوي وخلي نيتك خير.. ربنا هيبعتهالك».

- «لما قولتلي على موضوع جوازك بعد ما سافرت.. أنا اتفاجئت بجد.. ما توقعتش أنك تعملها تاني».

• «لا طبعًا.. إزاي أوقف حياتي على غلطة.. ربنا قدرني أخرج منها واقف على رجلي.. إحنا بنتعلم من الغلط.. عشان نعرف إزاي نعيش صح.. مش عشان نموت بالحيا».

هنا، كانا قد وصلا إلى الملك الصالح، بعد دقائق قضياها في الطريق الهادئ، الخالي من مارة الصباح؛ وزحام المساء؛ وضجيج السيارات؛ ومشادات سائقيها، حيث كان العم يتأمل الشوارع الخالية، وسط أضواء القاهرة، المبهجة الساحرة ليلًا، وهو يستمع لكلمات ابن شقيقه، قبل أن يقول الأخير منهيًا الحديث حول «سهر»، ومعلنًا وصولهما بإيقاف سيارته:

- «ربنـا يباركلـك في فـارس وعلي.. فخور قـوي إنك سـميت ابنك على اسمي.. حمدًا لله على السلامة».

ضحك العم، ورد محاولًا العودة لسياق الحديث:

• «الله يسلمك.. طيب مش هنشوف ولادك بقى».

رفع «فارس» صوته ضاحكًا:

- « في حياتك إن شـاء اللـه.. بس الله يكرمك بلاش تخـلي الحاجة تفتح الموضوع ده».

وافقـه العم بإيماءة صاحبت ضحكته المميزة، ونزلا من السـيارة في اتجاه درج المنزل، صافحا الأم، ثم جلسـوا جميعًا على العشاء، وكالعادة فتحت الأخـيرة موضوع الزواج، فهي لا تترك فرصة تمـر، دون أن تحصر نجلها بخانـة اليـك، في هذا الموضوع تحديدًا، وهو ما قابلـه «فارس» و«فؤاد» بالتأكيد أنهما تحدثا حول الأمر، وأن الابن انتوى، وترك على الله تيسـير الأمـور، داعيًـا أن يرزقه الزوجة الصالحة، وأخـيرًا عادت الضحكة إلى وجه الأم، بعدما اختفت طويلًا، عقب فقدانها الأمل في رؤية أحفادها، حتـى عاد إليهـا من جديد.. ولم تعلم أن حلمها سـيتحقق بسرعة فائقة، بعد طول انتظار!

□□□

(7)

«أهديتها وردة..
أهدتني ضحكة بأزهار العالم»!

#ريكورد

□□□

أما «زياد» فعاد إلى شـقته، وبمرور نصف ساعة، نفض فيها غبار الرحلة عن نفسـه، وبدل ملابسـه، بدأ حلقة جديدة من مسلسل حب الحسناء، كان أول مشاهده في الصالة، عندما شغل حاسبه الشخصي، وأخذ يستمع إلى أغنيـة «Lady»، للمغـني العبقري كيني روجـرز، وهو يلف في دائرة كاملة، متخيلًا «سـارة» بين يديه، يخطو معها في رقصة حب ملتهبة، ظل يتحرك ويتمايل، إلى أن وقف أمام صورته الشهيرة، التي تذكره كلما نظر إليهـا، بملامح حبيبته الأولى، وهي تضعها بين يديه، بمرور أيام قليلة على شرائه شقته، لذلك استمر في ثباته، إلى أن مسح وجهه بيديه، كأنه يفيق من عاصفة الذكريات.

اتجه سريعًا إلى غرفته، محاولًا الهروب من شـبح أميرته، الذي طارده بمجرد رؤيته للصورة، واسـتطاع الفرار بنجاح، حيث أمسـك مذكرته، وقلمه، محاولًا مقاومة الحب بالحب، ليكتب الكلمات التي دارت في ذهنه بجلسـة السـلطان حسـن، حينما رأى ضحكة «سـارة» تداعبه، رغم النقاش المثير الذي لم يتوقف، ليشرد قليلًا، ويتوه في ابتسامتها المرسومة بالفضاء الشاسع، حتى أنوار القلعة، ويقول بينه وبين نفسه؛ بعدما أيقن أن ملامحها أصبحت تمثل الكون في عينيه، ذات العبارة التي يدونها في مذكرته، الآن:

«للحياة ضحكة.. أراها على وجهك فقط»!

وجد نفسه يقلب الورقة سريعًا، بعدما تذكر الرعشة التي اجتاحت جسده، فور طرق أنامل «سارة» على يده، على وقع نداء «لو سمحت»، داخل القطار، ليكتب:

« كيف أصف لمسة يدك.. ونظرتك وحدها بالعالم وما فيه؟!».

طوى المذكرة بهدوء، ونظر إلى هاتفه، ليجد الساعة تقترب من الثانية صباحًا، و يرقد في سريره، متمنيًا أن تكون الحسناء بطلة لأحلامه، وهي الأمنية التي ظل أسبوعا ينتظر تحقيقها، كلما وضع رأسه على وسادته، ووجد ملامحها الفاتنة تحاصره، قبل نومه، و بعد أيام من الأحلام والأمنيات، والبحث بشوارع المعادي، والدخول في معركة عمل هنا، ومشادة هناك، جاء يوم اللقاء المنتظر، الجمعة، ليحدث ما لم يتوقعه أبدًا.

يومها، أعاد «زياد» سيناريو كل جمعة، وصل إلى المنصورة بعد الغروب بقليل، وقف على كورنيش النيل، كان على الرصيف الخالي من القطار، حتى الثامنة إلا الربع، تفقد ملامح المارة.. «سارة» لم تأت بعد، أخذ يجوب ذهابًا و إيابًا، ووقف أعلى الدرج، يتابع حركة الركاب، و يرشق نظراته في كل حدب وصوب، حتى باغته سهم اخترق قلبه دون رفق، رمته نظرة من العيون الزرقاء، حينما أخذت صاحبتهما في صعود السلم، مصوبة العديد من السهام إلى الشاب، الواقف بعينين ثابتتين، يرصدان الحسناء بلا غفلة، حتى تلاقت الأعين على الرصيف، في عناق دام لثوانٍ.

قال «زياد» بنبرة تملأها الأشواق، وهو يشعر أن عينيها تحتضنه، بنظراتها الحانية:

- «مساء السعادة يا سارة.. إيه أخبارك؟».

ردت بلا تردد، وبابتسامة رقيقة:

• «مساء الخير.. كويسة الحمد لله».

وقتها، دخل القطار إلى الرصيف، نظر إليها بحنين، وسألها:

- «أنتِ حاجزة في عربية كام».

نظرت إليه بثبات، وهي تضع يدها في حقيبتها، وكأنها تحفظ مكان التذكرة عن ظهر قلب، خرجت أناملها بسرعة، ومعها محفظتها الصغيرة، ذات الغلاف الشفاف، تأملت التذكرة الواضحة بالمحفظة؛ عبر الحاجز البلاستيكي الخفيف، وقالت:

• «عربية 6».

ووسط تقاتل الركاب على استقلال القطار، رفع «زياد» صوته:

- «طيب يالا.. عقبال ما نوصل تكون الحرب دي خلصت».

ضحكت، وأومأت برأسها، ونظرتها تواصل استهداف عينيه بتحدٍ، لا رجعة فيه، سارا على التوازي، مع القطار، حتى وصلا لباب العربة، دعا الله ألا يجد راكبًا يجلس على الكرسي المجاور لمقعدها، المحجوز سلفًا بلا شك، وبالطبع لن يهديه القدر الفرصة كل مرة، ليغيب هذا الراكب عن

القطار، مثلما حدث الرحلة السابقة، في يوم الجمعة المكتظ بالعائدين إلى القاهرة، ناهيك أنه تجاهل حجز مقعد بالقطار، على اعتبار أنه لن يجلس أبدًا، إلا بجانب الفتاة، ولو تعذر ذلك، سيلجأ إلى ملاذه الأخير، بالوقوف في آخر العربة، والنظر إلى عيون الحسناء عبر نافذة الباب.

سبقته خطى «سارة» داخل العربة، تتبعها دون تباطؤ، أخذت تنظر أعلى المقاعد، بحثًا عن الرقم المدون بالتذكرة، وأخيرًا وقفت بجانب كرسيين شاغرين، ودخلت إلى جوار النافذة، قائلة لـ«زياد» بثقة:

• «اتفضل».

جلس بابتسامة ملأت وجهه، وأخفت القلق المميت بداخله، خوفًا من أن يأتي الراكب، حاجز المقعد الذي يجلس عليه الآن، لينتزعه من جانب الحسناء، ويقتل أشواقه بلا رحمة، وهو القلق الذي ظل ينتابه كثيرًا، في كل محطة يدخلها القطار، رغم الحوار الممتع الذي جمعه بالحسناء، وتحدثا فيه عن عشقهما للقراءة، وتبادلا النقاش في بعض الكتب، حيث أخذت «سارة» تتحدث بحرية كبيرة، راسمة ابتسامة تتسع ولا تنطفئ، خاصة مع حرص الشاب على التزام الحدود، التي وضعتها أمامه خلال لقائهما الأخير، قبل أسبوع، حتى وقعت مفاجأة مثيرة، لتعيد جرأته، بل تضاعفها.

دخل القطار إلى محطة طنطا، ليرى «زياد» مئذنتي مسجد السيد البدوي، اللتين تبعثان في داخله البهجة، كلما شاهدهما خلال عبوره المحطة،

في رحلاتـه العديـدة بين القاهـرة والمنصورة، إلا أن بهجتـه لم تمنع قلقه المتصاعـد، من وصول راكـب إلى مقعده، واسـتئذانه في النهوض، حتى يجلس على كرسـيه المحجـوز، واسـتمر القلق إلى أن خـرج القطار من المحطة بعد ربع ساعة، ليدخل الكمسري إلى العربة، وتحدث المفاجأة.

■ ■ ■

وضـع «زياد» يده في جيبه، بمجرد دخول الكمسري للعربة؛ حتى يُخرج النقـود، اسـتعدادًا لشراء تذكـرة، بينما مدت الجالسـة بجـواره يدها في حقيبتها، وأمسـكت محفظتها، ثم سحبت بأناملها التذكرة القابعة خلف الحاجز الشـفاف، وسـط مراقبة صارمة من عينيه، وفجأة تحولت الورقة التي أمسـكتها للتو، إلى تذكرتين، ليظن الشـاب أن الحسـناء استخدمت الأخرى في رحلة سابقة واحتفظت بها، حتى حدث ما كذّب ظنه، وفتح أبواب السـعادة أمامه على مصاريعها، عندما مدت يدها بواحدة منهما، وقالت:

- «دي تذكرتك».

لم يستوعب ما يجرى، نظر إلى أناملها التي اقتربت منه، سحب التذكرة، وتأملهـا لثوانٍ؛ ثم نظر إلى الأعلى، حيث رقم المقعد الجالس عليه، ليجده ينطبـق على ما تحويه الورقة، كاد يقفز من كرسـيه فرحًـا، قبل أن يرفع عينيه نحو حدقتيها الساحرتين، ويسألها بحماس العاشق المنتصر:

• «أنتِ كنت عامله حسابي؟».

ردت بابتسامة واسعة، وكلمات غير متوقعة:

- «عارفه إنك هتقف طول الطريق في آخر العربية.. لو لقيت حد قاعد جنبي.. قلت أريحك.. وأريح نفسي كمان من سخافة الناس اللي بتقعد جنبي وتخنقني أحيانًا».

مع كل كلمة، كانت عينا «زياد» تتسع انبهارًا، ولمَ لا؟ والحسناء التي ظل يحلم بها طويلًا، تمنحه إذن الاقتراب منها أكثر وأكثر، وتعلن ترحيبها ضمنيًا بمرافقته رحلتها، بل تؤمن له كرسي بجوارها، إنها تخشى عليه من الشقاء في رحلة عشقها، الآن فقط أصبحت مشاعره أمرًا مشروعًا في نظر ذات العيون الزرقاء.. إنها تهديه السعادة على طبق من ذهب، وتنهي ما بداخله من تردد وقلق داما طوال أسابيع، ليتيقن أن أشواقه وأحلامه وأمنياته، لن تذهب سُدى.. إنها بالفعل ضحكة الحياة، التي لا ترتسم إلا على ملامحها الملائكية فقط.

وأمام إعصار المشاعر الذي يجتاحه، دون سابق إنذار، عجز عن التعبير عما بداخله من سعادة فريدة من نوعها، بعدما شعر أن دقات قلبه تتحول إلى ضحكات، اعتلت وجهه أيضا، قبل أن يرفع صوته الذي كاد يرقص فرحًا:

• «أجمل مفاجأة في حياتي.. وأجمل يوم في عمري.. سارة أنت مخلوقة جميلة قوي».

ضحكت الحسناء، واجتمعت أعينهما في عناق أبدي، حيث ظل الشاب

مسلطًا نظرته بثبات، شاعرًا أن أجفانها تحتضنه بقوة، حتى أفاقا من نظرة الحب، على صوت الكمسري، ليمد يده إلى الجالسة بجواره، و يسحب التذكرة من أناملها بثقة، و يضمها إلى الورقة الأخرى في يده، قبل أن يقدمهما إلى المحصل، الذي اعتمدهما بجرة قلم، وأعادهما إليه، ومضى نحو باقي الركاب، ليكون أول شاهد على قصة الحب، التي بدأت الآن فقط، في القطار.

وبعد شد وجذب على ثمن التذكرة، و إصرار «زياد» على رده للحسناء، ورفض بات من جانبها، توصلا إلى اتفاق ضمن لهما اللقاء في الجمعة المقبلة، بأن يتولى الشاب حجز تذكرتي رحلتهما القادمة، وهو ما أمن له طلب الحصول على هاتفها، حتى يتمكنا من التواصل قبل السفر، وحدث فعلًا، عندما تبادلا الأرقام وسط ابتسامات خجولة احتلت وجه «سارة»، تناقض تمامًا نظرتها العابثة، التي عاقبته بها على جرأته الأسبوع الماضي.

لم يسأل نفسه، عن سر هذا التقلب المفاجئ، والطرق الممهدة التي تفتح أمامه، بعد أن كانت ملغمة! ووسط السعادة الغامرة التي انتابت العاشق، بعدما وجد كل المعطيات تصب في صالح قلبه، وما يحويه من مشاعر ملتهبة تجاه الحسناء، مد يده إلى التذكرة التي وضعها في جيب سترته، وأخرجها بسرعة، ناظرًا إلى الجالسة بجواره، وسألها بضحكة أضاءت وجهه:

- «عندي طلب.. ممكن؟».

أومأت «سارة» برأسها، وعلى ملامحها ابتسامة ساحرة، وفي عينيها بريق كاد يُذهب عقل الجالس بجوارها، الذي قال بعد إشارة القبول، بنبرة حاصرتها مشاعره الدافئة، وهو يمد تذكرته إليها:

• «أول يوم قابلتك.. شوفت المركب الورق بين إيديكي.. حسيت إن قلبي بينخطف.. ممكن تخطفيه تاني؟».

تفهمت الحسناء الطلب راسمة ضحكة على وجهها، والتقطت التذكرة من يده بأناملها الرقيقة، وبدأت في طيها، وبمرور ثوانٍ، كانت تنظر إلى الجالس بجوارها في ثبات، مادة يدها بما صنعته للتو، قائلة برقة:

- «آدي المركب.. سلامة قلبك».

وجد «زياد» أن كل ما يجرى يسمح لجرأته بالعودة، وأنه من السهل التقدم خطوة أخرى في رحلة عشقه؛ دون خشية، وهذا ما دفعه للرد، بثقة:

• «تسلم إيدك.. أنا راضي إن قلبي ينخطف.. المهم يبقى معاكِ».

وبعلامات دهشة احتلت ملامحها، مصحوبة بابتسامة شقية، رفعت صوتها سريعًا:

- «ما انصحكش.. خاف عليه».

رد كالمتحفز لكسب أرض جديدة:

• «هخاف على قلبي إزاي وأنتِ جواه؟!».

فجأة عاد العبث إلى وجه الفتاة، قالت بنبرة غاضبة:

- «لو رجعت تاني تتكلم بالطريقة دي.. بجد هزعل».

وبقدر الصدمة التي عادت تضرب أرجاءه، لم يُعر بالًا لحديثها، ونظر إلى عينيها بثبات، ثم تمايل بهدوء، مادًا يده إلى ستارة النافذة، المجاورة لها، أزاحها برفق، وبعد نظرة متفحصة قال:

• «إمممم.. وصلنا بنها.. هي لازم تقلب بزعل لما ندخل المحطة دي».

عادت ضحكتها على مضض، مستوعبة ما يريد الشاب تذكيرها به؛ تعنتها في الرحلة الماضية، ورفعت صوتها بمرح، قائلة:

- «اعمل نفسك من بنها بقى.. بقولك هزعل لو اتكلمت تاني كده.. متغيرش الموضوع».

وبضحكة اتسعت من جديد، استمر في تجاهل عتابها، قائلًا:

• «بتوع بنها مظلومين والله.. تقدري تقوليلي كده تفسير واحد للجملة دي.. أهي طلعت والسلام.. والكل بقى يقولها.. زي كلام كتير قوي.. بنقوله ومش عارفين معناه».

ردت بتعقل، وكأنها تعلن بدء نقاش جاد:

- «تصدق.. عمري ما دوّرت على معنى الكلام ده».

علم أنه نجح في تجاوز غضبها، وإعادة المياه إلى مجاريها، استأنف حديثه بنبرة الحكيم:

• «عـادي يعني.. الناس بقت بتكرر أي حاجة تسـمعها.. كلام غريب جدًا في برامـج، عادي.. إفيهات أفلام هابطة، شـغال.. عزيزتي نحن في زمن فرتكة فرتكة.. كبري دماغك».

امتد حوارهما الهادف إلى أبواب القاهرة، تحدثا عن الانحدار الثقافي الذي يشـهده المجتمع، ضاربين العديد من الأمثلة، ومتناقشين حول الأسباب، حتى جذب «زياد» الحديـث بمهارة نحو الحب، باعتبار أنه أصبح عملة نادرة في هذا الزمان، قبل أن يباغتها، ويسألها بعينين ثابتتين:

• •«مرتبطة»؟

ردت بثقة:

- «الارتبـاط عنـدي يعـني خطوبـة وجـواز.. وده مش بفكـر فيه قبل التخرج».

• «خلاص هانت.. كلها شهر ونتيجتك هتطلع».

- «ادعيلي بقى.. أنا نيلت الدنيا في الامتحانات خالص».

• «ناجحة بإذن الله».

كان القطـار قد أنهى انتظاره المعتاد قبل دخول المحطة، ووصل الرصيف سريعًا، ليبدأ الركاب معركة النزول المشهورة، بينما ظل الشاب والحسناء في مقعديهـما حتى انتهى الزحام، ونزلا لتتوازى خطاهما، وعلى وجهيهما ابتسامة رضا باللقاء، الذي كان بداية لتواصل دام على مدار أيام وأيام.

خرجـا من المحطة، لتقرر الحسـناء ركوب المترو مـرة أخرى، بمرافقته، ويسـيران نحو شـباك التذاكر، ثم بوابـات العبـور، وتتعانق أصواتهما في حـوار مثـير، أكدت فيه أنهـا لا تطيق ركـوب المترو، وأن مـا دفعها لاسـتقلاله المرة الماضيـة، هو الذهـاب إلى جدتها، التي تسـكن بجوار ضريح سـعد زغلول، وهو ذات السـبب الذي تنزل من أجله الآن؛ على السلم الكهربائي، وبجوارها العاشق المتيم.

ولسـوء الحظ، كان القطار يدخل المحطة، لتستأذنه في السير نحو عربة السـيدات، ويتصافحان باليد لأول مرة، وتعود الرعشـة لاجتياح جسده من جديد، ليقاومهـا بخطوات مسرعة وراءها، حتى وصلت إلى غايتها، ليستقل العربة التي تسبقها، ويستمر حتى محطة سعد زغلول، في متابعتها من النافذة الصغيرة، الواقعة بين العربتين، قبل أن ينزل في سـعد زغلول، ليركض نحو عربتهـا، ويودعان بعضهما باليد عن بُعد، على وعد باتصال وشيك؛ اتفقا على أن تجريه فور وصولها منزل جدتها.

قـضى دقائق في المحطـة، حتى وصـل المترو التـالي، وبمجرد اسـتقلاله، ارتفع رنين الهاتف، ظن أنها مكالمة الحسـناء، ليخرجه من جيبه بشغف، ويخيب ظنه، إنـه صديقه «فارس»، رد ليفاجأ بـه يطلب إغاثته سريعًا، بعد انقلاب سـيارته في شارع صلاح سالم، أمام حديقة الأزهر، وبرفقته عمه «فؤاد»؛ الذي طلب توصيله إلى المطار لاستقبال أحد أصدقائه، قبل أن يتلقى إصابة بالغة، في رأسه.

وهـو مـا رد عليه «زياد» بأنه سـيكون في مكان الحـادث خلال دقائق، وبالفعـل نزل محطة السـيدة راكضًا عـلى الدرج نحو الخارج، واسـتقل تاكـسي أوصـاه بالجنـون في القيادة؛ لإسـعاف مصاب في حالـة خطرة، وبعـد دقيقتين تلقى الاتصال المنتظر، ليسـمع صوت الحسـناء لأول مرة في الهاتـف، ويخفـق قلبه بشـدة، طـوال ثلاث دقائـق، أخفى فيهـا النبأ الـذي سـمعه للتو، حتى لا يعكر صفـو المكالمة الأولى، التـي اتفقا فيها على الحديث غدًا، عندما تعود «سـارة» إلى منزلها، قبل أن ينهيا حديثهما بالشهادتين، لأول مرة.

ووسـط الزحام الشـديد؛ الذي بـدأت دائرته في الاتسـاع، بمجرد عبور كوبري السـيدة عائشـة؛ بعدما توقف شارع صلاح سـالم إثر الحادث، اقتنص الشـاب وقوف رجل يسـتقل دراجة بخارية بجواره، وسـأله عبر نافذة التاكسي عن اسـتعداده للسـير في الطريق المعاكس، لتوصيله نحو السـيارة المنكوبة، التـي كان يقودها صديقه، وحـدث بالفعل، إذ وافق الرجل دون تردد، كعادة المصريين في الشدائد.

وصل «زيـاد» إلى صديقه سريعًا، ووجد وجهه ينـزف بلا توقف، بينما تمتلئ ملابس العم «فؤاد» بالدماء، إلا أن الحادث كانت له أبعاد أخرى، عرفها الشـاب بمجرد وصولـه، حيث نتج في الأصل عـن محاولة «فارس» مفـاداة فتاة تعبر مع أسرتها الطريق السريع أمام الحديقة؛ المتروك دون سلم أو نفق للمشاة، حيث عبر أفراد الأسرة سالمين عدا هي، بعدما ترددت أكثر من مرة في خطاها وراءهم، وكانت النتيجة وقوفها دون حركة أمام

السيارة، وكأن شـللًا مفاجئًا قد داهمها، على بُعد عشرة أمتار من السيارة، ما اضطر سـائقها إلى الانحراف يسـارًا، ليصطدم بالحواجز الخرسـانية، وتنقلب العربة رأسًا على عقب، مع سرعتها الفائقة لحظة الارتطام.

كان المشـهد كارثيًـا، خاصة أن الفتـاة لم تخرج سـالمة، بعدما انعطفت السـيارة سريعًا، صادمة بجانبها الأيمن قدميها، قبـل أن ترتطم بالحاجز، بينـما سـاد التوتر ملامـح والدها الذي يعلم أن السـائق لا ذنـب له، أما والدتها فجلست على الرصيف، تحتضن نجلتها، التي تغرق في الدم، وسط بكاء ونحيب، ساد المنطقة الهادئة مع دقات الثانية عشرة صباحًا، خاصة بعدما انصرف العديد ممن تابعوا المشـهد، واكتفى العابرون بإلقاء نظرة فضولية من داخل سياراتهم على مصابي الحادث.

وصلت سيارة إسعاف بعد نصف ساعة من قدوم «زياد»، وبعدها بدقائق سيارة أخرى، أخذ المسعفون في فحص الجرحى، وتقدير حجم إصاباتهم، وكانـت الفتاة أكثرهم ضررًا، إذ أصيبت بكـسر في القدمين، أما «فؤاد» فكان نصيبه جرحًا قطعيًا بالرأس، بينما جاء جرح ابن شقيقه في الوجه، ليتم نقلهم جميعًا إلى مستشـفى قصر العيني، وتحاك رأس العم بعشر غرز طبية، ووجه «فارس» بسـبع أخرى، بينما بقي صديقه في موقع الحادث، حتى وصل ونش؛ حمل السيارة المحطمة إلى الملك الصالح، بعدما أقر والد الفتاة في محضر حرره رجال النجدة، الذين وصلوا قبل الإسعاف بدقائق، بأن ما حدث كان بسبب خطأ ابنته، وليس السائق.

وبعد ساعة ونصف، كان «زياد» قد أنجز مهمته، ووصل إلى المستشفى ليجد «فارس» وعمه، ملثمين باللاصقات واللفافات الطبية، يتناقشان مع الأطباء ووالد المصابة بإصرار، حول نقلها إلى أكبر مستشفى خاص بالقاهرة، خاصة بعدما كشف الأطباء عن احتياجها لتركيب شريحة في إحدى القدمين، وقد كان، حيث حملتها عربة إسعاف إلى مستشفى بالمعادي، لتجرى العملية في أقل من ساعتين، بعد أن ساعد الشاب في حملها إلى الترولي، ليرى ملامحها عن قرب للمرة الأولى، ويعلم فداحة الجرم الذي ارتكبه في حق الجمال.

مدة العملية، كانت كافية لتعارف الشاب وعمه على أسرة الفتاة، أو «ريم»، علما أن والدها يعمل محاسبًا في وزارة الزراعة، ووالدتها مدرسة لغة إنجليزية، وأنها تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، قبل عامين، بينما شقيقها الوحيد مازال يدرس في المرحلة الإعدادية، ثم أخذوا يحمدون الله على لطفه، ليبدأ العم «فؤاد» صداقة مع الوالد، تحولت فيما بعد إلى علاقة وطيدة.

■ ■ ■

بعد يوم مليء بالأحداث والحوادث، عاد «زياد» إلى شقته، في الخامسة صباحًا، استبعد فكرة النوم، حتى لو لساعتين، جلس حتى السابعة في شرفته، ناظرًا هنا وهناك، يضع عينه على الشارع، ويسرح في ملكوت العشق، تارة، ويسلطها على العقار المقابل له، تارة أخرى، ومع كل تبدل

يطرأ على نظرتـه، كان ذهنه يشرد في فكرة جديدة، أهمها على الإطلاق؛ تفكيره في تفاصيل لقائه بالحسناء، وبمنطقية وصلت إلى المنتهى، إذ خرج بقناعة، أن «سارة» تصلح أمًا لأولاده.

تلـك القناعة لم تأت من فراغ، فكل الشـواهد كانت تقول إن الحسـناء أنثى مثالية لكل شيء، ثقافتها، شـخصيتها، جمالها، والأهم من كل ذلك، أنها تقول الكثير بعينيها، ومواقفها المفاجئة، حتى لو أوقفته عند حدوده، فهذا لا يخفي أنها تبادله نفس الشـعور، والدليل مـا حدث بالقطار، قبل ساعات، إذًا هي تريده بلا أدنى شك، وما عليه الآن سوى انتظار التعيين، حتـى يحسـم أمر خطوبتهـا، خاصة أنه تبقى شـهور قليلـة على صدور القرار، ولمَ لا، و«سـارة» ستتخرج بعد شـهر واحد، أما الأربعة شهور الفارقة بين تخرجها وتعيينه، فستكون فرصة جيدة للتقارب أكثر وأكثر، حتى لو استمر سياق علاقتهما طوالها، هو الصداقة.

هذا ما فكر فيه عندما حدق بعينيه على الشـارع، قبل أن تنقلب أفكاره رأسًا على عقب، بمجرد أن وقع نظره على العقار المقابل، رأى صورة «أميرة» فجأة، وهي تقف في شرفة منزلها بالمنصورة، طوال سـنوات وسنوات، بل وتخيلها تبتسـم له عـن بُعد، مثلما تعوّد أكثر من عقـد كامل، في كل مرة يطل فيها من شرفته، ويجدها أمامه على الجهة المقابلة، وسرعان ما فرضت المشاهد المخبأة بالذاكرة نفسها على عين الشاب، قبل أن تلمع منذرة بميلاد دمعة بين أجفانه، ليغمضها سريعًا، هاربًا من شريط الذكريات.

لكنه فشـل في الهرب هذه المرة، دفعه فضوله إلى الإمســاك بهاتفه، وفتح «فيس بوك»، ليفاجأ برســائل عديدة واردة من حبه الأول، جعلت عقله يفقد الاتزان، كان من بينها:

- «أنا مش متصورة حياتي من غيرك..

رد عليّ..

هتفضل متجاهلني لحد إمتى..

مش عارفة احكي لمين على إللى جوايا..

كنت أنت دايما اللي بتسمعني..

عمر ما حد عرف حاجة عني غيرك..

طيب نتكلم زي الأصحاب حتى..

أنا محتاجالك».

قرأ رسائلها بحزن، وكأنه يذبح القتيل، ثم يبكي في جنازته، ورغم ذلك لم يفكـر في كتابة كلمة واحدة، اكتفى بالانتقال إلى صفحتها الشـخصية، ليقـرأ كلماتها الأخـيرة، ويفاجأ بأنها تصب في نفس السـياق، الذي كان يفكر فيه قبل قليل، لكن تجاه «سارة»، وجد:

«الصداقة.. أنقى أنواع الحب.. وأطولها عمرًا».

علـم جيـدًا أن «أميرة» تحتاجه بشـدة، حتى لو كان صديقًـا، رغم أنه لا

يشـكك أبـدًا في أن تحوّل الحـب إلى صداقة، يعد من قبيل المسـتحيلات، لذلك انسحب من صفحتها في هدوء، مُصرًا على تجاهل كلماتها، متمسكًا بقناعـة واحدة، تصـب في أن الحل الأمثل، هو مواصلـة الصمت حتى لا يفرض الكلام نفسـه من جديد، و يضع نفسه في حرج، فهو الآن لا يريد إلا الحسناء، وعودة «أميرة» بأي شكل إلى حياته، ستؤدي لزيادة تعلقها به دون أمل؛ وهو ما لا تسـمح به أحكام عشرتهما الطويلة، كل ذلك دفعه إلى اتباع سياسة وجع ساعة.. ولا كل ساعة، ليفعل ما هو أشد حماقة.

عـاد إلى صفحتـه الشـخصية، وفكـر في أن الكتابة عن أشـواقه للحياة الجديـدة، سـوف تجعل «أميرة» تقتنـع بأنه خرج من حياتهـا، و يا حبذا إذا تحـدث عن الحـب، الذي يطرق أبواب قلبه، إلا أنـه انتهى مؤخرًا إلى اختيـار كلمات أكثر رحمة، تصل بها رسـالته فقـط، وتصف ما بداخله، دون تجريح أو تعذيب، وكتب:

«ولم تتوقـع أبـدًا أن هزيمتـه بمعركتها.. سـتقوده للنـصر في باقي معارك الحياة!».

هنـا، أعلنت سـاعة الهاتف السـابعة صباحًـا، لينهي جلسـته في الشرفة، و يدخـل إلى غرفتـه ململًا ذكرياته، قبـل أن يبدأ في اختيار ما سـيرتديه، و يقلـب بين رابطات العنق، و يقضي نصف سـاعة في الاسـتعداد للنزول، وسريعًا وطأت قدماه محطة السيدة، ليركب المترو في اتجاه المعادي، منتظرًا مكالمة الحسناء، ولسان حاله يقول: بالتأكيد سيكون هذا اليوم مختلفًا.

أخذ يجوب شوارع المعادي بعينيه، حتى وصل إلى كورنيش النيل، ليرتفع رنين الهاتف، وينظر لشاشته بسرعة، إنه «فارس»، ليخيب ظنه للمرة الثانية.. ليست «سارة»، رد على صديقه واطمأن على صحته، وعلم أنه أعاد العم إلى شقته بالملك الصالح، وفي طريق عودته لمستشفى المعادي، حتى يطمئن على «ريم»، ونتائج العملية الجراحية التي أجريت لها، بينما طالبه الصديق بأن يبلغ إدارة الموارد البشرية بمنحه إجازة ثلاثة أيام، بعد الحادث الذي تعرض له، وقد كان.

■ ■ ■

في طريقه إلى المستشفى، طالب «فارس» سائق التاكسي، الذي يستقله، بأن يقف أمام محل للزهور؛ ورغم أنها كانت المرة الأولى في حياته، التي يُقدم فيها على شراء الورود، اختار أجمل سلة، وعاد مسرعًا ليكمل طريقه، وبمرور عشر دقائق، كان يقف أمام سرير «ريم»، ليتأمل ملامحها التي هدأت قليلًا من تورم الكدمات؛ حيث تبقت آثارها فقط، لكنها لم تمنع استمرار جمال الفتاة في فرض نفسه، وبعد مصافحات لوالديها وشقيقها الصغير، الذي التقط سلة الأزهار بشغف، جلس الشاب إلى جانب سرير المصابة، يستفسر عن صحتها، ويعيد اعتذاراته عما جرى، وهو ما قابله الوالد، بالتأكيد أنه لن ينسى ما فعله من أجل ابنته، بعدما كاد يفتديها بنفسه، عندما اختار الارتطام بالحاجز، لينقذها من الموت أسفل عجلات سيارته.

ولم تمر دقائق، حتى فتحت «ريم» عينيها على الأزهار، لترى الشاب؛ الذي لم تلتقط إلا اسمه؛ طوال ليلة أمس، ليكمل والدها المهمة، ويعرفهما إلى بعضهما من جديد، وتبدأ أول ابتسامة تجمع الوجهين الأحمرين، بفعل آثار الكدمات، حتى رفعت الأم صوتها، قائلة:

- «شوفتي الورد.. حلو قوي».

حاولت «ريم» تحريك شفتيها، وبصعوبة قالت:

• «شكرًا يا أستاذ فارس».

وبنظرة واسعة، رد متأنيًا:

- «الله يسلمك.. طمنينا عليكِ.. بقيتي أحسن؟».

أومأت برأسها، وقالت:

• «الحمد لله.. بس هقعد كتير متجبسة».

- «كويس إنها جت على قد كده.. مسألة وقت وهتبقي كويسة».

ولم ينه «فارس» كلماته، حتى وجد والد الفتاة يسأله عن صحة عمه «فؤاد»، ليطمئنه عليه، ويستعيدان تفاصيل ما جرى بالأمس، ناقمين على تأخر النجدة والإسعاف، حتى دخلت امرأة برفقة طفلين إلى الغرفة، مستفسرة عن صحة الفتاة، ليعلم الشاب أنها خالتها، ويستأذن في الرحيل، رافعًا يده مصافحًا الراقدة على السرير؛ عن بُعد.

■ ■ ■

وبمـرور دقيقتين، كان «فارس» يخرج من المستشـفى، يفكر في ابتسـامة الفتـاة الرقيقة، الطفولية دون اصطناع، التي زينت ملامحها الهادئة؛ عندما رأت سلة الورد، مسـترجعًا صورة عينيها السوداوين الكحيلتين، ببريقهما اللامع، ووجهها الدائري الأبيض، إنها فاتن حمامة القرن الحادي والعشرين، جميلة حتى وهي ترقد في أسـوأ حالاتها، وحول قدميها جبس يكفي لسـد نافذة كبيرة، إنه حقًا ارتكب جرمًا كبيرًا، لعن الله السـيارات!

أفاق مـن هلاوس الحـب الأولى، على صوت عقله ينهيـه عن التسرع في الوقـوع بالحـب، ويأمـره بالتعلم مـن أخطائـه، والثبات أمام مشـاعره المفاجئـة العاصفة، الجديدة على قلبـه، فهو لم ير الكون في ملامح أنثى، قبل هذا اليوم، لينقلب حاله رأسًـا على عقب بين ليلة وضحاها، وتعزف أوتـار قلبه من جديد، رغـم دخولها في إضراب مفتـوح، منذ زمن بعيد؛ لكن القدر شاء أن تكون أولى معزوفاته.. هي «ريم»!

ولم تمـض ثـوانٍ، قضاها الشـاب على باب المستشـفى انتظـارًا لتاكسي، حتـى فوجئ بصـوت يناديه، نظـر خلفه ليجـد والد الفتاة، سـار نحوه بخطى واسـعة، قبل أن يطالبه الأخير بالانتظار عـشر دقائق، حتى يأتي شـقيقه، ليأخـذاه إلى الملـك الصالح في طريقهما لوسـط البلـد، وهو ما وجده «فارس» فرصة للتقرب من الوالد، الذي ظهر خلقه الجم وشهامته المتأصلـة، منـذ الدقائق الأولى لحادث صلاح سـالم، عندمـا ركض نحو السـيارة؛ كي يساعده وعمه على الخروج منها، تاركًا ابنته بين يد والدتها، وحولهما بركة من الدماء.

قـال والد الفتاة للشـاب، إنه مضطـر للذهاب إلى سـوق التوفيقية لشراء بعض قطع غيار سيارته، المعطلة منذ أسبوع، بعد حادث أقل ضراوة، وقع بالقرب من منزله في منطقة كوبري القبة، حيث تقيم أسرته، التي تعيش هـذه الأيام أصعب فترات حياتها، بعد رسـوب «ريـم» في اختبار وزارة الخارجية، رغم تخرجها بتقدير امتياز، و إجادتها الإنجليزية والفرنسـية والإيطاليـة، وكانـت الطامـة الكـبرى عندمـا أراد الأب أن يخرجها من حزنها، بفسحة طويلة في حديقة الأزهر؛ التي تعشقها منذ الصغر، ليأتي الحادث ويمحو ما تبقى داخلها من تحمل وتماسـك، وتقضي الساعات التي تلت إفاقتها بالمستشفى، في بكاء شديد.

وصل عم «ريم» خلال دقائق، مناديًا على شقيقه الواقف أمام المستشفى، ركب ومرافقه السـيارة، ليتعرف الشـاب إليه، وليتناقشا في بعض الأمور الخاصـة بشركة الاتصالات، خاصـة أن العم عمل لفـترة طويلة في ذات المجـال، قبـل أن يسـافر إلى الخليـج، ومن النقـاش، أكتشـف «فارس» أن الرجـل لا يختلف عن شـقيقه كثـيرًا، حتى وصلت السـيارة إلى الملك الصالح، ليودعه مستقلاها بمحبة، ويسير نحو شقته، ولسان حاله يقول: إنها حقًا عائلة محترمة!

■ ■ ■

قبل وصوله إلى الشـقة، تلقى الشاب اتصالًا من صديقه «زياد»، حمل نبأ في غاية الأهمية، ونقله الأخير بنبرة صوت تملؤها الفرحة، قال:

- «عندي ليك مفاجأة.. مجلس الإدارة قرر دلوقتي حالًا، تعيينا أول الشهر الجاي.. مع بداية السنة المالية الجديدة.. ألف مبروك يا سيدي».

رد بعد ضحكة سمع صوتها المارة في الشارع:

• «بجد والله.. مبروك علينا كلنا.. واضح كده إن الحادثة وشها حلو عليّ».

ضحك صديقه، وقال:

- «طيب اتجدعن بقى واعمل حادثة تانية.. عشان نباركلك على الجواز».

وبنبرة أخفت الكثير مما يفكر به، رد:

• «ما تقلقش.. واضح إن وشها حلو في حاجات كتير».

التقط «زياد» ما يحمله صوت صديقه من سعادة، وقال بعد ضحكة طويلة:

- «شكلك وقعت يا فارس.. رايح جاي على المستشفى.. وشوية هتروحلها شايل ورد.. عارف أنا جو الأفلام القديمة ده».

تضاعفت قهقهات العائد من المستشفى، حاول الهروب مما أراد الاعتراف به؛ شراء الورد بالفعل، وقال:

• «أفلام قديمة يا جاهل.. روح شوف شغلك.. شكلك هتترفد قبل ما تتعين».

ضحك الصديقان، وأغلقا الخط على وعد بالحديث ليلًا، ثم نظر «زياد» إلى هاتفه، وكأنه يستجديه بالنطق معلنًا ورود مكالمة الحسناء، نظر إلى ساعته ليجدها تقترب من الثانية عشرة ظهرًا، ألقى الجهاز بيأس، وواصل العمل بفرحة عارمة، ضربت أرجاءه؛ بمجرد علمه بقرار مجلس الإدارة، الذي ينهي انتظارًا دام سنوات طويلة، ووسط كل هذا، أخذ يفكر في أسرار ما حدث؛ بداية من إنهائه علاقته بحبه الأول قبل شهر، ثم وقوع «سارة» في طريقه، وأخيرًا تقديم موعد تعيينه، ليتزامن مع تخرج الأخيرة، الشهر القادم، تلك المعطيات جعلته يصل إلى قناعة زادته شغفًا وشوقًا للحسناء، إنها إرادة القدر التي جاءت في الوقت المناسب؛ لتصحح مسار حياته!

وتنفيذًا لتلك الإرادة القدرية، اتخذ «زياد» قراره المفاجئ، ليضرب بكل شيء عرض الحائط، ويقرر الاعتراف بحبه أمام الحسناء؛ في أقرب فرصة، خاصة أنه لم يتبق كثير من الوقت أمامه، فالآن أصبح على بُعد أسابيع من التعيين، وهو الوقت المناسب جدًا للتقرب من حبه الجديد، ومعرفتها عن كثب، لا سيما مع إنهائه علاقته بـ«أميرة»، وعدم رغبته في استمرار محاولاتها للعودة إليه؛ على أمل زواجهما، الذي سيتبدد حتمًا، عندما يباغتها بنبأ خطوبته، أو بمعنى أصح؛ تغيير حالته الاجتماعية على «فيس بوك» من أعزب إلى خاطب.

■ ■ ■

في الملـك الصالـح، كان «فارس» قد وصـل إلى القناعة ذاتهـا، إنها إرادة القـدر، التـي ألقت بفاتـن حمامة الألفيـة الجديدة، أمام سـيارته، ليتغير مجرى حياته، ويسـير قلبه في طريق كان من المستحيل أن يسلكه إنسان معقـد، مثلما تباهـى كثيرًا بهذه الصفة، التي رآها حميدة لسـنوات، طالما تتعلـق بالجنـس الآخر، وفي غضون دقائق من التفكـير، كان هو الآخر قد أصدر قراره، بالعودة صباح الغد إلى المستشفى، ودخول غرفة «ريم» مرة أخرى، حاملًا الورود!

وما زاد الشـاب حماسـة لقاء عمه، الذي بدأ في التحسـن قليلًا، حامدًا اللـه على انتهاء الحادث البشـع بهذا اللطف، بعدمـا كاد يموت توهمًا؛ عندما رأى الدماء تجري على ملابسه بغزارة، إلا أن الأمر لم يتعد بضع غـرز، حيكت في رأسـه، لتكـون علامة على عمر جديـد كُتب له.. وفور علمه بنبأ تعيين ابن شـقيقه، أخذ يهنئه بسعادة بالغة، على صدى زغرودة انطلقت من والدته، قبل أن يعود العم إلى سيرة الحادث، ويبدأ في ذكـر تفاصيـل المواقف التي كشـفت أخلاق والد الفتـاة، مكررًا الجملة التي قالها الشـاب في قرارة نفسـه قبل صعوده للشـقة؛ إنها حقًا عائلة محترمة!

■ ■ ■

داخل مكتبه بالشركة، جلس «زياد» ينجز عمله بتفانٍ، ولو انعدم لبعض دقائق، شرد خلالها ذهنه نحو ملامح «سـارة»، وشخصيتها المتميزة، التي

تؤهلها بلا تردد لأن تُصبح نصفه الثاني، لتقضي العمر بجانبه، يتقاسمان العشق تحت سقف واحد، وبعد ساعتين قضاهما بين تركيز وشرود، ارتفع صوت رنين الهاتف، وتسارعت معه دقات قلب العاشق؛ المشتاق لسماع الموسيقى التي تخرج من حنجرة الحسناء، بينما يده تلتقط الهاتف، ليرد متلهفًا:

- «أولًا حمد الله على السلامة.. ثانيًا اعرفي إن وشك حلو عليّ قوي».

وبعد ضحكة سبقت كلماتها، سألت:

• «مساء الخير.. الله يسلمك.. إيه بقى فرحني؟!

- «النهارده طلع قرار تعييني أول الشهر.. كان فاضله شهور كتير».

• «والله.. ألف مبروك.. مبسوطة عشانك قوي.. يا رب تحقق كل اللي نفسك فيه.. وتنجح أكتر وأكتر».

ودون تفكير في أي شيء، قال بسعادة بالغة:

- «الله يبارك فيكِ.. ويخليكِ ليّ يا أجمل حاجة حصلت في حياتي».

رفعت صوتها ضاحكة:

• «يا رب.. بس ما تبالغش قوي كده».

- «أنتِ مش عارفة أنا مستني اليوم ده من إمتى.. بس ربنا كان كاتب إني أشوفك الأول».

لم تنطق الحسناء بكلمة، وتابع متحديًا صمتها:

- «بما إنك وصلتي المعادي.. يبقى في إيدك تخلي اليوم أحلى وأحلى.. نفسي أشوفك النهارده.. بجد هبقى أسعد إنسان في الدنيا».

قـال كلماته مغلقًـا عينيه، وقابضًا بيـده على هاتفه، في انتظـار رد الفعل الغامض، قبل أن ترفع صوتها بهدوء:

• «النهارده صعب».

رد بيأس شديد، متحديًا الحرج الذي وقع فيه:

- «ولا يهمك».

رفعت ضحكتها من جديد، قائلة:

• «بس ممكن بكرة تبقى أسعد إنسان في الدنيا».

وببهجة سادت ملامحه وصوته، رد متلهفًا:

- «والله أنتِ أجمل مخلوقة في الدنيا.. يناسبك الساعة كام؟».

• «أنت بتخلص شغلك إمتى؟!».

- «سيبك من الشغل خالص.. انسيه».

وبنبرة جمعت بين الرقة والرزانة، قالت:

• «هنبدأ نتدلع من أولها بقى بعد التعيين».

ضحك، رافعًا صوته:

- «لسه قبله على فكرة.. عادي يعني».

عادت إلى ضحكتها المميزة:

• «إذا كان كده ماشي.. 6 كويس؟».

- «جدًا جدًا.. تحبي فين؟».

• «هسيبلك أنت تحديد المكان».

- «خلاص.. هستناكِ في أوندين.. إللي قدام المحكمة الدستورية».

• «اتفقنا».

طالبها بـأن تعتني بنفسـها، ردت بالمثل، قبل أن تقـول النصف الأول من الشـهادة، ليكملها، وينظر إلى الشاشة غير متحمل الضغط على زر إنهاء المكالمة، أغلقت الخط سريعًا، لينهض فورًا، رافعًا يده كالمنتصر، حامدًا الله على تيسيره لقاءها، ليفاجأ بدخول «سهر»، قبل أن ترفع صوتها:

- «طمني على «فارس».. أنا سمعت إنه عمل حادثة».

• «اطمني.. هو بخير الحمد لله».

لم يقـل كلمة أخرى، رغـم ارتفاع صوتها من جديـد، تطالبه بأن يعتني بصديقه، ليقابل طلبها بنظرة لوم شـديدة، قبل أن يرتدي سـترته، ويخطو نحو الطرقـة الطويلة، غير عابئ بباب مكتبـه المفتوح، حتى خرج من

الشركة، وعلى وجهه ابتسامة الفائز، إلا أنه لم يجب شوارع المعادي هذه المرة، بعدما استقل التاكسي نحو محطة المترو، فهو يعلم أن الحسناء في المنزل الآن!

■ ■ ■

على سريره.. كان «فارس» يستلقي مادًا قدميه، يبحث عن النوم الهارب من عيونه؛ رغم إرهاقه الشديد وذهنه الشريد، والأوجاع التي بدأت تظهر بجسده رويدًا رويدًا، ليصدق حدسه، في أن اليوم الثاني للحادث، سيكون الأشد وطأة، فطوال الليلة الماضية لم يشعر بتكسير العظام الذي أصبح يحطمه ألمًا، وينتشر ويتوغل، دون تراجع، ووسط كل هذا، كانت مشاهد اليوم كافية، لتسكين آلام المصاب، كلما تذكر أحدها، وابتسم متمنيًا تكراره.

ظل هكذا ساعات طويلة، حتى دخل «فؤاد» للاطمئنان عليه، ليفاجأ به مستيقظًا، ويدخلان في حديث طويل، تطرق أولًا إلى السيارة التي أصبحت تحتاج سيارة أخرى؛ بعدما تهشم جانبها الأيسر بالكامل، وسقفها، وبات هيكلها أشبه بالصفيح المتآكل، ليبحثا معًا خطة تصليحها، قبل أن يتحدثا مرة أخرى عن العائلة المحترمة، ويحكي الشاب ما سمعه على لسان والدها، حول نفسيتها التي تسوء بعد الحادث، وسبب تدهورها من البداية؛ لاستبعادها من مسابقة الدبلوماسيين، وهنا باغته العم، قائلًا بضحكة غطت ملامحه:

- «أول مـرة أحـس إنك حنين قـوي كده.. بس على فكـرة.. أنا معاك في الحنية دي.. مع إني لسه مش قادر أميز ملامح ريم.. لكن كفاية عليّ اللي شوفته من أهلها.. ناس محترمة جدًا».

أخفى «فارس» ما يفكر فيه منذ الصباح، ورسم ابتسامة واسعة، قائلًا:

• «مش زي ما أنت فاهم.. هي بجد صعبانة عليّ.. هتقعد شهر متعرفش تتحرك.. وهي أصلًا مش ناقصة».

غمز العم بعينه، وقال:

- «مـش بقولك حنين.. ماشي هصدقـك.. بس اعرف إني عاوزلك الخير.. وشايفه على وشوش الناس دي».

رد الشاب مبتسمًا:

• «ربنا يقدم إللي فيه الخير».

اسـتقام العـم، بعد التأمـين على الدعـاء، وصافحه حتى يرتـاح قليلًا من الأوجـاع التـي تنتشر بجسـده مع مـرور الوقـت، ليبدأ المسـتلقي على سريـره، محاولات النوم مـن جديد، رحمة بجسـده المتهالـك، لكن دون جـدوى، خاصة أن كلمات «فؤاد» جـاءت في وقتها، لتؤكد أن ما يفكر بـه، أمر صحيح، بالفعل.. هذه الأسرة تحمـل الكثير من الخير بين يديها، وتلك الجميلة تستحق عنايته، ومشاعره، وزهوره كل صباح!

❐❐❐

(8)

«إن لم أكن أحبك..
لوددت أن أتنفس عشقك»!

#ريكورد

❐❐❐

مرت الليلة على الصديقين، العاشقين، بكل الرضا، والحب، كاد عقل كل منهما أن يفكر فيما يتأمله الآخر، حيث ولدت صلة مجهولة، واتصالا روحيًا بحتًا بينهما، وكأن رسول العشق قد هبط من السماء، ليبث السكينة في قلب كل منهما، لتتشابه النبضات، والأفكار، ويشرد كلاهما في الإجابة عن سؤال واحد.. ماذا سيحدث بعد ساعات؟!

وجاء الغد بما تشتهي الأشواق، حيث استيقظ كل منهما على شعاع الحب، الذي احتل أعينهما، فالتلاقي أصبح وشيكًا، والأشواق تزداد كثافة وبريقًا، والعيون ستتعانق قريبًا، والحديث سيطول كثيرًا، بل إن كلًا منهما، يعلم أنه سيخطو نحو نصفه الثاني، على أمل أن يبقى بجانبه؛ إلى آخر العمر، وكلاهما متيقن أن القدر يسوق خطاه، نحو الحب الأبدي، القادم في موعده، ليكتب للصديقين حياة جديدة.

في التاسعة صباحًا، كان «زياد» على مكتبه، يقلب بين جبل من الأوراق، ليختار من أين يبدأ عمله، داعيًا أن يغلق عينه ويفتحها، ليجد نفسه أمام «سارة» في تمام السادسة، على كورنيش النيل، ثم أخذ يفكر في الاستئذان قبل موعد انصرافه بساعة، حتى يستطيع الذهاب للسيدة زينب، وتغيير ملابسه، ومن ثم العودة للمعادي، بالموعد المحدد، فهو يريد أن يكون

في أفضل حالاته، أنيقًا لبقًا، برابطة عنقه المفضلة، التي يفوح منها عطره المميز.

أما «فارس» فتأخر قليلًا، نزل في العاشرة صباحًا، حيث أوقفه عمه قبل ساعة، وطالبه بانتظاره، حتى يرتدي ملابسه؛ ويذهب برفقته إلى «ريم»، للاطمئنان عليها، خاصة أنه لم يستطع أمس الذهاب إليها، واكتفى بالاتصال تليفونيًا بوالدها، ونزلا سريعًا إلى كورنيش النيل، ثم عبرا الطريق وأشارا إلى تاكسي؛ كي يقلهما للمعادي، وقبل دقائق من الوصول للمستشفى، فوجئ «فؤاد» بابن شقيقه، يطالب السائق بالوقوف؛ أمام محل الورود، والعم بالانتظار حتى يشتري شيئًا ما، وأخذ الأخير يتابعه بضحكة بدأت تتسع مع دخوله المحل، وبعد دقيقتين خرج حاملًا باقة من الزهور، يملؤها الأبيض والأحمر، ليستقبله بقهقهة مجلجلة، قائلًا:

- «يا عيني على الحب».

رد «فارس» ضاحكًا:

• «اوعى تفهمني صح».

انطلقت العربة على ضحكاتهما، وغمزة تبادلاها بمكر؛ غلب نظراتهما حتى وصلا إلى المستشفى، وسرعان ما دخلا غرفة «ريم»، ليجدا الأب فقط؛ الذي رحب بهما بشدة، بينما عين الفتاة مصوبة تجاه الورود، ليلتقط «فارس» نظرتها اللامعة، ويقترب منها، واضعًا الباقة بين يديها، في نظرة عكست ألوان الأزهار داخل حدقتيها، قبل أن يرفع الشاب صوته، قائلًا:

- «صباح الخير.. اتحسنتي كتير عن امبارح الحمد لله».

ردت برقة فاتنة، ضاعفت جمال ابتسامتها، ناظرة إلى الباقة:

• «صباح الورد.. الحمد لله أحسن».

وبعينين تدمعان فرحًا لصباحها العطر، وحزنًا على حالتها السيئة، قال:

- «أيام وتعدي.. هتبقي أحسن وأحسن».

دخل العم في الحديث، قائلًا:

- «الجميلة عاملة إيه النهارده؟».

ردت بلطف:

• «الحمد لله.. المهم طمني على حضرتك».

جاوبها بالمثل، مؤكدًا تحسن حالته كثيرًا، ثم جلس على كرسي بجانب سريرها، بينما جلس الأب على آخر إلى جواره، بعد شد وجذب مع الشاب الذي أصر على الوقوف، ثم تجاذب العم أطراف الحديث مع والد الفتاة، بينما ظل «فارس» يباغتها بنظراته، ويتأمل ملامحها المرسومة بريشة آلهة الجمال، واستمرت هي في تسليط عينيها على الباقة تارة، وحدقتيه تارة أخرى، حتى فاجأها قائلًا:

- « كل يوم ليكِ بوكيه.. لحد ما تقومي بالسلامة».

وبضحكة ملائكية، ردت:

• « كتير كده.. أول مرة في حياتي بجيلي ورد أصلًا».

رفع صوته ضاحكًا:

- «أنا عمري ما جالي وردة.. مع إني عملت حادثة برضه على فكرة».

وفي رد فعل غير متوقع، وجد «فارس» أنامل الفتاة تمسك وردة من الباقة، وتخرجها بهدوء، ثم قدمتها بابتسامة صافية، قائلة:

• «اتفضل.. ألف سلامة عليك».

وقف الشاب مذهولًا، وتوقفت عيناه عند مشهد تقديمها الوردة، وكأنه لا يريد انتهاءه، واستمر للحظات، ثم مد يده سريعًا ملتقطًا ما بين أنامل الفتاة، وبابتسامة هادئة، قال:

- «الله يسلمك.. مفاجأة حلوة قوي».

زادت ابتسامتها، ليتحول وجهها إلى بدر مضيء، ثم قطع «فؤاد» المشهد غير المألوف، قائلًا بمرح:

- «طيب ومفيش وردة لعمو يا حبيبتي؟».

طبعا.. هذا ما ردت به الفتاة وهي تُمسك بوردة أخرى، وتخرجها من الباقة بتأنٍ، ليبتسم الجميع، ويطالب الأب بالمثل، وتعم الأزهار أرجاء الغرفة، وسط الضحكات المتعالية، وهو المشهد الذي انتهى بدخول الأم؛ التي عادت للتو من منزلها، وبحوزتها بعض الأغراض، ذهبت مبكرًا لجلبها، فالإقامة بالمستشفى ستطول لأسبوع، حتى تنهي ابنتها الفحوصات، وتتعافى قليلًا.

دخل الجمع في حديث أخذ الشكل العائلي البحت، خاصة مع استمرار

تقارب الأب و«فؤاد»؛ وتتطابق وجهات نظرهما حول ما يدور بالساحة السياسية، ثم استأذن العم في النزول، ومعه ابن شقيقه، ليتصافحوا، ويلمس «فارس» يد الفتاة لأول مرة، مصوبًا عينيه في حدقتيها، ليشعر بأن السعادة تحمله إلى السماء، وأن قلبه يتظاهر داخله، معلنًا العصيان على الوحدة والحرمان، حتى سحبت «ريم» أناملها برقة، ليأخذ خطوة للخلف، خافيًا حرجه وشوقه، ويسير وراء العم إلى خارج الغرفة.

■ ■ ■

وتزامنًا مع خروج «فارس» وعمه من المستشفى، كان «زياد» يخطو خارج الشركة، متجهًا إلى المترو، حتى يلحق موعده، بعد تبديل ملابسه، وبالكاد استطاع أن يجهز للقاء قبل الرابعة والنصف، ليبدأ رحلته إلى أوندين، حتى أصبح أمام الكازينو في تمام السادسة إلا الربع، وبعد دقائق من الانتظار، وصلت «سارة» قبل موعدها، بطلتها الخيالية، وابتسامتها الساحرة، ليرى أحلامه تتحقق على الكورنيش، الحسناء أصبحت بجانبه، وفي لقاء خاص، بعيدًا عن تطفل ركاب القطارات.

تصافحا بالأيدي، وعلى وجهيهما ابتسامة أمل في لقاء ساحر، نزلا الدرج ببطء، وجلسا إلى طاولة يفصلها عن النيل حاجز خشبي، ليريا الأمواج الصغيرة تتلألأ؛ معلنة زيادة العشاق من مريدي النيل، ويدخلان في حديث مباغت، وغير متوقع على الإطلاق؛ عقب الاطمئنان على بعضهما، بدأه «زياد» قائلًا:

- «قوليلي يا سارة.. لو قلت لك عاوز أخطبك.. هيكون ردك إيه؟».

ردت بثبات، كأنها لم تتأثر بالمفاجأة، سائلة بجرأة:

• «هسألك.. بتحبني؟!»

وبنظرة أكثر ثباتًا، استجمع كل جرأته، وقال:

- «بعشقك».

رمقته بنظرة حانية، لمع بريقها كالذهب، ورفعت يديها مستفهمة:

• «إحنا لسه عارفين بعض من شهر.. اتكلمنا فيهم مرتين.. لحقت؟».

قال بحكمة:

- «الحب عمره ما يتقاس بالزمن.. في ناس بتحب بعض من نظرة.. وناس بتفضل طول عمرها في وش بعض.. ومش بيتحرك أي إحساس جواهم».

صوبت نظراتها الفاتنة تجاهه، وسألته بابتسامة خجولة:

• «تحب تيجي البيت إمتى؟».

كاد الشاب أن يقفز في النيل فرحًا، شعر بأن الكون كله أصبح بين يديه، ورد سريعًا:

- «اليوم اللي همضي فيه العقد.. هكون أنا وأهلي في البيت».

وبضحكة واسعة، قالت:

• «تشرفوا.. وتنوروا».

تعانقـت ضحكاتهما وسـط نظرات عشـق يولـد، قبل أن يرفـع «زياد» صوته:

- «تعرفي إنك قمر».

• «عيونك أحلى».

- «عشان شايفاكي وبس».

تداعب صوتهما في هذا الحوار الخاطف، مع ابتسـامات تتواصل لتضفي الدفء على اللقاء، وسـط نسـمات النيل الرقيقة، والموسيقى العالمية التي تسـود أرجاء الكازينو، ليجد «زياد» نفسه يمد يده على الطاولة بجراءة، دون تفكـير بأي تبعات للموقـف، ليلمس أنامل الحسـناء الرقيقة برفق، دون أن تحركها من مكانها، وأمسكها وارتفع بها، دون أي رد فعل، سوى ضحكة ملائكية ملأت وجه «سارة»، وأعطت له الإذن بالاقتراب أكثر وأكثر.

وبعد سـاعتين، أكدت فيهما الحسناء أنها معجبة بالشاب منذ اليوم الأول الـذي جلس فيه بجانبها، وأنها ركبت المترو في المرتين حتى تمنحه فرصة الحديـث، والاقتراب منهـا، وحجزت التذكرتين حتـى تضمن ألا يعكر أحـد صفو لقائهـما، اعترفت بـكل شيء فعلته، إلا كلمـة بحبك، ظلت تمسكها بين شفتيها، كلما أراد «زياد» انتزاعها، وهو يردد نفس الكلمة، بصوت كاد يسمعه الجالسون بالطاولات المجاورة له.

خرجـا من أوندين، متشـابكي الأيدي، سـائرين عـلى الكورنيش، ووقفا

لدقائـق تواعـدا فيها عـلى اللقـاء الأربعاء، بعـد ثلاثة أيـام، في حديقة الأزهر، التي يعشـقها «زياد»، حيث كان يذهب إليها أحيانًا، وبمفرده، لتناول العشـاء على الإطلالة السـاحرة للبحيرة، التي تجمع مآذن القاهرة، وقلعة صلاح الديـن، أو الجلوس أعلى الهضبة العاليـة؛ ليرى القاهرة من أعلى نقطة، قبل أن يقع الحادث لصديقه «فارس»، أمام نفس الحديقة.

وعلى بُعد خطـوات من الكازينو، كانت نظرة الوداع عبر نافذة تاكسي اسـتقلته الحسناء، بينما ظل العاشق واقفًا لدقائق طويلة على الكورنيش، يفكـر في تفاصيل اللقاء غير المتوقع، وكيف اسـتطاع اقتناص حبها بهذه السرعة، ويدها بتلك البسـاطة، إنه العشق، الحب الحقيقي، إرادة القدر التي كتبت اقترابهما إلى هذا الحد، دون أدنى ترتيب.

■ ■ ■

جاء الأربعاء، بعد معاناة من الأشواق، عاشها «زياد» بين العمل والمنزل، واتصالات «سـارة» التي لم تنقطع منذ لقائهما الأخير، تعرفا خلالها على أدق تفاصيـل حياتهـما، سردا الكثير من الذكريات، وحكى الشـاب عن حبه الأول، وكيف كانت نهايته، وأكدت الحسناء أنها لم تقابل في حياتها حبًا حقيقيًا، رغـم كثرة المعجبين بها، والمتهافتـين على وصالها، وتحدثت أيضـا عن عائلتها الميسـورة إلى حد كبير، وشـقيقتها المتزوجة من رجل أعـمال بارز بالمنصورة، التي تعتبر توأم روحها، حتى إنها لا تطيق مرور أسبوع، دون أن تسافر لقضاء ليلة الخميس معها.

اتفقا على الكثير من البديهيات، أهمها قول الحقيقة حتى لو كان العقاب فراقًا، وعدم السماح لأحد بالتدخل بينهما مهما حدث، وتعاهدا على ألا يفترقا إلا بالموت، وأن يتحديا بحبهما الحياة، ويهبا بعضهما السعادة حتى النفس الأخير، ومع كل مكالمة، كان اقترابهما يتزايد، وجرأة الشاب تتصاعد، ليجد نفسه أمام تنهيدات وآهات مثيرة، تفصلها بينها كلمات حب؛ تخرج كالموسيقى من بين شفتي الحسناء، لتنتفض معها حواسه، ومشاعره.

ووسط كل هذا، نسي «أميرة»، التي يقتلها ألف مرة يوميًا، بتجاهله وإهماله، مع استمراره في عدم الرد على رسائلها، رغم أنه يقرأها لحظة وصولها عبر هاتفه، وهذا ما كاد يصيبها بالجنون، مع كل مرة تسأل نفسها: كيف ترى علامة مشاهدة «زياد» لكلماتها، دون أن تجد ردًا منه، لترد: بالتأكيد هناك شيء غير طبيعي يحدث، أكبر من الغيرة بكثير، لقد رحل حبيبها إلى عالم آخر، لا تسكنه هي، بل حواء أخرى، حكمت وسيطرت، على زمام عقله قبل قلبه.

هذا ما كشفته منشورات «زياد» طوال الثلاثة أيام، بعدما عاد من أونديين، ليكتب على صفحته بـ «فيس بوك»، في إشارة إلى ملهمته الجديدة، الحسناء:

- «إن لم أكن أحبك.. لوددت أن أتنفس عشقك».

جاوب أيضا عن سؤال «مارك»، الذي يجده كلما دخل إلى الموقع، بم

تفكر؟ حيث وجد أن إجابته ستتشابه دائمًا، هو يفكر بالحسناء طوال الوقت، لكن الجديد هو ما تضمنه منشوره، عندما كتب:

- بم تفكر؟

= أفكر في أنها تفكر فيّ الآن!

كان يتيقن وقتها أن «سارة» ترقد في سريرها، وتفكر فيه؛ بعد انتهاء مكالمة جمعتهما، تحدثا فيها عن عش الزوجية، الذي سيحجبهما بين جدرانه عن عيون البشر، بعد عام واحد، هي المدة التي اتفقا عليها للخطوبة، قبل أن يدخلا إلى عشهما الهادئ، ليخمدا الشوق بالعناق، ويقتربا حد الكمال، ينبضان معًا بالحب، ويتقاسمان الدفء واللذة، بقلب وجسد واحد.

▪ ▪ ▪

وفي الموعد المحدد، كان «زياد» يقف أمام حديقة الأزهر، منتظرًا قدوم حبيبته، التي وصلت في السادسة إلا دقائق، صافحها بيد محملة بأشواق دهر كامل، واستعاد بريق عينيه بمجرد النظر إليها، قبل أن يخطيا نحو البوابة، ويعبران متشابكي الأيدي، ويبدآن السير في الطريق الطويل، نحو البحيرة الهادئة، وعلى وجهيهما ضحكة لا تنقطع، بينما يداهما تلهو بينهما ذهابًا وإيابًا، برفق وحنان، يتبادلاه في جرأة سيطرت على المشهد، لتجعله أكثر دفئًا وإثارة.

جلسا متجاورين في محيط البحيرة، وسط المساحات الخضراء

والإضاءات الخافتة، وموسيقى خيرت، التي تخرج من سماعات انتشرت بأرجاء الحديقة، كل هذا جعل الرومانسية تسود المكان، تبادلا كلمات العشق، واقتربا أكثر، ليشعر العاشق بأنه يتنفس هواءها من جديد، وسط تنهيدات تخرج من شفتيها، واحمرار يتزايد على وجنتيها؛ ليجعل خديها كالأزهار، ثم أخذت الأيادي تتعانق بلا رفق، والآهات ترتفع بلا تراجع، حتى انتزعت الحسناء نفسها من جانبه، وركضت نحو البحيرة، لتبدأ نوبة بكاء هستيرية، مفاجئة كالبرق؛ خطفت عينيه ومشاعره، ليقفز بخطوة واحدة إلى جوارها، ويسألها:

- «مالك.. في إيه؟».

ردت بصوت يملؤه النحيب:

• «مش عارفه إيه اللي بعمله ده.. أنت لسه بالنسبالي غريب»!

فتح عينيه مستغربًا كلماتها، وسألها:

- «إزاي أبقى حبيبك.. وغريب عنك؟!».

واصلت بكاءها ونحيبها:

• «لسه مش خطيبي ولا جوزي.. عشان أسمح لنفسي بكل ده».

رد بتعقل:

- «كلها أيام.. مسألة وقت.. وبعدين لو عاوزانا نقف عند حدود.. معنديش مانع».

نظرت إليه بانكسار، وقالت كالمنهزمة:

• «خايفة تفهمني غلط».

اقترب منها بهدوء، وأمسك يدها ناظرًا إلى عينيها، رافعًا صوته:

- «يوم ما اختارتك أم أولادي.. شـوفتك أحسـن وأجمل مخلوقة على وجه الأرض.. مهما حصل هتفضلي في عيني كده».

قال كلماته، وهو يمد أنامله نحو خديها، واقفًا زحف دموعها، وتابع:

- «اضحكي بقى».

استمرت في صمتها، راسمة ابتسامة خفيفة، ليباغتها قائلًا:

- «أنتِ فاكراني بحب ضحكتك عشان حلوة مثلاً.. لا طبعًا»!

رفعت حاجبيها مصوبة بريق عينيها الغاضب تجاهه.. أكمل مبتسمًا:

- «أنا بحبها لأنها بتخليني أشوف الدنيا كلها حلوة».

عادت ضحكتها من جديد لتضاعف إضاءة البحيرة الهادئة، قبل أن يعود لمعانقة أناملها بيده، ويخطوان نحو الهضبة، وسـط ظلام دامس حل على الطريق، المحاصر بالأشجار، ليقف أمامها، ويضم يديها، ويقربها نحوه بينـما تتقارب أعينهما في نظرة شـوق، ولم تمر ثانيتان، حتـى جاء العناق الأول، بأعـلى نقاط القاهرة العامرة، ليحقق حلمًا طال انتظاره، إنه تحول مصيري في قصة العشق، التي أوشـكت على نهايتها الطبيعية؛ بالخطوبة، لذا أصبح الكثير مباحًا؛ باسم الحب!

■ ■ ■

في المعـادي، كان عنـاق آخر يحتدم، لكـن بالعينين، دام لثـوانٍ طويلة، تزامنًا مع ما يجري على سطح حديقة الأزهر، حيث سلط «فارس» عينيه على «ريم» الراقدة بسريرها؛ بعدما خرج الجميع من الغرفة، ليبقيا سويًا بمفردهما، ولم تكن المرة الأولى، حيث شـهدت الأيام الماضية، من الأحد حتى اليوم، الأربعاء، العديد من الدقائق، التي خلت فيها الغرفة عليهما، خاصـة أن فرص لقاء الأب أصبحت نادرًا، لاسـيما مع عودة الشـاب إلى عمله يوم الثلاثاء، موعد انقضاء إجازته، وانشـغاله ليلًا بإصلاح سيارته، حيث كان يقتنص نصف سـاعة، بعـد خروجه من الشركة، للذهاب إلى المستشـفى، وفي يديـه باقة الورد، ليضعهـا بين يدي الفتـاة، مطمئنًا على صحتهـا، في حضـور والدتهـا، التي كانت تخـرج لنداء ممرضـة هنا، أو جلب دواء من هناك.

كانت هذه الدقائق فرصة؛ لتعرف الشـاب بصاحبـة العينين الكحيلتين عن قرب، وبعمق، جعله يؤمن بأنها شريكة عمره، حيث اكتشف القيم التـي تربت عليهـا، الصدق والاجتهـاد والتفاني والصـبر والثقة في الله، حتى أفكارها تختلف عن بنات جيلها، فهي مثله لم تأخذ صورة سـيلفي واحدة لنفسـها حتى الآن، ناهيك عن أنها لا تتيح الإضافة على صفحتها بفيـس بوك، وتقصرها على صديقاتها وأفراد عائلتها، لدرجة أنها ماطلت في إضافته هو نفسـه، رغم توصله لصفحتها عقب بحث دؤوب اسـتمر ليلتـين، لكنه مازال يأمل أن يصله طلب صداقة منها، بعدما حدد اسـمه والصورة الشخصية لحسابه بالموقع.

بقـي الحال على حـدوده، بين نظرات وأزهار وتجـاذب لأطراف الحديث حول الاتصالات والسياسة والاقتصاد، والناس، حتى جاء عصر الجمعة، لتبتسـم الحياة في وجـه «فـارس»، بعدما وصلـه الطلب المنتظـر، بنقرة واحـدة، أصبحت «ريم» صديقته في العالم الافتراضي، وبات الآن فقط قادرًا على رؤية ما تحويه صفحتها؛ غير المتاحة أمام العامة، إنها كلمات لبعض عباقـرة عصورهـم، في الأدب والتنمية البشريـة، وبضعة أدعية، وصور للأطفال، هو حساب نادرًا في هذا الزمان، يخلو من كلمات الحب المستهلكة، والإفيهات الهابطة، وبوز البطة!

وفور قبوله الطلب، انتقل إلى المحادثة، وكتب:

- «نورتيني».

رأتها في التو واللحظة، وردت:

• «تسلم».

- «أخبارك إيه»؟

• تمام الحمد لله.

لم يطـل الحـوار أكـثر من ذلـك، خاصـة أنهـا لم تبادله نفس السـؤال، ناهيـك عن اسـتعداده وقتها للذهاب إلى المستشـفى، برفقـة عمه، للمرة الثانية، خاصة بعدما تحسـنت صحة «فؤاد» بشـكل كبـير، بينما ما زال رأسـه مغطى باللاصقات الطبية، والحال نفسـه يشهده وجه ابن شقيقه،

الـذي أصبح يخشى أن يحتاج لعمليـة أخرى، إذا تركت الغرز علامة غير مستساغة على ملامحه، لكن همه الشاغل الآن، حب «ريم»!

■ ■ ■

نزل الشـاب وعمه من شـقة الملك الصالح، نحو مقصدهما، مرورًا ببائع الـورود كالعادة، لتعـود ضحكات «فـؤاد»، وهمزه وغمـزه، ومع عودة «فارس» للتاكسي حاملًا الباقة، رفع العم صوته قائلًا:

- «واللـه لو كنت أعرف أن حادثة هتعمـل فيك كده.. أنا كنت وقعتك من فوق كوبري استانلي من زمان».

رد ابن شقيقه، ضاحكًا:

• «ده العادي يا عمي.. إيه مفيش إنسانية؟!».

زادت قهقهات العم وقال:

- «أمـوت في الإنسـانية.. مش على عمـو يا واد.. البنـت دخلت دماغك خلاص».

وبجدية، لم تخفها ضحكته، رد:

• «تصدق يا عمي.. أنا ابتديت أفكر بجد».

رفع «فؤاد» صوته بحماس:

- «الله الله.. كده تبقى ابن أخو يا.. توكل على الله».

قال ذلك ثم ربت على كتف ابن شقيقه، الجالس بجواره في التاكسي، مباركًا ومشجعًا، وكعادة السائقين المتطفلين، وجدا صوتًا يبارك هو الآخر، وكأنه يتابع المشهد لحظة بلحظة، سخرا من أذنه المرمية بين قدميهما، قبل أن ينزلا من السيارة أمام المستشفى، متجهين إلى غرفة «ريم»، لتفتح الأخيرة عينيها على باقة الورد، بعد أن دخلت في غفوة قصيرة، بينما كان والدها موجودًا، ليراه الشاب بعد طول غياب.

تصافح الجميع، وعاد «فارس» إلى لمس يد فاتنته من جديد، ليشعر مرة أخرى بأن قدميه ترتفعان عن الأرض، محلقًا في سماء العشق، أما «فؤاد» فتعمد أن يبعد بالأب خطوات قليلة عن السرير، مانحًا الفرصة لابن شقيقه، لاقتناص أكبر قدر من الحوار الجانبي، الذي بدأه الأخير بمهارة، عندما قال بعد اطمئنانه عليها:

- «شكرًا مرة تانية على الصداقة، فرحتيني قوي، ما توقعتش إن حادثة صعبة زي دي هتخلني أكسب صديقة رائعة زيك».

وبرقتها المعتادة، ردت مبتسمة:

• «الله يخليك.. أنا كمان سعيدة بصداقتك».

- «لاحظت إنك مش من مدمني الفيس.. اللي بيكتبوا وبيشروا مليون حاجة في اليوم».

• «حقيقي.. أنا مش بقتنع بالكلام ده.. بالنسبالي وسيلة اتصال بصحباتي مش أكتر».

- «وده الصح.. كل ده كلام فاضي.. تعوّد.. أو زي ما قلتلك إدمان.. في ناس حياتها بقت الفيس.. بيكتبوا أي حاجة يحسوا بيها.. أو تحصلهم.. لو عطسوا يكتبوا بوست».

وبضحكة ردت:

• «صحيح.. وبعدين خلى الناس تبص لبعض.. ويتدخلوا في حياة بعض.. وزاد الحسد والغيرة.. أمراض المجتمع زادت بسبب التواصل الاجتماعي ده».

وببراعة.. نقل «فارس» الحوار إلى الحب.. قائلًا:

- «المشكلة الأكبر إنه خلى كل الأبواب مفتوحة.. الناس بقت تراقب بعض.. حتى لو حد حب حد وبعد عنه، بيفضل يفتح كل يوم صفحته.. ويتابع أخباره.. وعشان كده بقى صعب العلاقات تنتهي زي زمان.. بمجرد إن الطرفين ميكلموش بعض».

- «عندك حق.. أنا أحيانًا بحس إن صحباتي اتجننوا.. كل واحدة كاتبة حاجة عن خطيبها أو اللي بتحبه.. وعاملة باسورد الأكونت بتاعها باسمه أو رقمه، ولما بيبعدوا عن بعض بتعمل جنازة.. وتقعد تدعي إنها تنساه.. طيب هتنسى ازاي؟».

باغتها، سائلًا بلا تفكير:

• «وإنتِ بقى مش ناوية تحبي؟!

فتحت عينيها بثبات نحوه، وردت بهدوء:

- «أنا بفكر بعقل جدًا في الموضوع ده.. عشان كده رفضت ناس كتير.. لكن أكيد في يوم هقابل الإنسان اللي ربنا كاتبلي أكمل حياتي معاه.. وساعتها مش هقدر أرفض.. الحب قدر».

تأمل عينيها بإصرار حتى أنهت كلامها، لتبدأ نظرات إعجابه تصاحب إيماءة رأسه، كان سيتحدث على الفور، لولا مقاطعة مفاجأة، جرت على يد ممرضة، دخلت لتحضير المصابة قبل فحص الطبيب، الذي سيأتي بعد دقائق، ليحدد يوم خروجها من المستشفى، وهو الموعد المباغت، القادم دون سابق إنذار.

■ ■ ■

في السيدة زينب، كان «زياد» يحضر شقته لحدث جلل، بعد عودته من المنصورة، ليصلي الجمعة في مسجد السيدة، عقب زيارة خاطفة، بدأت مع الساعة الأولى لصباح اليوم نفسه، حيث وصل إلى مسقط رأسه، تمام الواحدة، بعدما أنهى مكالمة طويلة مع «سارة» اتفقا فيها على السفر، كي يخبر والديه بنبأ تعيينه، ويحدد معهما موعد قدومها للقاهرة، لإتمام الخطبة، مع بداية الشهر القادم، لتتزامن مع أول السنة المالية، موعد التعيين.

جاء هذا الاتفاق، عقب ليلة من الأشواق، بدآها بوصولهما إلى منزلهما مساء الأربعاء، بمرور ساعتين على عناقهما في حديقة الأزهر، حيث

تجاوزت المشـاعر المدى، ليشعر العاشـق بأنفاس الحسناء تعانقه عن بُعد عبر شـبكات المحمول، بينما صوتها يزداد عذوبة ورقة و إثارة، سارعت مـن جريان الدم في شرايينه، ليحلما بأنهـما متجاوران على فراش واحد، لكن كلامهما انصب في واقع سـاخن، سـيطر على المكالمة، للدرجة التي جعلتهما ينهيان حديثهما بالاتفاق، على أن تكون الحسناء داخل أحضانه بالواقع، لكن هذه المرة في شقته!

أخبرته «سـارة» أن شقيقتها ستسافر إلى السـاحل الشمالي برفقة زوجها، بعد ساعات، ما يلغي رحلتها الأسبوعية إلى المنصورة، وهو ما دفع الشاب لإبداء استعداده لقضاء نصف إجازته في القاهرة، عقب زيارة خاطفة إلى المنصورة، يبدأها مسـاء الخميس، ويعود منها على صلاة الجمعة بمسـجد السيدة، ثم تحدثا عن المسـتقبل وعش الزوجية، الذي ينتظرهما، لتباغته قائلة:

- «نفسي أشوف بيتنا».

ورغم الاستغراب الشديد الذي سيطر على ملامحه، رد بجرأة:

• «بكرة لو تحبي».

وبلا تردد، رفعت صوتها بتحد:

- «موافقة»!

ثم أخذت تؤكد أنها تعتبر نفسـها السـيدة الأولى في حياته، منذ اتفاقهما

علـى الـزواج، فضلًا على ثقتها الكبـيرة فيه، وفي نفســها، وثقته هو أيضا بنفسه.. ولم يعلم أن كل ذلك سيتبدد مع أول قبلة!

وبالفعل، ســافر «زياد» إلى مدينته الغالية، دون أن يعير بالًا بإلقاء نظرة عـلى عقار «أميرة»، المقابل لمنزله، الذي ذهـب إليه مباشرة، ليقضي الليلة في أحضان أسرته الصغيرة، مكتفيًا بالاتصال بجدته تليفونيًا، مطالبًا إياها بالدعـاء؛ كالعادة، ثـم فتح موضوع الـزواج، ليجد اسـتجابة من الأب أخـيرًا، بعدما اقـترب موعد تحقيق مـا انتظره طوال السـنوات الماضية، بتعيين نجلـه الوحيد، الذي ترك المنزل أعوامًا، ثائرًا على قرارات الوالد، بتأخير زواجه لأجل مسمى.

ومـن دون تـردد، وافـق الوالد عـلى مشـاركته خطواته نحـو منزل من اختارهـا قلبه، لينطق «زياد» باسـم «سـارة» لأول مرة في منزله، وسـط دهشـة من الأبوين، اللذين كانا ينتظران سـماع ما يعلمانـه جيدًا، منذ سـنوات طويلة، اسـم «أميرة»، لكن الابن تجاوز دهشـتهما، مؤكدًا أنه أنهى علاقته بالجارة منذ شـهر، ولا مجال للعودة، وأنه التقى الحسناء لتغير قبلة عقله وقلبه، ثم تحدث عن عائلتها، وأشـار إلى زوج شـقيقتها، رجل الأعمال الشـهير بالمنصورة، ليفاجأ بسـعادة بالغة تمـلأ وجه الأب، الذي تربطه علاقة صداقة وطيدة به.

وبلا تردد رحب الأب، بعدما وجد نفســه بين ابن عاشق، وصديق مقرب ومحـترم، ليقـرر الذهاب معـه إلى القاهرة في أول جمعة بالشـهر الجديد،

حتى يدقا أبواب منزل الحسناء، وهو القرار الذي أبلغه «زياد» لزوجة المستقبل تليفونيًا، عبر هاتف منزله الأرضي بالمنصورة، للمرة الأولى، بعدما أبت شبكة المحمول أن تستوعب أشواقه، لتسقط فجأة، ولمدة ساعة دون أسباب، قضاها يمسك بسماعة الهاتف، مرسلًا عبرها قبلاته.

تحدثا عن اللقاء الوشيك بشقته، الذي يأتي استجابة لنداء العشق والشوق، فلولا حبها له، وثقتها فيه، ما أقدمت على هذا، ولولا ثقته فيها لفسر خطوتها بصورة خاطئة، خاصة أنه لا ينسى جملة «خايفة تفهمني غلط»، التي نطقت بها الحسناء على البحيرة، عقب لومها قلبها ونفسها على التسرع والجرأة، اللذين لم تعهدهما في حياتها، قبل رؤيتها خطيبها المنتظر.

وجاء مساء الجمعة، لينتظر «زياد» الحسناء أمام المسجد في تمام السادسة، وصلت بموعدها دون تأخر دقيقة واحدة، لتتعانق يداهما، ويخطوان نحو عشهما الهادئ، بلا تراجع، ويعبران بوابة العقار، دون اكتراث بأحد، وكأنه أمر طبيعي، يحدث كل يوم، دخلا الشقة على حضن طويل، بعدما أغلقا الباب وراءهما، لتلامس أنفاسه عنقها، بينما تدخله الحسناء إلى صدرها بقوة.

وسرعان ما زادت الأشواق ومعها التنهيدات الساخنة، ليفاجأ الشاب بعاشقته تخرج من بين يديه، وترسم ملامح الجدية على وجهها، طالبة منه بنبرة رقيقة ومثيرة؛ أن يأخذها في جولة بأرجاء بيتها المنتظر، ليجوبا معًا

الحجـرات الثـلاث، و يتفقا على وضع غرفة النوم هنـا، والصالون هناك، وسط ابتسامات حب؛ صافية وخجولة.

وسرعان ما عادا إلى الأريكة، ليجلسا دون فاصل، و يقتربان حد التلامس، وتتعانق يداهما بدفء، سيطر على الجلسة الهادئة، وبعد نظرات جريئة تبادلتها عيناهما، بلا استسلام للخجل، رفع الشاب يده مطوقًا عنقها برقة، لتلمـع عيناها ببريـق الإثارة، وتقترب من شـفتيه، وبالمثل اقترب نحوها، ليدخلا في قبلة كالعسل، لكنها أخفت وراءها الكثير من السموم!

❑❑❑

(9)

«تذكري أنني لم أُحبّ بشرًا مثلكِ..
ولم أتمنّ أنثى ترافقني الدرب
وتقاسمني نبضات العشق إلّا أنتِ».

#ريكورد

□□□

ذات المساء، كان «فارس» قد حسم أمره، متوجها إلى محل شهير بالمنيل، لشراء شيء ما، بعدما راجع جيدًا المواقف التي جمعته بصاحبة العينين الكحيلتين، ونقاشهما، وابتساماتهما، ونظراتها الحاملة الساحرة لوروده، ليتخذ قراره النهائي، الذي أخفاه عن والدته، بينما شجعه عمه على المضي قدمًا في تنفيذه، لذلك عاد إلى منزله سريعًا، يحلم بآخر لقاء سيجمعه بالفاتنة غدًا، قبل موعد خروجها المباغت؛ الذي حدده الطبيب مساء السبت، حيث استعد والدها لتلك اللحظة مبكرًا، واشترى كرسيًا متحركًا، لتخرج نجلته عليه من المستشفى، وتستمر في الجلوس عليه شهرًا، لحين إزاحة ستار الجبس عن قدميها.

وجاء صباح السبت، ليحمل معه العديد من المفاجآت، حيث استأذن الشاب في الغياب عن العمل، ونزل من منزله الحادية عشرة، برفقة عمه، وأمه التي اشتاقت لرؤية «ريم» مع استمرار حديث «فؤاد» عن العائلة المحترمة، وسرعان ما اقترب الثلاثي من محل الورود، ليقف التاكسي أمامه، بإشارة من «فارس» الذي نزل وسط نظرات استغراب من الأم، وضحكات العم، ليعود وبين يديه 3 باقات من الزهور؛ الحمراء والبيضاء كالعادة، وتزداد عينا والدته بريقًا وشغفًا.

استقل السيارة في هدوء، بعدما وضع الباقتين في يدي عمه عبر النافذة؛ واحدة تلو الأخرى، راسمًا ضحكة غامضة على وجهه، حتى وصلا إلى المستشفى، بينما تحاول الأم الاستفسار عما يجرى من العم، لكن دون جدوى، حيث اكتفى الأخير بالاستمرار في ضحكاته؛ غير معير بالًا لتساؤلاتها، إلى أن دخلوا غرفة «ريم» حاملين الأزهار؛ كلٌ بباقته، لتجد الأم أمامها قمرًا يشع ضياءً وبراءة؛ خاصة مع استعادة الفتاة كامل جمالها بمرور أسبوع على الحادث، ليتصافحوا جميعًا، وسط ترحيب حار من العائلة المحترمة؛ والدي الفتاة.

وبمرور دقيقتين، استأذن «فؤاد» الأب في مرافقته إلى الخارج، لشرب سيجارة، ونادى ابن شقيقه لمرافقتهما، خرجوا مغلقين باب الغرفة وراءهم، بينما تبقت الأم تتحدث إلى الفتاة بمحبة ولدت سريعًا، لترسم الابتسامة على وجههما، أما العم فتحدث للأب بهدوء، طالبًا منه يد «ريم» لابن شقيقه، وهو ما قابله والد الفتاة بترحيب شريطة موافقتها، حينها سحب الشاب نفسه، عائدًا إلى الغرفة دون استئذان، ليرفع صوته بعد دخوله وسط الحشد، غير عابئ بشيء، مصوبًا عينيه تجاه الراقدة على السرير، وقائلًا بجرأة:

- «أنا بحبك.. وطلبت إيدك دلوقتي.. موافقة؟».

نظرت إليه بثبات، لثوانٍ طويلة، مرت كعام على العاشق، ثم أومأت برأسها راسمة ابتسامة صافية، رغم تساقط دمعة فرح من أجفانها، وسط

نظرات شـغوفة تسـيطر على أعين الوالدتين، اللتين تسـمرتا في مكانهما، حتى رفعـت الفتاة صوتها بصعوبة، قائلة بعينيها اللامعتين، وابتسـامتها الواسعة:

- «موافقة».

كانت الكلمة إيذانًا لتفجير مدفع زغاريد، اشتعل فتيله على لسان والدة «فارس»، الإسكندرانية بجدارة، ليمتد صدى صوتها إلى أرجاء المستشفى، بينما يُخرج نجلها الخاتم، الذي اشـتراه مسـاء أمس، من محل المجوهرات الشـهير بالمنيـل، قبل أن يتقدم بخطـى ثابتة نحو «ريم»، ويمسـك يدها الرقيقـة، بنظرة حـب خيالية، واضعًـا خاتمه بهدوء، حتـى أصبح يزين أناملها الناعمة، ثم أخرج دبلتين، ليتبادلا لمس الأيدي بسـعادة وشـغف، سادا أرجاء الغرفة، وسط ضحكات وغناء الحشد، يا دبلة الخطوبة!

■ ■ ■

عـلى بُعد أمتـار قليلـة، كان «زيـاد» يجلـس في مكتبه داخـل الشركة، مسـترجعًا تفاصيل الليلة الماضية، ولقاءه السـاحر بالحسناء داخل شقته، الذي شهد الكثير من التطورات، رغم أنه لم يتعد حدود الأريكة، لكن المشاعر فاقت كل الحدود، خاصة مع هجمات القبل التي باغتت العاشق من كل اتجاه، وقبضت على شفتيه بشراسة، أخذ يقابلها بالمثل، رغم نظرة الدهشـة التي سادت عينيه، واقترب أكثر وأكثر، بلا أدنى مقاومة، حيث تركت نفسـها بين يديـه دون محاذير، حتى عبر مـا أراد اجتيازه، مانحة

له كل الفرص، ليجد نفسه يقترب من الخط الأحمر، الذي لا عودة منه، ويحرك يديه سريعًا على ظهرها، ويدخلها إلى صدره، في عناق هزم وسوسة الشيطان في أذنه، بتعدي كل الحدود.

انتهى اللقاء على هذا العناق، الذي نزلت بعده دموع الحسناء، للمرة الثانية، وبلا سبب، وهو ما اعتبره الشاب تأنيبًا للذات وجلدًا للنفس، ليرفع صوته قائلًا:

- «ربنا ما يحرمني من حضنك يا مراتي».

انهمرت دموعها سريعًا، ردت بصعوبة بين النحيب:

• «ربنا يخليك ليّ يا أبو أولادي».

أمما على الدعاء، ثم نزلا من الشقة سريعًا، لتتأمل «سارة» الطريق، وأناملها بين يد حبيبها، قبل أن تستقل تاكسي من السيدة، في طريقها نحو المعادي، على وعد باتصالات ولقاءات وقبلات، وعناقات أخرى بالشقة.

تذكر «زياد» كل هذا، وهو يجلس على مكتبه، اليوم التالي، ولسان حاله يردد: اللهم حياة تشبه حسنها.. مفسرًا ما جرى بالأمس؛ أنه حب طاهر اكتسب الكثير من الثقة؛ التي جعلت الحسناء تترك نفسها بين يديه، وهي تعلم جيدًا أنه سيتوقف في الوقت المناسب، إنها حقًا هدية القدر له، التي جعلته يرى الحياة، بعيون أكثر سعادة وحبًا وإثارة.

استمر الحب في تضييق الخناق على قلب الشاب، طوال أيام، قضاها يحلم بعاشقته ليلًا ونهارًا، ويتحدث إلى صديقه «فارس» من وقت لآخر، مباركًا خطوبته، وسلامته من عقدة النساء أخيرًا، بعدما تلاشت بمجرد دخول «ريم» إلى حياته، لتختفي «سهر» عن الأنظار، ويهنئه جميع زملائه على الخطوبة، وكأنهم يفتحون صفحة جديدة معه، متجاوزين ما مر من كلام مرسل.

جاء الأربعاء، بليلة عاصفة، بدأت فيها أولى مشادات «زياد» مع «سارة»، عندما عاتبها على عدم الرد عليه طوال ساعة، اتصل خلالها 4 مرات، ليجد انتظارًا، طالت المكالمة التي تشغل خطها، حتى أنهتها إرادة الشبكة؛ بمرور الساعة كالعادة، وهو الأمر الذي بررته الحسناء بأن شقيقتها تتحدث إليها من الساحل الشمالي، ليتجاوزه الشاب بهدوء، لكن ذات الانتظار تكرر مرة أخرى، بعد ساعتين، عندما اتصل لسماع صوتها قبل خلوده للنوم، ليجد الحال على ما هو عليه، وتستغرق مكالمة ثانية لها نفس المدة، بينما تترك اتصاله بلا رد، وهو ما جن جنونه، خاصة أنه نبهها بالرد عليه في هذه الحالة، ثم مواصلة حديثها مع شقيقتها أو صديقاتها.

وبين شد وجذب، تكررت الواقعة مرات عديدة، ودام فيها الانتظار ساعات، دون أي اهتمام باتصال الشاب، حتى بين الفواصل الجبرية للمكالمات، الأمر الذي أشعل الشكوك في عقله؛ بأن شيئا ما يجرى غير طبيعي أو منطقي، فمن المستحيل أن تتحدث «سارة» إلى أختها طوال 3 ساعات مثلًا، لا ترد فيهم على اتصالاته، ناهيك أن مبرراتها كانت

تتعارض أحيانًا، ما جعله يصل لقناعة؛ مفادها أن السحب السوداء بدأت تتجمع في سماء الحب، منذرة بسيول قد تضرب مملكة عشقه، لتمحوها من على وجه الأرض.

ومن الأربعاء حتى مساء الجمعة، استمر «زياد» في البحث والتحري، بشغف رجل مخابرات يُقلب في ملف داعشي، بعدما أماته الشك، خاصة أن كلمات «سارة» أصبحت تصب هنا وهناك، بلا أدنى خجل، وبجراءة منتهية النظير، لم يعتد هو نفسه عليها، لتتحول كل أفكاره عن الحسناء إلى العكس، إنها أنثى متمرسة، تعلم جيدًا أين تلقي كلماتها، وكيف توقع بمن أمامها في مصيدة الرغبة.. ليست مثالية كما ظن سلفًا!

التقيا في القاهرة، واتجها إلى شقته للمرة الثانية، حيث لم يذهب للمنصورة، مصرًا على إخماد بركان الشك الثائر داخله قبل الأسبوع الجديد، لذلك كانت أول كلماته بعد عناق قصير في الصالة:

- «وريني تليفونك كده»!

ردت بدهشة:

- «ايه الطلب الغريب ده»؟

تحدث بإصرار، ليبدأ هذا الحوار الصاخب:

- «معلش مرة من نفسي قبل الخطوبة بقى.. مش لازم شوية غيرة وكده».

- «ماشي اتفضل.. بس دي أول وآخر مرة».

• «أكيد»!

- «قولتيلي مين كانت بتكلمك امبارح»؟

• «إنجي».

أمسك الهاتف بتحد.. ونظر إليها قائلًا:

- «ايه ده.. مكتوب انجي فعلًا.. طيب ما تيجي نسمع صوتها مع بعض كده».

تفاجأت من رد فعله غير المتوقع، رفعت عينيها بفزع:

• «للدرجة دي»؟

- «بالمرة بقى»!

ردت بإصرار، مصوبة عينيها بنظرة شرسة لم يعهدها:

• «لا آسفة.. مش هعمل كده»!

- «ليه»؟!

• «لأن ده شك صريح فيّ».

- «إطلاقًا»!

• «مالهاش معنى تاني».

تجاهل كلماتها، ورفع يده بهاتفها.. قائلًا بغضب:

- «اتصلي بيها يا سارة.. وافتحي الاسبيكر.. عاوز أسمع صوتها»!

• «مش هيحصل».

- «طيب.. يبقى أنت اللي اخترتِ».

وبملامح سادها التوتر، سألته:

• «اخترت إيه»؟

- «إننا نبعد عن بعض»!

• «إنت بتهزر.. إحنا فاضلنا أيام وهنتخطب»!

- «لا.. حقيقي هنبعد.. البعد أحسن من قرب مليان كدب وقلة ثقة».

• «وأنا كدابة.. ومش بتثق فيّ»؟!

أمسك الهاتف بقبضة كادت تحطمه، وقال بلهجة المخبر السري:

- أثق إزاي.. وأنتِ بتقولي إنجي.. وهو طارق أحمد سعيد.. الظابط.. ولو اتصلنا دلوقتي هو اللي هيرد.. وعمومًا أنا حافظ رقمه.. تحبي أكلمه من عندي».

تصلبت الحسناء في مكانها، وفتحت عينيها بصدمة بالغة، ثم قالت بنبرة المهزومة:

• «أنت صح.. بس ده زي أخو يا.. بقالنا سنين عارفين بعض.. وخفت أقولك إنه هو اللي بيكلمني متأخر كده.. عشان ما تفهمش غلط».

بدأت قهقهات «زياد» في التصاعد، قبل أن يقول بسخرية:

- «عشـان ما افهمكيـش غلط آاااه.. اللي زي أخـوكِ ده مكلمك امبارح بـس لحد الفجر.. وأول امبارح للسـاعة 5 الصبـح.. وأول وأول وأول.. إيه الأخوة الجامدة دي».

قابلت حديثه بجدية، وقالت بتأنٍ:

• «عادي جدًا.. بيحكيلي على شـوية حاجات وبياخد رأيي في مشـاكل عنده».

نظر إليها بتحدٍ، متهمًا ومشككًا، وقال:

- «كويس قوي.. سيبيني بقى يومين أسمع مكالمتكم.. وأشوف أخوتكم الجامدة دي وبعدين نتكلم».

ردت بتوتر عاد لصوتها:

• «تسمعها إزاي؟».

- «سهلة جدًا.. زي ما جبت سجل مكالماتك.. إحنا عندنا مكالمات البلد كلها.. بس بنحب الستر».

رفعت صوتها بغضب يائس.. وهي تنهره بشدة:

• «أعلى ما في خيلك اركبه..».

صفعة واحدة سـقطت على وجهها من «زياد»، أوقفت كلماتها عند هذا

الحد، لتقضي دقيقتين في بكاء شديد، قبل أن يمشي الشاب نحو باب شقته و يفتحه، قائلًا بنبرة قاسية:

- «برة».

نظـرت إليه بحدة، ثم خطت نحو الباب، قبل أن تسـيطر الشراسـة على ملامحها، وهي تكرر:

• «هتندم».

عادت قهقهاته.. ورد بثقة:

- «على إيه يا حسرة.. في ستين داهية».

■ ■ ■

وسط أسرة بسيطة، أصبحت مع مرور الوقت ميسورة الحال؛ إلى حد ما، نشـأت «سارة»، ومعها شـقيقتها الوحيدة، لم يحرمهما الأب من أي شيء، ضحى كثيرًا من أجل إسعادهما، حتى تزوجت الشقيقة من رجل الأعمال، لتصبح الحيـاة أكثر رغدًا، مع حرصها على مد أسرتها بكل الاحتياجات، لذلك كان الفارق البسـيط بين عمر الشقيقتين؛ الذي لا يتعدى 5 أعوام، كفيلًا بأن تقضي صاحبة العينين الزرقاوين سـنوات دراستها الجامعية في رفاهيـة، خاصة أنها كانت في نظر الجميـع آخر العنقود، ليوفروا لها كل شيء، و يشيدون بجمالها ورقتها ليلًا ونهارًا.

ظلت «سـارة» محط نظـر جميع أبنـاء العائلة، الكل يتسـابق على الفوز بقلبهـا، ويحاولون اسـتمالتها نحوهم بـأي طريقة، وبجميـع المغريات،

لكن الحسناء وقفت لهم بالمرصاد لهم، متمسكة بأخلاقها واثقة بجمالها الأخاذ؛ الذي يخطف النظر عن بُعد، حتى التحقت بالكلية، لتشعر بأنها ملكة جمال الأرض، مع تهافت شباب الجامعة عليها، إلا أنها كانت تنتظر فارس أحلامها، الذي كان أهم مواصفاته، البدلة الميري!

وفي عامها الجامعي الأول، بدأت قصة حب عنيفة، ظلت ليالي طويلة تؤرق عينيها الساحرتين، كان بطلها الملازم «طارق»، الذي ظل يلاحقها بنظراته في كل عبور لها أمام إحدى السفارات؛ التي يشارك في تأمينها؛ إلى جوار منزلها بالمعادي، ونظرة ثم ابتسامة، مع إصرار شديد، خطف الضابط الوسيم قلب الحسناء، بعدما أخذ يطاردها بسيارة الشرطة، وراء كل تاكسي تستقله صباحًا نحو الجامعة، وكذلك إيابًا، حتى يعود إلى خدمته الليلية بالسفارة، التي استمرت لمدة شهر، كان كفيلًا باقتناص لقاء مع «سارة»، وسط المساحات الخضراء، بجزيرة المعادي.

قضيا 3 أعوام من الحب العنيف، الذي وصل منتهاه قلبًا وعقلًا وجسدًا، فعلا فيها كل شيء، بعدما استطاع «طارق» أن يمهد طريقه إلى مشاعرها وأنوثتها، يومًا بعد يوم، وبمهارة متناهية، قائلًا في سبيل ذلك كل كلمات العشق، متقربًا تارة، ومعذبًا تارة أخرى، حيث عاقبها أكثر من مرة عندما حاولت إيقافه عند الحد، في الحديث أو اللمس، وهو العقاب الذي كان يدوم لأسابيع طويلة أحيانًا، يستمر فيه صامتًا، متجاهلًا مكالماتها ورسائلها، حتى يشعر بأنها بدأت في الخضوع لشيطانه، ليعود إليها، ويكتسب مساحة جديدة للتقارب، يفعل بها ما يريد.

استمر الحال بين كلمة عشق، وعقاب، وخضوع، حتى أوقعها بين أحضانه، ليعيشا حياة كاملة، طوال عامين، ادعى فيهما أنها حبه وعشقه وحياته، وزوجته أمام الله، وكي يشعرا بمزيد من الاستقرار لحين تخرج «سارة»؛ وهو الموعد الذي حداده للزواج رسميًا، لجآ لاستئجار شقة في منطقة حدائق المعادي، ليقتنصا فيها ساعات أسبوعيًا، ذاقت فيها الحسناء كل اللذات، بحرية فاقت الحد بكثير وكثير، وفقدت معها أيضًا براءتها وعذريتها، تحت اسم الحب، لتتحول مع الوقت، إلى أنثى لا تشبهها أبدًا، جامحة في مشاعرها، مستغلة أنوثتها أسوأ استغلال.

وفجأة وجد «طارق» نفسه أمام عاهرة من صنع يديه، تفعل ما يريد، متى يشاء، وبمهارة الخبيرة، ومع حصوله على كل ما أراد، و إشباع نهمه، أصبحت الحسناء في عينيه لا تصلح لأي شيء، سوى المتعة، فهو لن يجعل لعوبًا كهذه أمًا لأولاده، حتى لو كان يتيقن أنه السبب الأساسي وراء تحولها إلى هذا المارد الأنثوي، بفعل إصراره على تجاوز كل مستويات اللذة معها، طوال ساعات، قضياها في الشقة، لتتضاعف رغبتها ومعها إحساسها بجسدها المثير.

وفي نهاية عامها الجامعي الثالث، أقدم الضابط على فعل لم تتخيله الحسناء قط، بعدما رمى بها خلف ظهره، متزوجًا ابنة خالته الطبيبة، رافضًا كل محاولاتها لإثنائه عن قراره، ومهددًا إياها بالكشف عن صورها الخادشة التي التقطها بالشقة، إذا لم تتركه في سبيله، وتخرج من حياته نهائيًا، وأمام تهديداته خضعت الحسناء، وعاشت طوال الإجازة الصيفية في حالة يرثى

لها، بين ندم على ما فعلته بنفسها، واحتياج ضارٍ لأفعال أخرى، أصبحت محرومة منها بابتعادها عن حبيبها المخادع، وأستاذها في عالم اللذة.

لكنها بذلت كل ما في وسعها لإيقاف من حاولوا التقرب إليها، بعد زواج «طارق»، رغم أن شيطانها كان يدفعها كثيرًا إلى الدخول في علاقة أخرى، تبدأ بها حياة جديدة، وتشبع فيها رغباتها كأنثى مستثارة دومًا، إلا أنها أصيبت وسط كل هذا بعقده من الرجال، فقدت على أثرها الثقة بأي منهم، وأصبحت تخشى قهرهم، الذي وصل ذروته على يد الضابط الوسيم.

وبمرور أشهر قليلة من زواجه، افتقد «طارق» ملذات كثيرة؛ وحياة مليئة بالجرأة والشقاوة، عاشها بحرية مع الحسناء فقط، ليعود في الاتصال بها، طالبًا الغفران على ما اقترفه في حقها، وأن يتحولا إلى صديقين مخلصين، يساندان بعضهما أمام صعوبات الحياة، وبعد تفكير طويل وافقت «سارة»، خاصة أنها لا تأمن غدره، ناهيك عن أنها لم تحب رجلًا غيره على وجه الأرض، ولم يملك سواه مفاتيح قلبها وجسدها، كما أنه فعل كل شيء، ولم يتبق ما يؤلمها منه من جديد، لذلك ارتضت أن تصبح على الهامش في حياته، لتعود الاتصالات رويدًا رويدًا، وتظل في حدود المرح؛ حتى إذا كان جريئًا.

حاول «طارق» مع مرور الوقت، استعادة مساحته في حياة الحسناء، بالكامل، ليعلقها به مرة أخرى، ويبدأ شده وجذبه من جديد، ويعود

تهديده ووعيده، إذا رفضت له طلبًا، حتى استأجرا شقة جديدة بنفس المنطقة الهادئة، لتتجدد اللقاءات ومعها الملذات، وتجد «سارة» نفسها في علاقة غير شرعية، أكثر تعقيدًا وعذابًا؛ أصبحت لا تستطيع الخروج منها، ولا تريد أيضًا، خاصة أنه أفهمها أكثر من مرة أن حياتها لن تقف عند هذا الحد، وبعملية بسيطة ستعود بكرًا إذا أرادت الزواج، لذلك تجاوز فجورهما المدى، حتى الليلة التي طردها فيها «زياد» من شقته بالسيدة زينب.

■ ■ ■

قبل لقائه الحسناء في شقته، الجمعة، كان «زياد» قد استعان بزميل له في إدارة خدمة العملاء بالشركة، الذي مده بسجل مكالمات «سارة»، وبعد فحصه بعناية، حدد الرقم المميز الذي تعاود الاتصال به مرارًا وتكرارًا، وسرعان ما حصل أيضا على بياناته وسجل مكالماته، ليعلم أنه الضابط «طارق»، ويقرر مواجهتها بالأدلة الثابتة، فور صعودهما الشقة، وهو ما انتهى بمشهد الطرد، الذي سبقته صفعة على وجهها.

قضى الشاب ما تبقى من الليلة العاصفة في شقته، واضعًا يديه على رأسه مرة، ومتنقلًا بين الغرفة والصالة مرة أخرى، ذهابًا وإيابًا، يفكر فيما حدث، وكيف ساقه القدر إلى هذا المصير المظلم، بعد أن بدد حب عمره، وركض وراء سراب؛ اكتشف حقيقته الآن فقط، وعرف معه أيضا قيمة أميرته، التي لم تكذب عليه يومًا، إنها أنثى لا تستطيع التلون ولا

تطيق الخداع، ورغم إدراكه أن زمام الأمور لم يفلت من يده، بخصوص «أميرة»؛ التي تكتب له يوميًا عشرات الكلمات في محادثة «فيس بوك»، إلا أنه اختار مواصلة الصمت، وأخذ هدنة قصيرة من معارك الحب الضارية.

لكنه، أمسك مذكرته الصغيرة، ومعها هاتفه، وبنقرتين دخل إلى صورتها، ليتأملها قليلًا، ويعلم إلى أي مدى تأذى بعد خروجها من عالمه، ثم نحى الهاتف جانبًا، وصرخ باسمها ليجوب صدى صوته أرجاء الشقة، قبل أن تنزل دمعة من بين جفنيه، وهو يكتب:

- «تذكري أنني لم أُحبّ بشرًا مثلكِ.. ولم أتمنّ أنثى ترافقني الدرب وتقاسمني نبضات العشق إلَّا أنتِ.. تذكري أنّ القدر دائمًا ما يُجهض أحلامنا وأمانينا.. لكن تبقين أنتِ الحضن الدافئ واللمسة الحنونة والدقة التائهة في قلبي الملهوف على لقياكِ.. لن أنساكِ».

استلقى على سريره، بعدما قرأ تلك الكلمات مرارًا، لائمًا نفسه على كل يوم حلم فيه بالحسناء الكاذبة، متيقنًا أن ما كان يخرج من بين شفتيها؛ ليس سوى كذب بمذاق العسل، يحمل سمًا مُهلكًا، ثم أغمض عينيه على قرار صارم، بخروج «سارة» من حياته نهائيًا، وهو القرار الذي أبت الحسناء تنفيذه على أرض الواقع، حيث حملت الساعات التالية فاجعة كبرى.

❐❐❐

(10)

«حديث الخائن عن الصدق..
كحديث العاهرة عن الشرف»!

#ريكورد

❐❐❐

صباح السبت، كان الشاب يجلس داخل مكتبه، بعدما تحدث قليلًا مع صديقه «فارس» حول خطوبة الأخير وأحوال عمه وخطوات إصلاح سيارته، دون أن يتطرق إلى «سارة» نهائيًا، رغم محاولات صديقه لجذبه إلى الحديث عن تطورات حبه الجديد، بحديثه عن «ريم» التي ملأت قلبه وحياته، لكن «زياد» ذهب بحديثه إلى أزمات العمل، حتى انتهى لقاؤهما على وعد بتكرار جلسة الرفاعي والسلطان حسن، الليلة، وبحضور العم «فؤاد»، وهو الأمر الذي أراح الشاب قليلًا، بعدما علم أنه سينفض غبار الحزن عن نفسه، بعد ساعات وسط نسمات الهواء النقي.

وبمرور ساعة، ارتفع رنين الهاتف، إنه والده، رد سريعًا، ليفاجأ بالعاصفة:

- «فضحتنا يا ابن الكلب، إيه اللي عملته في بنات الناس ده.. اعمل حسابك هتتجوزها ورجلك فوق رقبتك».

قفز من مكتبه إثر الصدمة، ورد سريعًا:

• «أنت بتقولي أنا الكلام ده.. واضح إنك بتكلم حد تاني.. أنا ابنك زياد والله».

زاد غضب الأب، وتدافعت كلماته:

- «إنت هتستهبل يالا.. سارة كلمتني وقالتلي إنها حامل منك».

اجتاحت جسده رعشه مفاجئة.. وسأل بصعوبة غير مصدق ما يجرى:

• «سارة مين؟

- «إللي كانت عندك في الشقة امبارح.. والجمعة اللي قبلها».

وجد الشاب نفسه في ورطة حقيقية، ارتعش صوته وهو يسأل:

• «هي قالتلك كده؟».

- «قالتلي كل حاجة.. ولازم تصلح غلطتك».

رد كالبريء المحكوم عليه بالإعدام:

- «أنا ما عملتش حاجة».

رفع الأب صوته بحدة:

• «هـي هترمي بلاها عليك ليه.. دي بنت ناس.. الموضوع هيخلص يعني هيخلص والأسبوع ده».

قال الأب كلماته الأخـيرة، مغلقًا الهاتف في وجه نجله، الذي كاد يغشى عليـه من الصدمة المباغتة، لولا تشـبثه بالمكتب، ليرفع سـماعة التليفون الداخـلي، ويطلب من صديقه المقرب الحضور إليـه سريعًا، وبعد ثوانٍ كان «فـارس» يدخـل مكتبه، ليجـده في حاله يرثى لهـا، مداريًا دموعه بيديه، غير قادر على النطق، أخذ يدفعه بيده ويسأله:

- «قولي في إيه؟».

نطق بعد دقيقتين من الصمت، رافعًا صوته الباكي مكررًا:

• «فضيحة يا فارس».

نظر إليه صديقه بعينين تتسعان، فهو لم يره في هذه الحال طوال علاقتهما، ثم أعاد سؤاله، ليكمل «زياد» بصعوبة:

- «سارة كلمت أبو يا.. وقالتله إنها حامل مني».

وبصدمة، قال الصديق:

• «يا نهار اسود.. هو إحنا نخلص من سهر تطلعلنا سارة.. ده الموضوع كبير.. حامل منك إزاي.. إنت عملت معاها حاجة»؟

- «أقسم بالله كان أخرى بوس واحضان».

• «فين»؟

- «الشقة».

• «مصيبة يا زياد.. أنا من الأول قولتلك بلاش.. شكلها عاوزة تلبسك في جوازة».

- «أبو يا قالي هتتجوزها ورجلك فوق رقبتك».

• «طيب كلمتها؟».

نظر إلى صديقه.. ثم أمسك هاتفه.. ليقترب منه «فارس» مكملًا:

- «هتعمل إيه.. استنى ماتكلمهاش.. اهدا دلوقتي وانزل.. وأنا هقول إنك تعبت وأستأذنلك.. خلينا نفكر لحد ما نتقابل بالليل».

أومأ برأسه، وملامحه تخفي إعصارًا مدمرًا يجتاحه، لم ينطق بكلمة واحدة، أو يلملم حتى الأوراق المبعثرة على مكتبه، خرج من بابه سريعًا، ومشى كالتائه وسط طرقات الشركة، ومنها إلى كورنيش النيل، ليقف أمام المياه لدقائق، بينما تحمل عيناه دموعًا استطاع بصعوبة منع سقوطها، مسلطًا حدقتيه على الشاطئ الآخر بنظرة ثابتة، يفكر فيما يفعله أمام المفاجأة الكارثية.

أنهى وقفته مستقلًا تاكسي من الكورنيش، حيث كان غير مستعد على الإطلاق للذهاب عبر المترو، حتى لا يقف بين الناس بملامحه البائسة وعينيه الدامعتين، في أقصى حالات ضعفه، وأقسى لحظات عتابه لنفسه، ثم أخذ يفكر في محاور عدة، أولها كيف وصلت «سارة» إلى والده، خشي أن يكون ذلك عبر زوج شقيقتها، فوقتها ستكون الأزمة قد اتسعت ولا مجال للهروب منها، ثم كيف تحمل منه طفلًا؛ وهو يعلم جيدًا أنه لم يخلع ملابسه معها، إذًا فهو بريء من ادعائها، وعليه أن يتماسك أمام الفضيحة، حتى لا يتحمل العقاب على جريمة غيره، والد الطفل الذي ينمو بأحشائها.

هداه تفكيره مؤخرا إلى السر؛ وراء تقربها السريع منه، ورغبتها المفاجئة في دخول شقته، الآن فقط فهمها بصورة واضحة، وعلم أنه كان على خطأ؛ حين ساعدها في تنفيذ حيلتها، وصدق كلمتي «ما تفهمنيش

غلط».. الآن تيقن أنها أنثى متمرسة، بل حامل من رجل آخر، ربما يكون «طارق» أو غيره.. الآن عليه مواجهة أكبر كارثة مرت في حياته، قبل أن يفقد كل شيء، شرفه وسمعته، ومعها «أميرة»، التي كان ينوي الرد عليها اليوم، لكن الكارثة ستغلق أمامه طريق العودة، لا محالة.

■ ■ ■

في ذات اليوم، وبعد الليلة التي وقعت فيه الصفعة على وجه «سارة»، كانت الأخيرة داخل أحضان «طارق» بشقتهما، محل العشق الفاني واللذة الباقية، يربت على كتفيها، ويطمئنها بأن حيلتهما ستنجح في الإيقاع بـ«زياد» في مصيدة الزواج، خاصة أن الأمور تطورت بينهما كثيرًا عقب عودة لقاءاتهما، لتقرر الحسناء أن تعيش معه بلا مسميات، مكتفية بالساعات المثيرة التي يسرقانها داخل الشقة المستأجرة، ومستمرة في سرد كل ما يخصها، وأخذ رأيه بكل كبيرة وصغيرة، متحملة الكثير من الأوجاع في سبيل قبول هذا الوضع الشائن، وكلما تألمت وبكت، كان لسان حالها يقول: «اللي راح راح.. مفيش حاجة تانية هخسرها»، لتبدأ من جديد في الدوران بالحلقة المفرغة.

وبعد اللقاء الثاني، الذي جمع «زياد» بالحسناء، وتحدثا فيه لأول مرة في محطة مترو رمسيس؛ قبل شهر ونصف، سردت «سارة» ما حدث للضابط، كعادتها في سرد كل كبيرة وصغيرة بيومها، لتجده يمسك بكلماتها، ويسألها:

- «الواد ده شكله محترم كده وابن ناس؟».

ردت بضحكـة، تحاول أن تسـتفز غيرته عليها، التي تلاشـت مع مرور الأيام:

● «آاه.. وأمور قوي».

رسم ابتسامة صفراء.. وقال:

- «حلو قوي.. انتِ هتسافري إمتى تاني؟

وباستغراب ردت:

● «الجمعة بعد الجاية.. عشان الامتحانات.. ليه بقى؟».

قال برزانة المتآمر:

- «ولا حاجة.. قبل ما تسافري هقولك».

كان الضابط والحسـناء يمران بأصعـب حقبة في علاقتهما، ها هي حامل بشـهرها الأول، وينمو طفله في أحشـائها، ولا حيلة إلا بإجهاضه، وهو الأمـر الـذي أدى لشـد وجـذب كبـير بينهما، أنهـاه في لقائهـما الماضي، بتهديدهـا كعادته، بأنها لن تسـتطيع إجباره على فعل شيء؛ بسـبب هذا الحمل، خاصة أنه رجل متزوج، وسـتكون هي المخطئة في نظر الجميع؛ إذا أقدمت على فضيحة سـتنتهي بعدم اعترافـه بمولودها، لتبقى في معاناة أبدية بين المحاكم، ولا تحصد شيئًا في النهاية، سوى العار، كل ذلك جعلها مجبرة على الإجهاض!

وفي هـذا اللقـاء، فوجئت «سـارة» بعد حوارهمـا الأخير، بوالـد طفلها يطالبهـا بالتأني في عملية الإجهاض، حتى يدبر أمرًا ما؛ لتظن أنه سـيقدم على زواجها، ولو سرًا، إلا أنها صعقت في لقائهما قبل سفرها إلى المنصورة، الذي تلى الامتحانات، عندما رفع الضابط صوته قائلًا:

- «صحيـح.. لـو قابلتي الـواد الأمـور بتاع القطـر تـاني.. افتحي معاه كلام».

رفعت حاجبيها بصدمة، وسألته:

• «إزاي يعني؟!».

رفع صوته ببرود:

- «زي ما بقولك كده.. اعرفي شـغال فين حتى.. بس بلاش تليفونات ولا فيس ولا الكلام ده».

- «ليه يعني»؟

• «اسمعي الكلام وخلاص».

وبضعف وانكسار، وعينين سلطتا في الأرض، قالت: حاضر، وهي تخفي داخلهـا صرخة تتصاعد وتتصاعد، وكأنها تتلقى طعنات بخنجر سـام في كل أرجائهـا، وبالفعل حدث ما أراد، وأبلغته بما حدث، ليفجر المفاجأة الأكبر، ويطلـب منها حجز مقعـد بجانبها في رحلتها القادمة للشـاب، والتحدث إليه أكثر وأكثر، لتسأله:

- «إيه اللي بتقوله وبتعمله ده.. أنت بتسلمني بإيدك لغيرك؟!».

رد بنظرة ثابتة، ونبرة حنونة أخفت شيطانه:

• «أنا عاوز اتطمن عليكِ.. اسمعي الكلام».

- «حرام عليك.. أنا بنت ناس».

تحول هدوؤه إلى انفعال محتدم، وقال بتسرع:

• «وحامل دلوقتي من الحرام.. يبقى تحترمي نفسك وتسيبيني أتصرف صح.. وده عشانك قبل ما يكون عشاني».

أنهيا لقاءهما متفقين على تنفيذ ما أمرها به، لتنطلق قصة حب «زياد» الزائفة، التي لم يكتشف تفاصيلها حتى الآن، عصر السبت، وهما يتبادلان الحديث حوله، في الشقة المستأجرة بحدائق المعادي، ليكملا مؤامرتهما، ويلفا الحبل أكثر على رقبة الشاب المخدوع.

■ ■ ■

جاء المساء، ليهرول «زياد» إلى الرفاعي والسلطان حسن، ويلتقي صديقه «فارس» وعمه، مثلما اتفقا قبل ساعات، جلسوا كالعادة في الممر الفاصل بين المسجدين، وسط الهواء النظيف، وعظمة التاريخ، يتحدثان عن المصيبة التي وقعت على رأس الشاب، وسبل الخروج منها، خاصة أن الحل الوحيد، هو الحصول على تسجيل لمكالمات «سارة»، حتى يحددوا شخصية والد الطفل؛ ومن ثم يفكرون ماذا يفعلون، وهو الأمر

المستحيل؛ دون صدور إذن جهة قضائية، ووسط الحيرة التي انتابت الجلسة، رفع «فؤاد» صوته محاولًا التخفيف عن المصدوم، قائلًا:

- «هحكيلك حكاية.. تعرفك إن إللي أنت فيه ده مش كارثة.. و إنك لو حكمت عقلك أكيد هتلاقي حل».

صمت «زياد»، ومعه صديقه، ليكمل العم حديثه:

- «واحد صاحبنا اتجوز واحدة زي دي.. وعمل ده مضطر برضه.. بعد ما عرفت تضحك عليه وتحمل منه بجد.. فضل قاعد معاها 5 سنين.. ومفكرش يوم يخلف منها لأنه مكانش واثق فيها.. رغم إنها كانت بتعمل كل حاجة عشان تحسسه إنه سيد الرجالة ومش شايفة في الدنيا غيره».

بدأ «فارس» في الربط بين ما يقوله العم، وقصته الحقيقية، بينما يتابع الأخير قائلًا:

- «لكن إحساس الراجل عمره ما بيكدب.. دايما كان حاسس إن فيه حاجة غلط.. يمكن عشان البداية أصلًا غلط، لحد ما في يوم شافها على الكورنيش مع واحد صاحبه، وساعتها ما فكرش في حاجة غير الانتقام.. لكن إزاي؟.. هنا بقى السر».

اتسعت عينا ابن شقيقه، فهو الجالس الوحيد الذي يعلم خطورة ما يقوله «فؤاد»، خاصة أن صديقه لا يعلم عن العم شيئا؛ سوى أنه متزوج ومقيم بفرنسا، لذلك سيطرت ملامح الصدمة على وجه «فارس»، وهو يسمع عمه يقول:

- «فضل سايب ليها الحبل على الغارب وراقبها من بعيد لبعيد.. و إداها الأمان أكتر.. وبقى يسافر كل أسبوع يوم محدد.. طبعا مكانش بيروح ولا بيبجي.. متابعهم وبس.. وبعد شهر كان خلاص اليوم ده مقدس عندهم.. وعلى سريره.. وفي يوم خد القرار.. وطلع البيت.. فرغ فيهم خزنة مسدسه، ومحدش عرف إنها مع سبق الإصرار، ويا دوب قعد سنة في قضية دفاع شرعي.. وطلع زي الفل.. غاسل عاره».

أنهى «فؤاد» حديثه، ناظرًا سريعًا إلى ابن شقيقه، الذي اكتشف توًا جريمة قتل متكاملة الأركان، ليسلط عينيه على العم، الذي استقبل نظراته بغمزة ماكرة من عينه، لترسم ملامح «فارس» ابتسامة جمعت بين الدهشة والانبهار، ويرد الغمزة بالمثل، غير قادر على تحريك شفتيه بكلمة واحدة، قبل أن يرفع «زياد» صوته قائلًا:

- « كل ده عشان كانت حامل حقيقي منه.. لكن دي ولا جيت جنبها».

رد العم سريعًا:

- «هو أنا بحكيلك علشان تقتلها.. بقولك إزاي تفكر تخرج من الموضوع محافظ على شرفك.. ومش سامح لحد يهينه.. إنت لسه على البر.. وفي إيدك لوحدك الحل.. بس فكر بعقل.. وبلاش تنازلات».

أومأ الشاب المصدوم برأسه، كعلامة على تفهمه ما قاله «فؤاد»، بينما يجلس «فارس» غير مستوعب حتى الآن، حكاية العم، متسائلًا عن كم

العذاب الذي شعر به، وهو يعلم أن زوجته ترقد مع صديقه في سريره، ورغم ذلك تحمل حتى وصل إلى هدفه، واسترد شرفه بمسدسه، قاتلًا من سلباه بسبق الإصرار والترصد.

انتهت الجلسة الطويلة بمنشور كتبه «فارس» على صفحته في «فيس بوك»، تحت ذات الهاشتاج؛ #ريكورد، الذي يجمع ذكريات جلساته مع صديقه، كان:

«لا تُرهق نفسك بحثًا عن تفسير للنفس البشرية.. تأمل فقط كلمات الخالق: ألهمها فجورها وتقواها»

■ ■ ■

وصل «زياد» شقته متأخرًا، بائسًا يائسًا، يبحث عن مخرج للورطة، بل الكارثة، متسائلًا هل سينتظر لحين إتمام الفضيحة، ثم يلجأ لتحليل الحامض النووي للطفل؟ لكن وقتها ستأتي براءته بعد فوات الأوان، وسرعان ما اتخذ قراره، التحرك بسرعة على جميع الجبهات، خاصة بعدما وصلته رسالة مباغتة على هاتفه من «سارة»، كان نصها:

- «قدامك أسبوع واحد عشان تصلح غلطتك.. بعدها هفضحك في كل حتة.. ومش هسيبك».

كاد الشاب أن يحطم هاتفه، بعدما قذفه من يده بقوة، فور قراءته الرسالة، ليجلس إلى مكتبه، و يبدأ في التخطيط لمواجهة الحسناء اللعوب، بكل السبل، وعلى مدار 5 أيام قضاها بين العمل والمنزل، استطاع كشف

المستور، وبمهارة جعلته مؤهلًا للعمل بأعظم جهاز مخابرات في العالم!

وفي كل مساء، كان «زياد» يكتب العديد من الكلمات بمذكرته، واجدًا في الكتابة الطريق الأمثل للهروب من الواقع، متجنبًا نشر كلمة واحدة على «فيس بوك»، بعد آخر منشور كتبه من حاسبه، عقب قذفه التليفون بمجرد قراءته الرسالة.. كان:

«إما أن أحقق هدفي.. أو أموت وأنا أحاول».

ثم قرر بعد كتابة هذا المنشور، أن يغيب عن الموقع مرة أخرى، هاربًا من متابعة «أميرة»، التي فقدت الأمل في عودته، وقللت من دخولها أيضا إلى الموقع، وكأنها تهرب هي الأخرى من الذكريات المدونة بصفحاته، مع إصرار حبيبها على الرحيل، والتجاهل، والدخول في مملكة أنثى أخرى.

أما ما دونه في مذكرته؛ فكان من بينه:

«اسحق ما لا يستحق».

وكتب أيضا:

«حديث الخائن عن الصدق.. كحديث العاهرة عن الشرف».

كانت هذه الجملة، بعد رسالة وصلته من «سارة» مساء الخميس، كتبت فيها:

«اعرف إني حبيتك بجد.. وعشان كده نفسي تكون جنبي بأي طريقة».

إلا أن الحسناء الكاذبة لم تعلم أن الغد، يحمل لها الكثير من المفاجآت، فاقت إثارتها ما كانت تخفيه في جعبتها من بلاء، خاصة أن «زياد» حمل بين يديه أوراقًا عديدة، وتعامل معها بحرص شديد، وبمنطق تحدث عنه أيضًا في مذكرته، كان:

- «ألعاب الورق لم تخترع كي نجمع الأوراق.. بل لنتعلم متى نحرق الكارت المناسب في الوقت المناسب!».

وتنفيذًا لهذا المنطق، سافر «زياد» إلى مسقط رأسه، يوم الخميس أيضًا، وهو يعلم جيدًا أن الحسناء بعثت رسالتها من منزل شقيقتها بالمنصورة، محددًا الجمعة كموعد رميه بأوراق اللعبة، التي جمعها من شركة الاتصالات، وفيس بوك، ليفاجأ بما لم يتوقعه، حيث توصل إلى حساب «طارق» على الموقع، ليرى صورته، ويكتشف أنه دخل معه كلية الشرطة في نفس العام، بل تعرف عليه قبل استبعاده منها.

استجمع الشاب أيضا كل خبرته في برامج الاختراق، من خلال شركة الكمبيوتر التي أسسها قبل عمله بالشركة، لينجح في القرصنة على صفحة الضابط، وتتوالى المفاجآت، التي فجرتها محادثته الطويلة مع «سارة»، على حساب لها أخفته عنه؛ باسم «ساسو»، حيث تجاذبا فيها أطراف المؤامرة، ليعلم «زياد» أنه كان سيقع في الفخ، لا محالة، لولا إرادة الله التي كشفت بصيرته، وهدته إلى الأدلة الدامغة؛ التي لا تقبل التشكيك.

اكتشف المخترق لحساب الضابط، أن اتفاق الأخير مع الحسناء كان في غاية

المكر والدهاء، إذ يعتمد على عنصر المفاجأة، والمباغتة، حيث كانا يتحدثان عن الموعد المناسب لإجهاض الطفل، الذي علقه «طارق» على نجاح المؤامرة، بحيث يحمل «زياد» مسؤولية فقدان بكارتها أولًا، ويتزوجان بسبب حملها، ثم تُقدم على الإجهاض، ووقتها سيكون الشاب قد تورط، وانتهى أمره بزواجها، بعيدًا عن تحاليل الحامض النووي وقضايا النسب.

قام «زياد» بنسخ المحادثات، وتحميل الصور الساخنة التي تضمنتها، وأرفقها في ملف صغير، حوى سجلات مكالمات المتآمرين، ثم اتجه نحو المنصورة، ليدخل منزله على ضجيج صوت والده، يسبه وينهره، ويتهمه بوضع الأسرة على شفا فضيحة كبرى، ليطالبه بالهدوء، مقدمًا له ملف الحسناء، ومتحدثًا عن أبعاد المؤامرة التي حيكت ضده، وبعد ساعة من الحديث أمسك الأب بهاتفه؛ ليبدأ تنفيذ ما اتفق عليه مع نجله المظلوم.

اتصل والده برجل الأعمال، زوج شقيقة «سارة»، الذي تربطه به صداقة وطيدة، طالبًا تحديد موعد وشيك، لبحث مسألة حياة أو موت، ليحدداه غدًا، بعد صلاة الجمعة، بينما أكمل «زياد» خطته، واتصل بالحسناء بعدما حمّل على جهازه برنامجًا لتسجيل المكالمات، اسمه ريكورد، وسرعان ما ردت، لتتضاعف الأدلة، بعدما رفع «زياد» صوته بهدوء، قائلًا:

- «أنا عرفت كل حاجة.. حملتي من طارق.. واتفقتوا إنك تجيبيها فيّ أنا.. وأشيل الليلة.. وبعد ما نكتب الكتاب، تنزلي اللي في بطنك.. وتطلعي من الموضوع زي الشعرة من العجين».

ردت بلا تفكير:

• «شاطر.. وبعدين؟».

- «ولا قبلين.. البادي أظلم».

• «هقولك تاني.. أعلى ما في خيلك اركبه».

أغلق الهاتف في وجهها، وخرج إلى شرفته، التي لم يدخلها قبل عام مضى، ليلقي نظرة على شرفة «أميرة» الخاوية، ويتأملها لدقائق شاردًا فيما سيحدث بالغد القريب، حتى رأى المشهد الذي غاب كثيرًا، بخروج حبه الأول إلى الشرفة على استحياء، تحاول الهروب من النظر تجاه منزله، لتدمع عيناه ويجد نفسه يرفع يده بإشارة، ردت عليها أميرته بابتسامة لوم، ثم دخلت سريعًا مغلقة الباب وراءها، ليزداد لوعه وشوقه. ظلت عيناه تدمع حتى دخل إلى غرفته، ليجلس على مكتبه القديم، ويمسك قلمًا، راسمًا خطة جهنمية لرد المكيدة في اتجاه مدبرها، ومعاملته بالمثل، وسرعان ما حدد محاورها، قبل أن يكتب أسفل الورقة، معلنًا انتصاره المبكر:

«لن أنسى يومًا أنها حوَّلت حياتي إلى جحيم، نصبت لي الفخ تلو الآخر، ولم أسقط، أكرهها بقدر اجتنابي السقوط، وتكرهني بقدر فشلها في الإيقاع بي، وبقدر انتصاري في شل أرجلها عن التحرك خطوة واحدة في أي اتجاه، كان بالفعل فوزًا تاريخيًا لعقلي على قلبي، وهزيمة لقلبها وعقلها في آنٍ واحد».

■ ■ ■

بعد صلاة الجمعة، اجتمع الشاب ووالده ورجل الأعمال، في نادٍ شهير على كورنيش المنصورة، ليبدأ الأب في الحديث متأنيًا، ساردًا القصة من أولها، بداية من تلقيه اتصال «سارة» على التليفون الأرضي، الذي حفظت رقمه في هاتفها عندما حدثها «زياد» منه لمرة واحدة، ومرورًا باتهامها لنجله بسلبها أغلى ما تملك، بل حملها منه سفاحًا، ثم أخرج الوالد الملف المليء بالمحادثات والصور وبيانات السجلات، كاشفًا الجاني الحقيقي، ومؤكدًا أنه ونجله لا يريدان سوى سترها، وأن يتحمل المخطئ مسؤولية جرمه.

وسرعان ما تحول اللقاء، إلى مجلس حرب، شرح فيه «زياد» أبعاد خطته المحكمة، التي تقضي بتولي رجل الأعمال مسؤولية نزع الاعتراف من شقيقة زوجته، الموجودة الآن في منزله، وتنفيذ باقي الخطة في أقرب وقت ممكن، وبالفعل استطاع الرجل أن يجبر «سارة» على التحدث، بعدما رأت ملفها غير المشرف بين يديه، ليتفق معها على رد المكيدة دون خوف من نفوذه وسطوته، وهو ما وافقت عليه بلا تردد، خاصة أنها رأت فيه تحقيقًا للحلم الذي ظل يراودها كثيرًا، وإنقاذًا سريعًا للموقف المحتدم يضمن لها حياة طفلها، وينهي التفكير في قتله؛ بالإجهاض.

حددت الفتاة المكان والزمان الذي ستلتقي فيه «طارق»؛ غدًا السبت في شقتهما بحدائق المعادي، وكتبت العنوان بدقة، وأعطته مفتاحها لنسخ آخر عليه، على أن تكون ساعة الصفر لاقتحام رجل الأعمال وحاشيته عليهما الشقة، الواحدة ظهرًا، بشرط ألا تغلق الباب من الداخل، وهو ما حدث في الموعد المحدد بالدقيقة، عندما وجد «طارق» نفسه عاريًا على

السرير، وسـط عشرة رجال يهددونه بإنزالـه في ملاية، إذا لم يوقع ورقة زواج عرفي مؤقتًا على «سـارة»، لضمان نسب الطفل النامي في أحشائها، وقد كان.

وبينـما كان الضابط يوقع عـلى زواجه الجـبري، كان «زياد» يوقع على عقد التعيين داخل مقر الشركة، ليرفع يده كالمنتصر، عندما تلقى اتصالًا من رجـل الأعمال، يفيد بنجاح الخطة، ثم رفعها إلى السـماء، حامدًا الله على اسـتجابة دعائه، بعدما رزقه حياة تشبه حسنها.. لكن دونها.. حياة يعيشـها مع أميرته وحدها.. وبمرور ثوانٍ أمسك هاتفه المحمول، ودخل عـلى «فيس بـوك»، ليجد «أمـيرة» متصلـة، لم يرد بكلمـة واحدة على محادثتهـا الطويلة، وانتقل سريعًا إلى صفحتهـا، ليكتب كلمة واحدة في منشور أمام الملأ:

تتجوزيني؟!

تمت

ريكورد..

مش مجرد رواية أو هاشتاج..

كلمة ممكن تكتب تحتها كل اللي جواك.. مشاعرك.. خطوات في طريقك.. أحلام نفسك تبقى واقع.. ملاحظاتك عن البشر اللي حواليك.. كلمة لإنسان خذلك أو خانك.. أو حتى خططك لما حد يجبرك تبقى شرير!

ريكورد..

هو سجل حياة كل واحد فينا..

املاه بإرادتك.. حدد فيه طموحك.. اكتب فيه كلمة لحبيبك.. لأصحابك.. لنفسك.. خليه عنوان لمحطات حياتك.. حتى أسرارك.. اعتبره صندوقك الأسود.. واوصله بضغطة واحدة كل ما تحتاج تبص على اللي فات.. وتفكر في اللي جاي!

تابعونا على:

https://www.facebook.com/hany.deabs

أو من خلال الصفحة الرسمية لرواية «#ريكورد»

https://www.facebook.com/Record.Love.Story

أو من خلال الصفحة الرسمية لرواية «الحب في زمن الثورة»

https://www.facebook.com/re.loove.ution

صفحة رواية #ريكورد على موقع جود ريدز:

https://www.goodreads.com/book/show/29087411